أكاديمية التغيير
Academy of Change
AOC

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

سلسلة حرب اللاعنف الفلسفة

حرب اللاعنف

الخيار الثالث

تأليف:

أ. أحمد عبد الحكيم د. هشام مرسي م. وائل عادل

سلسلة حرب اللاعنف– الفلسفة

حرب اللاعنف .. الخيار الثالث

أحمد عادل عبد الحكيم هشام مرسي وائل عادل

الطبعة الثالثة 2013

الطبعة الثانية 2013

الطبعة الأولى 2007

Non-Violence War, the 3rd Choice.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data
British Library Cataloguing in Publication Data.
A Catalogue record for this title is available from
the British Library.

ISBN 1-4276-1310-9

Distributed on line by
www.taghier.org

للتواصل مع أكاديمية التغيير (AOC)

بريد إلكتروني: info@taghier.org

www.aoc.fm

المحتويات

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

شهدت المجتمعات على مدار العصور – ولا زالت– حالات من الحراك، تتجلى بوضوح في الفعل السياسي والرغبة في التغيير، وتتبلور في إحساسها بحقها في أن تنعم بحياة، عمادها العدل والحرية واحترام حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية. وتنتفض بين الحين والآخر طلائع تمثل ضمير شعوبها، باحثة عن دورها الذي وجدت من أجله. وراسمة حلمها التغييري، عازمة على أن تطيح بالديكتاتوريات التي تسببت في قعود مجتمعاتها عن مواكبة التطور الإنساني العالمي.

وتأتي إسهامات أكاديمية التغيير العلمية في إطار تقديم الخبرة الإنسانية التراكمية للشعوب، تنميةً للعقل التغييري، وتعزيزاً للفكر الاستراتيجي، ونشراً لثقافة التغيير على أسس علمية، مستفيدة في ذلك من التجارب الإنسانية على مر العصور، لاستكمال وصقل طرق الكفاح والتطوير التي بدأها أحرار الإنسانية الصامدون.

كتاب حرب اللاعنف

ويأتي كتاب "حرب اللاعنف .. الخيار الثالث" – في سلسلة "حرب اللاعنف"– كمادة تأسيسية ضرورية للمهتمين بقضية التغيير، حيث تشير إلى طريق ثالث، وخيار محتمل – تجدر دراسته بعمق – للتحرر من الديكتاتوريات، تجنباً للوقوع في أسر الثنائيات، إما العنف أو الاستسلام.

قسم الدراسات والأبحاث

أكاديمية التغيير

2006

مقدمة الطبـعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام 2007، ثم أضيفت تعديلات بسيطة له نشرت على الإنترنت ولم تطبع ورقياً في عام 2010، ثم كانت الطبعة الثانية له في 2013. وتتميز هذه الطبعة الثالثة بوجود بعض الإضافات بها، مع الحفاظ على نفس منهجية التناول في الطبعة الأولى، فالكتاب يستعرض تعريف حرب اللاعنف، ويبحر مع مفردات التعريف في هذا المحيط المعرفي الواسع، ويدخل في التفاصيل بحسب ما يقتضيه شرح أهم المفاهيم الواردة في التعريف.

وقد شمل الكتاب عدة إضافات كان من أبرزها:

ما فصلناه في **التمهيد** في شرح مستويات البناء التغييري (الفلسفة والاستراتيجية والتكتيك والتنفيذ).

وفي **الباب الثاني** تم توضيح سبب اختيارنا لمصطلح "حرب للاعنف"، وفصلنا في ذلك. وأضفنا مفهوم "**التدخل الخشن**" إلى الباب.

كما أضفنا إلى **الباب الثالث** شرحاً لمفهوم "شن الصراع" محاولين الإجابة على سؤال.. هل حرب اللاعنف تشن الصراع أم تنهيه؟ كما أضفنا درجات نهاية الصراع التي يُتوقع أن يُختم بها أي صراع غير عنيف. وكذلك أضيف تعريف قصير بأهم الوسائل التي قد تبدو غير مفهومة.

وفي **الباب الرابع** شرحنا بعض النقاط بمزيد من التفصيل. مثل إضافة مسطرة المقاومة والاحتجاج في معرض التمييز بين المقاومة والاحتجاج، وشرح المزيد حول ما نعنيه بـ"الشعب" ونظرتنا له بين السلبية والإيجابية".

وبالرغم من أن هذه الطبعة تأتي بعد الثورات العربية، إلا أننا لم نضف تجارب الربيع العربي في ملحق التجارب، واكتفينا بالتجارب التي أدرجناها في الطبعة الأولى عام 2007، حيث كان نطاق البحث يشمل فقط تجارب القرن العشرين. لأننا حرصنا أن يحتفظ الكتاب بروحه التي صبغته قبل الثورات، وتمسكنا بنفس الطريقة في الكتابة واللغة. فهو وإن كان كتاباً يبشر **بحرب اللاعنف** كأسلوب لتدمير عروش الظلم؛ إلا أنه كذلك شاهد على حقبة تاريخية.. كانت هذه الأفكار فيها تحاول شق طريقها وسط موجات اليأس المفرط، أو التمسك بالمسارات الدستورية التي هي من صنع الديكتاتوريات، أو التفكير في العنف غير المدروس.

بناء الكتاب

وينقسم الكتاب– بعد الفصل التمهيدي– إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: عبر بوابة الزمان، وسنتناول فيه نشأة وجذور حرب اللاعنف.

الباب الثاني: حول مفهوم حرب اللاعنف.

الباب الثالث: يشرح تعريف "حرب اللاعنف"، وسنتناول فيه المباحث التالية:

الفصل الأول: طبيعة الصراع.

الفصل الثاني: أطراف الصراع.

الفصل الثالث: طبيعة القوة السياسية.

الفصل الرابع: طبيعة أسلحة حرب اللاعنف.

الباب الرابع: حول أساسيات حرب اللاعنف، وسنتناول فيه بعض الأسس والركائز المهمة التي تضبط حركة المقاومة خلال صراعها ضد خصومها، ونعالج بعض المفاهيم الخاطئة الشائعة.

ويلي هذه الأبواب الأربعة ملحق يضم مجموعة من التجارب التغييرية.

وتعتمد فكرة الكتاب على شرح تعريف "**حرب اللاعنف**"، هذا ما يجعله يتناول مستوى الفلسفة، لكنه كذلك يلامس الاستراتيجيات والتكتيكات بدرجة بسيطة بحسب ما يقتضيه شرح التعريف وتوضيح المفاهيم الواردة فيه، فهو ليس كتاباً فلسفياً خالصاً بقدر ما هو كتاب يشرح تعريف "حرب اللاعنف" كمصطلح.

لمن هذا الكتاب

تتوجه أكاديمية التغيير بهذا الكتاب إلى كل المخلصين والغيورين على أوطانهم، إلى الذين يبحثون عن مخرج من الأنفاق المظلمة التي حفرتها الأنظمة الديكتاتورية والمستبدة في كل مكان حول العالم بممارساتها وطغيانها.

كما تتوجه به إلى كل الحركات التغييرية والمقاومة حول العالم، لتسد به بعض الاحتياجات الضرورية في عالم المقاومة والتغيير.

وتتوجه به كذلك إلى الباحثين المعنيين بهذا المجال، والذين يعانون من فراغ المكتبة العربية من مثل هذا النوع من الكتابات.

وحرصاً منا على دعم وتقوية الحركات المقاومة والنشطاء فإننا لا نكتفي بأن نتقدم إليكم بهذا الكتاب؛ ولكننا نوفر معه دورة تدريبية كاملة على موقع الأكاديمية www.aoc.fm، لشرح أجزاء الكتاب المختلفة، وفهم فكرة "حرب اللاعنف".

قسم الدراسات والأبحاث

أكاديمية التغيير

2013

التمهيد

المحتويات

1. أمم سبقت إلى المستقبل.
2. البناء التغييري.
3. أسباب تجاوز البناء الفلسفي.

"الخطأ والجهل على مستوى التكتيكات قد يكون محتملاً، أما على مستوى الاستراتيجيات فيكون مؤلماً، وعلى مستوى فلسفة الفكرة فهو مهلك".

أكاديمية التغيير

يعد موضوع "حرب اللاعنف" حلقة من حلقات برنامج علمي، يهتم بتأسيس المجتمع القوي الحر، الذي يحمل رسالة حضارية إنسانية.[1]

وقبل أن نبدأ في سبر أغوار "حرب اللاعنف" يجب أن نعلم أولاً أن محور حديثنا سيكون عن المستقبل. فالمجتمع الذي تعيش فيه الشعوب بشكل إنساني متحضر، تعرف فيه القوة التنفيذية مكانها كخادمة للشعب وراعية لمصالحه، ولا مكان فيه للديكتاتوريات القابعة على صدور الشعوب، ذلك المجتمع الذي يحمل رسالة إنسانية حضارية غير موجود على أرض الحاضر المعاش في كثير من أنحاء المعمورة، ولكنه المجتمع المستقبلي المنشود.

1. أمم سبقت إلى المستقبل

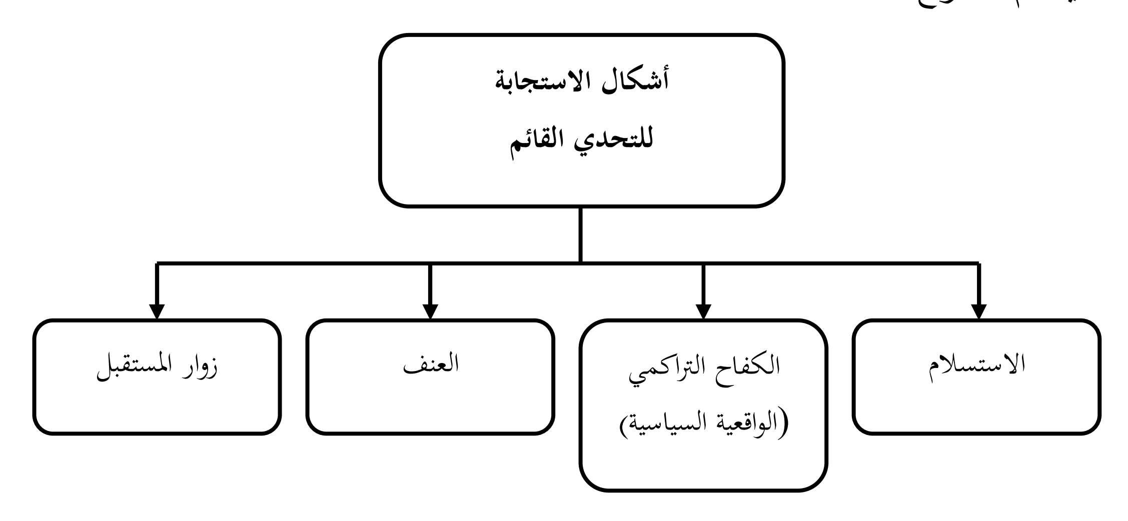
والطريق إلى المستقبل سلكته عدة أمم، حين قررت التغلب على صعوبات حاضرها. فكثير من الأمم عانت في فترات زمنية سالفة من فساد سياسي وكساد اقتصادي وضمور ثقافي وتخلف اجتماعي، وألح عليها التساؤل.. ماذا نفعل؟؟!! فقرر فريق منها الاستسلام والانبطاح، وفريق آخر قرر الكفاح التراكمي، معتمداً منهج الواقعية السياسية[2] ومغازلة الواقع،[3] لتكون المحصلة هي الحفاظ على وجود هذا الفريق في الساحة، والحفاظ على مكتسباته، آملاً أن تؤدي تلك المكتسبات المتراكمة إلى إحداث التغيير في يوم ما، وفريق ثالث قرر أن يسلك سبيل العنف

[1] انظر المفاهيم في نهاية التمهيد صـ 29.

[2] للاطلاع على مفهوم الواقعية السياسية انظر المفاهيم في نهاية التمهيد صـ 31.

[3] للاطلاع على مفهوم الواقع ودرجات فهمه انظر المفاهيم في نهاية التمهيد صـ 33.

كخيار نهائي أخير، وفريق رابع زار المستقبل واكتشف شكلاً جديداً من أشكال الحروب يمكن أن يحسم الصراع.[1]

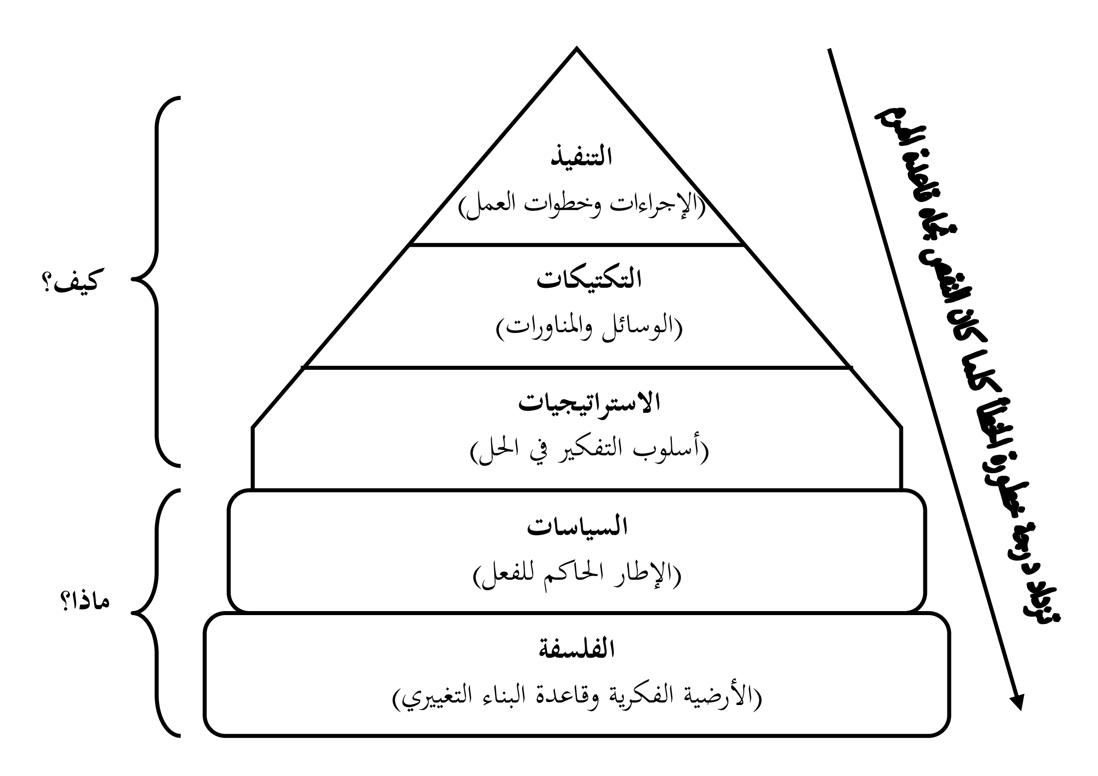


شكل 1: أشكال الاستجابة للتحديات وفيها زوار المستقبل يعودون بحلول لحاضرهم ولا يستسلمون لضغوط واقعهم

هذه الحرب جديدة قديمة.. جديدة لأنها تتجدد بتجدد الأيام، وبتجدد الشعوب، وبتجدد الثقافات؛ بل وبتجدد أشكال الصراع. فكلما تلون الصراع واختلفت مفرداته؛ استحدثت هذه الحرب من استراتيجياتها وتكتيكاتها ما تكافيء به الواقع. وهي كذلك حرب قديمة، لأن جذورها التاريخية ممتدة في تربة الإنسانية على مدار قرون، يعود ما وصلنا منها إلى القرن الخامس الميلادي. هذه الحرب يطلق عليها "**حرب اللاعنف**".

[1] من الضروري لعشاق بناء مستقبل أفضل أن يزوروا هذا المستقبل ليتعرفوا عليه جيداً، ثم يعودوا إلى الواقع ليبدعوا أفضل الأساليب الموصلة إلى ذلك المستقبل، فحرب اللاعنف ليست نهاية المطاف، ولكنها إحدى إبداعات أولئك الذين أبوا استنساخ الأساليب السابقة وتقليدها، وهي دليل على أن العقل البشري قادر على إحداث طفرات في الفعل تغير نمط الممارسة السياسية وأساليبها.

2. البنـاء التـغييري



شكل 2: البناء التغييري ومستوياته الخمسة

وقبل الحديث عن حرب اللاعنف سنفرق بين مستويات خمسة تشكل في مجموعها البناء التغييري لتلك الحرب:

الأول: مستوى الفلسفة: نقصد به مستوى الأفكار التأسيسية التي تمثل قاعدة البناء والأرضية الفكرية للمشروع التغييري والحركات والمجموعات الحاملة له. وكلما ازداد عمق الفكرة، واستطاعت الإجابة على الأسئلة الحيوية الملحة المطروحة على الساحة؛ ترسخت جذورها واشتدت قوة البناء.

وهذا المستوى من الأهمية بمكان لأنه يؤثر في كافة المستويات اللاحقة. فالأساسات المطلوبة لبناء بيت متواضع تختلف عن تلك المطلوبة لبناء ناطحة سحاب. والفكرة التي يقوم عليها مجتمع ديمقراطي، تختلف عن تلك التي تقوم على أنقاضها دولة ديكتاتورية.

وتنقسم الفلسفة بصفة عامة إلى نوعين من الأفكار:

أفكار صلبة: وهي عادة تكون الأفكار الأيديولوجية التي لا يفكر معتنقها بمراجعتها أو احتمال أن تكون خطأ، وهي الأفكار التي يُعتقد فيها بيقين وجزم، مثل نوع المرجعية التي يجب أن تستند عليها الدولة، فأصحاب الأيديولوجيات الإسلامية لا يتنازلون عن فكرة أن الحكم لله وحده. وأصحاب الأيديولوجيات العلمانية يصرون على إبعاد الدين عن الحكم.

أفكار مرنة: وهي التي ليس لها نفس درجة يقين الأيديولوجيا وثقتها اللامتناهية في أفكارها، وتشمل كل الأفكار القابلة للتبديل من قِبل حاملها، مثل الآراء المتعلقة ببعض القضايا المطروحة على الساحة، كدور البرلمان وصلاحياته، والطريقة التي ستمكن من تمثيل الشعب فيه، ومدى صلاحيات الجيش وعلاقته بالحكم، أو مثل الآراء المتعلقة بالتصورات عن الحركة التغييرية، وطبيعة نظام العضوية فيها، أو بعض السياسات المرنة التي تحتمل التغيير.

وبشكل عام؛ فإن مستوى الفلسفة يجيب على سؤال "ماذا؟"، "ماذا نريد؟".. من خلال إجابة أسئلة الرؤية مثل:

كيف تشكل الوضع الراهن؟

ما هو التغيير المطلوب؟

هل هو عميق جذري يتناول الأوضاع كاملة بالتغيير؟ أم جزئي يركز على ملفات محددة كالملف الاقتصادي؟

ما جوهر أهدافه؟

ما مبررات وجود المشروع التغييري؟

ما منطلقاته الفكرية، وهل ينطلق من أيديولوجيا محددة؟

ما الأسس والقيم التي ستبنى الدولة الجديدة؟

ما موقع الطوائف والفصائل المتنوعة في حكم الدولة؟

ما دور المجتمع في التغيير؟

ما إمكانية إصلاح النظام السياسي من داخله؟

ما العلاقة بين المجتمع والدولة بعد التغيير؟

ما طبيعة النظام السياسي الجديد؟

ما مدى تأثير الأيديولوجيات السياسية والدينية في نظام الحكم الجديد؟

ما رؤية المشروع للقضايا الأساسية المطروحة على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية؟

ما نظرة الدولة لكوكب الأرض برمته؟ وما إسهامها لتطويره؟ وكيف تنظر للإنسان داخل حدودها وخارجه؟

ما النماذج المعاصرة والتاريخية المقاربة؟

...الخ

وهذا المستوى يصوغ ثقافة قيادات وأعضاء الحركة التغييرية ويؤثر في كافة المستويات اللاحقة.

الثاني: مستوى السياسات:[1] وتعرف بأنها إطار التصرف، أو موجهات وقيود الفعل. فهي توضح ما علينا أن نفعله، وما علينا أن نتجنبه، وبذلك تحدد مدى مرونة أو جمود، تحرر أو

[1] لأن السياسات هي موجهات وقيود الفعل فقد قال إبراهام لينكولن عام 1861: "إن سياستي ألا تكون لي سياسات". ولم يكن يقصد بذلك عدم أهمية السياسات؛ وإنما كان يشير إلى مدى مرونة السياسات التي اختارها.

انغلاق، سعة أو ضيق أفق الحركة خلال المراحل المتتالية التي تمر بها. ولابد أن تكون السياسات متسقة مع ونابعة من الفلسفة (المستوى الأول). فإن كانت الفكرة تقوم على دولة تسع الجميع، من المهم في السياسات تأكيد عدم إقصاء أي فصيل أو طائفة من المشاركة، وربما السعي لمشاركة أعضاء من ثقافات متنوعة، كما سينعكس ذلك على طبيعة الشعارات المرفوعة التي ستسع الجميع.

وتجيب السياسات على أسئلة من قبيل:

- ما الضوابط التي تحكم مشروع التغيير؟
- ما علاقة مشروع التغيير بالمشاريع الإصلاحية؟
- ما ملامح خطابه المنضبط الموجه للداخل والخارج؟
- الخ

كما تنعكس سياسات المشروع على الحركات الحاملة له، لتجيب أسئلة من قبيل:

- ما أخلاقيات الحركة؟
- ما ضوابطها؟
- ما هي المتغيرات والثوابت؟
- ما علاقة الحركة التغييرية بالمشاريع الأخرى الإصلاحية أو السكونية أو الموالية للخصم السياسي؟
- ما سياسات التجنيد أو العضوية أو المشاركة؟
- ما علاقة الحركة بالمجتمع الدولي؟
- ما سياسات الحركة في التمويل؟

وغيرها من التساؤلات التي تساعد على سهولة وسرعة اتخاذ القرارات، وضبط إيقاع الحراك التغييري ليكون متناغماً مع الفلسفة، كما تساعد على ضبط المسافات بين المشروع التغييري وبين مختلف مكونات المجتمع والأطراف الداخلية والخارجية، لتكون حركة المشروع سلسة ثابتة وغير عرضة للاهتزازات والمطبات، أو الوقوع في أسر ردود الأفعال، فالسياسات ترشدها للمعارك التي يجب تجنبها، أو التي يُشارَك فيها بشكل رمزي، أو التي تخاض بكل الإمكانيات باعتبارها معارك مصيرية.

وقد يكون لكل مرحلة من مراحل الصراع سياساتها التفصيلية، فمثلاً تكون السياسة في مرحلة البدء الاعتماد على اللاعنف المطلق، وعدم قبول أي فرد يمكن استثارته سريعاً لأعمال عنف، بينما في مراحل الحسم قد تتسع السياسات لتقبل الحركة من هم أقل تدريباً على اللاعنف، باعتبار أن الغالبية بإمكانها ضبط المسار. وقد تكون السياسات في البداية عدم التوسع في ضم أفراد جدد إلى الحركة، وفي مراحل لاحقة تعتمد السياسات على التوسع والتساهل في قبول أعضاء جدد. وهذه كلها تغييرات يقتضيها الانسجام والتفاعل مع الأحداث في أرض الواقع لتطبيق الاستراتيجية الكلية للحركة، وتظل الأسئلة الكبرى الفلسفية هي التي تُخضِع السياسات، مثل تأكيد الحريات، والتنوع.

وهذان المستويان معاً – الفلسفة والسياسات- يجيبان على سؤال "ماذا؟": ما هي الفكرة الأساسية لمشروع التغيير؟ ما جوهرها؟ ما أهدافها؟ ما مرتكزاتها؟ ما أخلاقياتها؟ ما ضوابطها؟ ما متغيراتها وثوابتها؟..الخ. وتمثل هذه الإجابات منطلقات العمل للمشروع التغييري. فالسياسات الضابطة لفعل حركات مقاومة الاحتلال السلمية أو العسكرية تختلف عن السياسات التي تعتمدها الأحزاب والحركات المعارضة في الدول الديكتاتورية، وكلاهما يختلف عن سياسات الأحزاب والحركات في المنظومة الغربية.

وبالاستمرار في طرح الأسئلة العميقة وتقديم أجوبة عليها يتبلور شكل التغيير المنشود ومن ثم شكل المشروع. وكلما أخذت مرحلة صياغة الفلسفة القدر الكافي من الاهتمام؛ أثرت بشكل مباشر عند تحديد الاستراتيجيات المتبعة لتنفيذ هذه الفلسفة، وتحديد نمط وشكل الحركة أو التيار الذي سيحدث هذا التغيير.

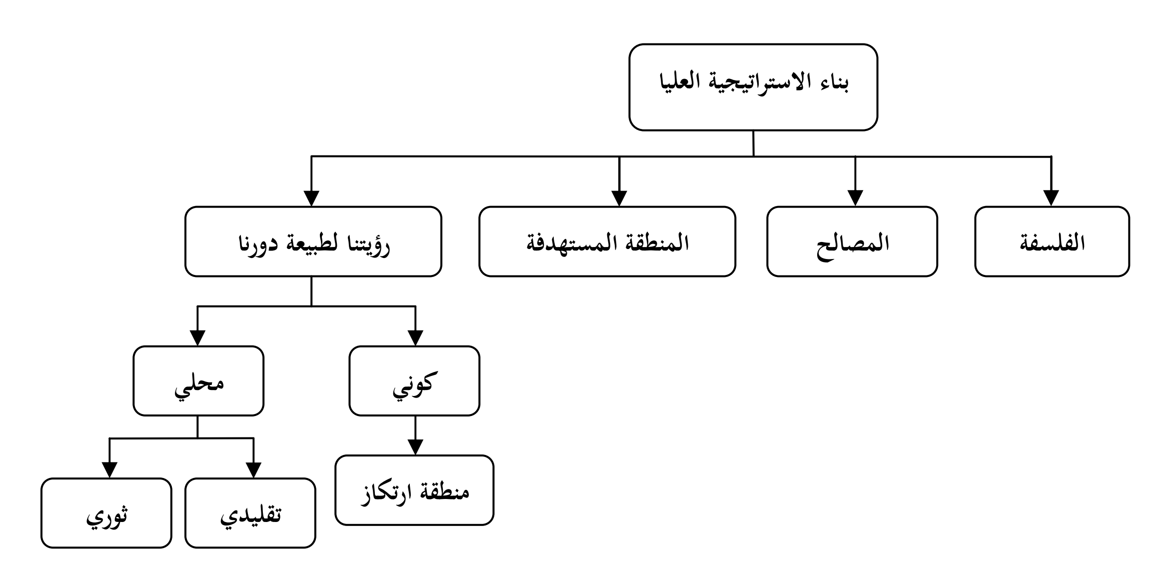
كذلك يفيد بذل الجهد الفلسفي في تحديد طبيعة البناء بعد التغيير، فتصبح مشاريع بناء الدولة أنضج بعد أن دار حولها حوار مجتمعي.

وقوى التغيير الواعية عادة تبذل جهداً كبيراً في صياغة فلسفة التغيير الذي تريد، مؤمنةً أن أي حراك تنفيذي لايحميه غطاء فكري صلب يكون عرضة للتلاعب به. فهو يترك حركة التغيير في أدغال غابات التكتيكات الكثيفة دون خارطة توضح المسار، لذلك تعيد قوى التغيير الواعية النظر في الفلسفة بين الحين والآخر، من أجل تطويرها كلما لزم الأمر، ثم التعريف بالفلسفة الجديدة بوضوح لتشكل ثقافة قيادات وأعضاء رواد التغيير.

الثالث: مستوى الاستراتيجيات: ونقصد به فن إدارة الصراع، وأسلوب التفكير في الحلول المناسبة. والمسارات التي ستحول ما طرح من نظرات على مستوى الفلسفة إلى واقع. ويشمل مستوى الاستراتيجيات نوعين أساسيين من الاستراتيجية:

<u>الاستراتيجيات العليا</u>: التي ترسم المسارات الكبرى، وتضع التصور العام للتغيير وكيفية تحقيق الفلسفة أو الرؤية على أرض الواقع. وتتحدد على ضوئها الخيارات الكبرى للمشروع التغييري، وبناء عليها تتحدد بنى الحركات والقوى المكونة للمشروع التغييري، وهياكلها، وقياداتها، وأعضائها، ومهاراتهم، وخططها طويلة الأمد. وغالباً ما يتحدد هذا المستوى في إطار السياسات. **ومن أمثلة الاستراتيجيات العليا للتغيير اختيار"استراتيجية الكُمُون"، وهي تعني كمون المقاومين داخل بنية ومكونات النظام السياسي لتغييره من داخله حين تحين اللحظة**

المناسبة. أي أن الاستراتيجيات العليا تمثل المسار العام للتغيير، وبناء عليها تتحدد أداة التغيير الرئيسية، والأدوات الداعمة. فمسار الانقلاب العسكري أداته الرئيسية ضباط في الجيش بينما الأداة الداعمة حراك شعبي داعم، ومسار الثورة الشعبية أداته الرئيسية جماهير حاشدة تسعى لكسب دعم الجيش والشرطة.



شكل 3: عوامل بناء الاستراتيجية العليا للحركة التغييرية

وتصاغ الاستراتيجة العليا بناء على:

- **الفلسفة:** بما تحمله من أفكار ويترتب عليها من سياسات.
- **المصالح:** ونقصد بها مصلحة المشروع التغييري ككل وليس مصلحة الحركة أو التنظيم أو الحزب الحامل للمشروع التغييري.
- **المنطقة المستهدفة بالفعل:** ونقصد بها النطاق أو النظام المستهدف بالفعل التغييري. هل هو النظام السياسي أم الاقتصادي أم التعليمي أم غير ذلك.
- **رؤية الحركة لطبيعة دورها:** هل ترى الحركة التغييرية أن دورها كوني يشمل كل مساحة العالم وأن الدولة التي تتحرك فيها ما هي إلا منطقة ارتكاز أو انطلاق؟ وهي حالة أغلب

الحركات الإسلامية أو الشيوعية. أم أنها ترى أن دورها محلي لا يتجاوز حدود الدولة التي تعمل فيها؟ وفي هذه الحالة قد يكون دورها إصلاحي تقليدي أو تغييري ثوري.

الاستراتيجيات التفصيلية: وهي الاستراتيجيات التي تتعامل مع أحداث ووقائع محددة. وهي الاستراتيجيات التفصيلية للهجوم والدفاع والتأمين والانسحاب، مثل استراتيجيات التمويل والدعاية والإعلام والتعامل مع القمع والاتصالات، . وهذه الاستراتيجيات تنقل الاستراتيجية العليا المجردة للمشروع إلى حيز التنفيذ. فهي تعتبر الجسر الرابط بين الاستراتيجيات العليا الكبرى وبين تنفيذ هذه الاستراتيجيات على أرض الواقع.

وغالباً ما تتحدد الاستراتيجيات في إطار الفلسفة وما تتضمنه من سياسات.

وتتحدد في ضوء الاستراتيجيات أداة التغيير الرئيسة، وأداة الحسم التي تراهن عليها الحركة. وتتنوع هذه الأدوات ما بين اختراق الحزب الحاكم، أو تكوين – أو الاستعانة واستدعاء – جيش خارجي أو حرب العصابات أو الانقلاب العسكري أو الثورة الشعبية أو النضال الدستوري وغيرها من أدوات حسم الصراعات.

الرابع: مستوى التكتيكات: وهو فن استخدام القوات والوسائل، أو فن استخدام الموارد البشرية والمادية المتاحة من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية. وتندرج تحتها الوسائل والخطط التنفيذية والتشغيلية القصيرة، وتتحدد في إطار الاستراتيجيات.

فالتكتيكات التي تنطلق من استراتيجيات عسكرية تختلف عن تلك التي تنطلق من استراتيجيات سلمية. والتكتيكات المستخدمة لتهدئة صراع ناشب، تختلف عن تلك المستخدمة في إشعال صراع.

والتكتيك قد يشمل وسيلة واحدة أو أكثر. وهو تجسيد للاستراتيجية من خلال الأنشطة التي تصاغ في شكل خطط تنفيذية وتشغيلية قصيرة. ويعتبر مستوى التخطيط التكيتكي هو

المستوى الأدنى في التخطيط الكلي للصراع. وتتعدد أصناف التكتيكات إلى هجومية ودفاعية وبناء قدرة الحركة.. الخ، وتتحدد التكتيكات في إطار الاستراتيجيات. وقد تحتوي الاستراتيجية الواحدة على عدد كبير من التكتيكات.

ومن أمثلة التكتيات طريقة تنفيذ اعتصام في مكان حيوي، فقد يتم ذلك عبر إرسال وفد من رموز مشهورين كبرلمانيين وسياسيين بارزين ينفذون الاعتصام وحدهم منعاً لحدوث أي اشتباكات، وقد يتم من خلال رموز وبرلمانيين في مكان الاعتصام تدعمهم وقفات صامتة على بعد كيلومترات بسيطة.. الخ، هذا الإبداع في طريقة تنفيذ الاعتصام بما يحقق الهدف هو فن التكتيك.

الخامس: مستوى التنفيذ: ونقصد به عملية التنفيذ ذاتها. وتتحدد في إطار التكتيكات، وهو مستوى تجربة الأفكار في معترك الواقع، واختراقه بها، لتعاد مراجعتها وتطويرها بناء على التجربة. لذلك يعتبر التنفيذ مستوى من مستويات البناء التغييري، وليس نتيجة له، فهو يساهم بشكل كبير في مراجعة التصورات في جميع المستويات، بداية من الفلسفة وانتهاء بالتكتيك والقدرات الفعلية للتنفيذ.

كما يعكس هذا المستوى مدى الكفاءة في تطبيق التكتيكات، والالتزام بالاستراتيجيات الفعالة، ومراعاة السياسات المحددة سلفاً. كما يشمل ما يمكن تسميته بـ (ما وراء التكتيك)، وهو المستوى الذي يتناول الجانب النفسي والمعرفي والمهاري للمنفذين، الذي يعمل على زيادة فاعليتهم في التنفيذ.

وتجيب هذه المستويات الثلاثة – الاستراتيجيات والتكتيكات والتنفيذ – على سؤال "كيف؟": كيف تخاض الحرب؟ ما المسار العام لها؟ كيف تتشكل بنيتها وقيادتها؟ كيف تفقد

الخصم توازنه؟ كيف تتغلب على القمع؟ كيف تفوز بالجمهور؟ كيف تختار الأنشطة؟ كيف يتم الإعداد لها؟ ...الخ.

وإذا كانت الفلسفة والسياسات تمثل قاعدة البناء التغييري، فإن الاستراتيجيات والتكتيكات والتنفيذ تمثل رأسه المدبب الموجه إلى الخصم. فـ"ماذا؟" وحدها لا تكفي، وإنما هي كقبضة السيف.. كلما اشتدت؛ استطعنا أن نحكم قبضتنا على السيف؛ بينما "كيف؟" هي حد السيف.. كلما صقلت وتنوعت وأحسن استخدامها؛ كان السيف أمضى وأشد تأثيراً.

وتتدرج خطورة الخطأ أو الجهل بشكل تصاعدي من المستوى الخامس إلى الأول، بمعنى أن الخطأ أو الجهل على مستوى التنفيذ أو التكتيكات قد يكون محتملاً، بينما الخطأ أو الجهل على مستوى الاستراتيجيات يكون مؤلماً وأكثر خطورة، وعلى مستوى السياسات يؤدي إلى الفشل، أما غياب غطاء فلسفي فكري – يمثل الأرضية التي تبلور الفكرة – فيؤدي إلى أزمة مهلكة. فبدون فهم فلسفة التغيير جيداً سيصعب تحديد السياسات والاستراتيجيات، وستدور الحركة في فراغ استراتيجي لا تبصر طريقاً، ولن تكون التكتيكات والوسائل بدورها إلا أنشطة متفرقة لا تجد إطاراً يجمعها أو يفسرها. ولن تزيد الحركات إلا بعداً عن تحقيق الأهداف.

3. أسباب تجاوز البناء الفلسفي الصلب

إذا كان الخطأ على المستوى الفلسفي بهذه الدرجة من الخطورة، فما الذي يجعل بعض الحركات التغييرية لا تهتم به على النحو الذي يمكنها من صياغة مشروع تغييري ناجح قادر على التصدي للواقع؟

يعود السبب في ذلك إلى عدة أمور:

ندرة المفكرين داخل الحركات التغييرية: فالحركات التغييرية أحياناً ما تصاب بندرة المفكرين القادرين على صناعة التصورات الكبرى، والعاكفين على مطاردة الأسئلة الجوهرية التي يطرحها الواقع وملاحقتها بأجوبة مفحمة. بل قد تتجنب أحياناً وجود ذلك النوع من المفكرين، الذي يُكثر من طرح الأسئلة، كونه يمثل مصدر إزعاج وإحراج. فهو يزعجها بطنين الأسئلة، ويحرجها إذ تكتشف أنها لا تمتلك أجوبة على أسئلته. كذلك ينغص المفكر عليها صفوها حين يفتش في التاريخ وينبش فيه محاولاً أن يقيم التجربة التاريخية، وتزداد هذه السمة في الحركات الأيديولوجية التي تثق بأفكارها بشكل لا يقبل النقاش .وبالتالي فهي غير مستعدة لأن ينقاشها أحد في جذور الأفكار التي بنت على ضوئها تصوراتها. ومن ثم سبب الوجود الأصلي ومبرره.

هذه الروح الشرسة المتحفزة ضد الأسئلة المتعلقة بجوهر وجود الحركة عادة ما تجعل الحركة وسطاً طارداً للمفكرين، وتجعلها تكتفي بأصحاب المستوى الثاني من التفكير، القادرين على التفكير استراتيجياً وتكيتيكاً، بل وأحياناً القفز مباشرة إلى التفكير التكتيكي، فتشرع في تنفيذ تكتيكات تخدم أهدافاً واهية، وهو ما قد يؤدي إلى نتائج كارثية لاحقاً.

هيمنة التنفيذيين على القيادة: وبناء على ندرة المفكرين يتسلم القيادة أناس أقرب للتنفيذ منهم للتفكير النقدي والبعد الاستراتيجي، وهم في الغالب لا يشعرون أصلاً بوجود مشكلة تتطلب مراجعة ونقاش وبحث في جذور الأفكار، فبالنسبة لهم المسار واضح، والطريق معروف، بقي فقط أن يتم حشد الناس له وتحفيزهم للمسير فيه. هم دائماً في انشغال بالمستوى التكتيكي ولا يتفكرون في المستوى الفلسفي إلا قليلاً. ومن ثم فإن ترمومتر الشعور بالأزمة لا يعمل إلا على المستوى التكتيكي التنفيذي، أما على المستوى الفلسفي فقد ماتت لديهم أعصاب الحس والشعور.

خداع الأيديولوجيا: فإذا كانت حركة التغيير منطلقة من أيديولوجيا دينية كالحركات الإسلامية أو أيديولوجيات أخرى كالنازية أوالشيوعية؛ فإن معظم الأيديولوجيات من شأنها أن تشوه النظرة إلى

الواقع، فتشعر معتنقها أنه بالفعل يحمل كل الحلول الجاهزة لمشاكل الواقع، وليس مطلوباً من الناس سوى أن يتبعوه ليطبق هذه الرؤية. فالأيديولوجيا قد تصيب صاحبها بمرض اليقين، حيث يتوهم أن كل ما وصل إليه من أفكار صواب، وأن عقله لم يخذله قط. وأنه ليس بحاجة إلى المزيد من النظر في الواقع، وبلورة التصورات بشكل أكثر دقة ووضوح. فيظن أن الشعارات التي يحملها هي عينها الحلول التفصيلية للواقع. ومن نماذج خداع الأيديولوجيا ما حدث في مطلع القرن العشرين من خداع الفكرة النازية للأمة الألمانية، فخلقت تصوراً خاصاً عن الجنس الألماني وأحقيته بسحق الآخرين.

التمسك بالطرح التاريخي: في حالة أن الحركة ضاربة الجذور تاريخياً، فلا تجرؤ على مراجعة أقوال المؤسسيين، أو التخلي عن بعض أطروحاتهم الجوهرية، خاصة إن كانت تعتمد في حشدها على تاريخها العريق، الذي يعتبر مادتها التسويقية الوحيدة حين يخلو واقعها من الإنجازات. وهي تعتبر أي مراجعة فكرية على مستوى الأهداف والفلسفة نيلاً من تضحيات من ضحوا على الطريق، وهزاً للجذور التاريخية، وإقلاق الموتى من القيادات التاريخية للحركة. وهو ما تتجنبه الكثير من الحركات التاريخية، التي تدافع عن موتاها وماضيها أكثر من دفاعها عن أحيائها ومستقبلهم.

الخوف من المصير: فأغلب الحركات تتأسس بناء على عناوين عامة، مثل مقاومة الظلم، أو مقاومة الفساد، أو مقاومة الاحتلال، أو غيرها. دون أن تطرح تصورات حقيقية لما بعد إسقاط الظالم. فإذا لمست هذا الخلل على المستوى الفلسفي تبدأ بعد ذلك في التفكير والبحث عن سبب أعمق للوجود، ومن خلال طرح الأسئلة التي تشخص الواقع بشكل علمي، تتكشف أموراً ربما لم تكن في حسبان الفريق المؤسس. إذ قد يكون التغيير –بناء على التشخيص الدقيق– في حاجة إلى عملية اختراق لمؤسسات الدولة، أو إلى خوض حرب اللاعنف من أجل بناء مجتمع قوي،

فتكتشف الحركة أنها لم تتأسس لهذا الغرض، وأن طبيعة المنتسبين إليها لا تتناسب مع الهدف. وبالتالي تحرص على الاستمرار فيما كانت تمارسه، وتتجاهل نتيجة البحث الفلسفي في الأسئلة المتعلقة بجوهر الوجود وجدواه، لأن الإجابة قد تكون غير مرغوب فيها، فقد تقول بعدم جدوى بناء الحركة، أو استمرارها بنفس الشكل. وهنا تحار الحركة!! ماذا تفعل مع أعضائها؟ وكيف تقنعهم أنهم متمسكون بأداة غير فعالة؟ وهل تواجههم بالحقيقة فيتفلتون غاضبين ويتيهون في صحراء الفعل؟!

وهذا التحدي تواجهه الحركات التي بدأت استراتيجياً وتكتيكياً قبل أن تؤسس فلسفياً بشكل كبير وواضح، أو التي تأسست على فلسفة ضعيفة ومشوهة ومضطربة، أو تلك التي عاصرت لحظات تحول تاريخية فأصبحت فلسفتها غير مناسبة لتفسير الأوضاع الجديدة، أو في الحركات التي تطاول عليها العمر وأصبحت فلسفتها مليئة بالفجوات نتيجة الهرم وفعل الزمن. كما نراه جلياً في الحركات التي تصل إلى الحكم قبل أن ينضج لديها تصور مشروع التغيير، فتجلب على دولها الويلات، لذلك كان الخطأ على المستوى الاستراتيجي مؤلماً، بينما الخطأ على المستوى الفلسفي مهلكاً كما أشرنا سابقاً.

مفاهيم

1. **المجتمع حامل الرسالة:** تسعى حرب اللاعنف إلى إيجاد المجتمع القوي، ونعني به المجتمع الذي يتمتع بالخصائص التالية:

- يحمل رسالة ومهمة لنفسه وللإنسانية.
- حر.
- متماسك وإن تعددت فيه الأعراق والطوائف والثقافات.
- يعاد توزيع السلطة فيه بحيث لا تتكرس في يد الحكومة.
- يدار الصراع السياسي فيه بشكل مدني لا عسكري، عبر وسائل حضارية ترتقي بمسار البشرية.

وقد يعرف البعض المجتمع حامل الرسالة أو المجتمع الرسالي على أنه المجتمع الأيديولوجي أو صاحب الفكر السياسي المحدد، وعليه فإنهم يوجهون النقد للدعوة إلى تأسيس مثل هذا المجتمع، ورغم أن هذا التعريف قد يكون على درجة عالية من الصواب إلا أنه لا ينبغي النظر إلى الرسالة أو الأيديولوجيا على أن لها دائماً انعكاساً سلبياً لمصالح خاصة أو طموحات شخصية؛ بل إنها تمتلك قدرة عالية على تأسيس وقيادة الفعل السياسي لتشكل الحياة المادية، ومن ثم لبناء الحضارة.

فالأيديولوجيا كما عرفها أندرو هيوود هي "مجموعة من الأفكار المترابطة بدرجة أو بأخرى، والتي تمثل أساساً لعمل سياسي منظم، سواءً كان الهدف منه حفظ أو تطوير أو هدم نظام توزيع القوة القائم. ومن ثم فإن كل الأيديولوجيات:

أ- تعرض شرحاً وتفسيراً للنظام القائم، عادةً في شكل رؤية عالمية وحضارية.

ب–تقدم نموذجاً للمستقبل المنشود ورؤية للمجتمع الصالح.

ج– تشرح ما يمكن وما ينبغي عمله ليتم هذا التغيير السياسي. بمعنى كيف نتحول من الوضع (أ) إلى الوضع (ب).

وعليه فإن الأيديولوجيا بمثابة نظام موجه للأفكار، فهي ليست سيئة أو جيدة، صحيحة أو خاطئة، واسعة الأفق أو ضيقة، متحررة أو منغلقة، جامدة أو مرنة، فقد تكون خليطاً من كل ذلك.

أما تأثير الرسالة على الحياة السياسية فنلحظه في عدة أمورنذكر بعضها:

أ– توفر منظوراً نرى ونفهم العالم من خلاله. فتجعلنا نراه كما نحلم وتهدينا للعمل من أجل الوصول إلي نموذج ما.

ب–تحدد الأهداف التي تقود وتوجه النشاط السياسي.

ج– كل السياسيين يسعون نحو امتلاك القوة، ولكن الرسالة هي التي تحدد ماذا يفعلون بها عندما يمتلكونها.

د– تشكل طبيعة النظام السياسي.

هـ–تشكل "إسمنت اجتماعي"، فتجمع المجتمع على مجموعة من المعتقدات والأحلام والقيم.

و– تشكل مجموعات أو طبقات اجتماعية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

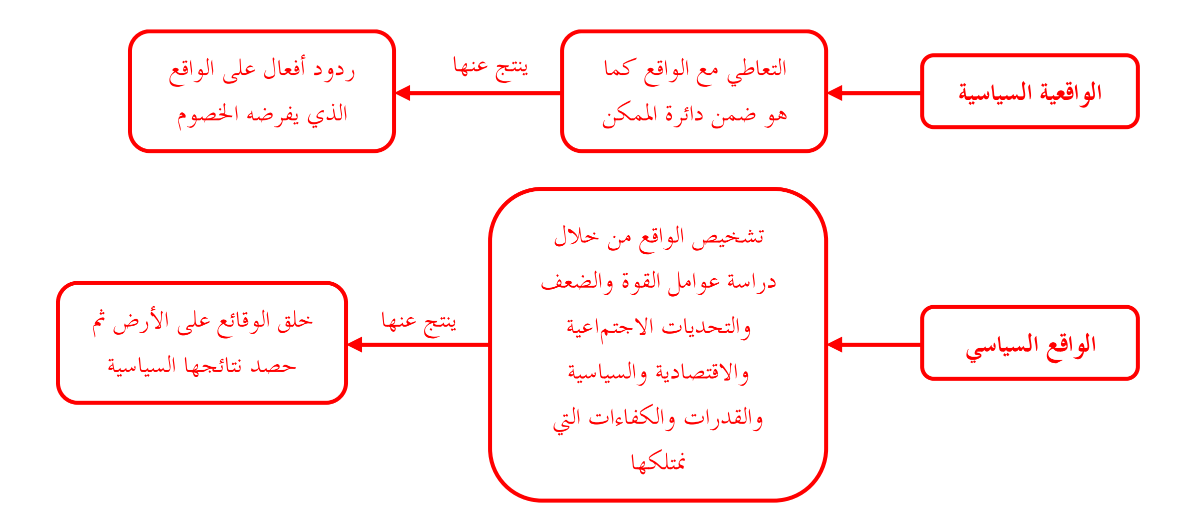
ز– تمثل نوعاً من الضبط الاجتماعي، لأنها – أي الرسالة – تخلق نوعاً من الطاعة بين أعضائها.

وهكذا فإن تأسيس المجتمع الرسالي بالإضافة إلى كونه عاملاً أساسياً وحاسماً في عمليات التحول الاجتماعي فإنه أيضاً واقع نراه في كل حضارةٍ وصلتنا أنباؤها منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا.

2. الفارق بين الواقعية السياسية والواقع السياسي: تستخدم "الواقعية" كمفهوم سياسي للتعبير عن التعامل مع الواقع والانطلاق منه في معالجة القضايا السياسية واليومية. فعندما نطلب من إنسان أن يكون واقعياً؛ فإننا نقصد أن يعيش الواقع ويبتعد عن التحليق بعيداً في عالم الخيال والمثالية. ثم أصبح المفهوم يعد استسلاماً للواقع، وفي ظل واقع فريق من الأحزاب والحركات المترهل التي لا تقوى على مجابهة التحديات بات يرادف الانهزامية. وأصبح الفعل السياسي لهذا الفريق يتسم بالواقعية، وينطلق من رؤية واحدة تتقاطع مع السياسية في مفهومها السلبي وهو فن الممكن.

أما الواقع السياسي فيعني تشخيصاً علمياً للواقع يتم من خلاله دراسة عوامل القوة والضعف على الصعيدين الذاتي والخارجي، وتحديد التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحصر القدرات والكفاءات التي نمتلكها. وبناءً على تحديد علمي واضح بعيداً عن الضبابية يمكن رسم معطيات الاستجابة.

والفارق بين فريق الواقعية السياسية وفريق الواقع السياسي أن الأول يتمثل نشاطه السياسي في ردود أفعال على الواقع الذي يفرضه عليه خصومه، بينما الفريق الثاني يخلق الوقائع على الأرض ثم يحصد نتائجها السياسية. فالفريق الأول يتعاطى مع الواقع كما هو، ويدور في فلكه محاولاً التعامل معه ضمن فن الممكن؛ بينما يحاول الفريق الثاني استنهاض الواقع القائم وتطوير عناصر القوة الذاتية الكامنة فيه، ورفع سقف الممكن، في محاولة جادة لخلق واقع جديد يستطيع من خلاله تحقيق الأهداف المرجوة.



شكل 4: الواقع السياسي والواقعية السياسية

3. درجات فهم الواقع: أشار أفلاطون إلى درجات فهمنا للواقع من خلال المثال التالي: لنفترض أن شجرة تقع على ضفة نهر، وأنت تقف بجانبها تنظر إلى الماء؛ في هذه الحالة سترى الشجرة عبارة عن شبح منطبع في ماء النهر يتماوج بتماوجه، فهذه أدنى درجات معرفتنا بالواقع، ولنسمِّها: "**المعرفة الشبح**".

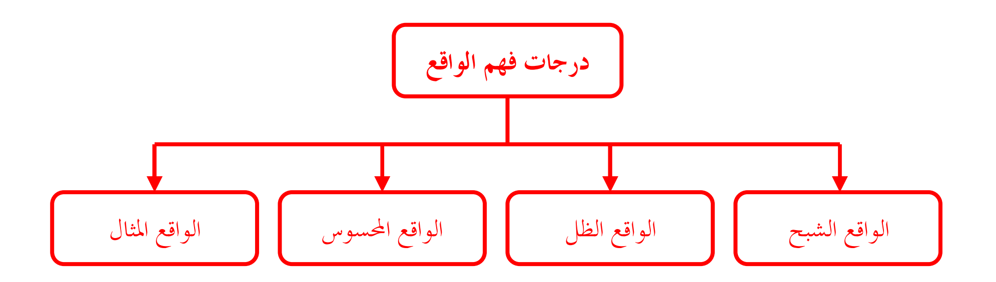
فإذا ابتعدت عن الشجرة قليلاً والتفت إلى الجهة الأخرى، سترى ظلها مرسوماً على الأرض، وهذه درجة من المعرفة بالشجرة أفضل من الأولى، ولنطلق عليها: "**المعرفة الظل**".

أما إذا واجهت الشجرة ونظرت إلى جذعها وأغصانها، فستراها في هذه الحالة كما تمثل أمام عينيك، لنقل صورة على عدسة العين، وهذه معرفة أرقى من الأوليين، لأن ما ينطبع في عينيك ليس شبح الشجرة ولا ظلها بل صورتها المحسوسة، ولنسم هذه: "**المعرفة المحسوسة**".

ولكن الصورة البصرية لا تقدم لك معرفة إلا بهذه الشجرة المشار إليها، التي قد تكون مُورقة وقد لا تكون، مثمرة أو غير مثمرة، نخلة أو سدرة... فهي ليست "الشجرة" بالمعنى العام الذي ينطبق على جميع الأشجار، ليست هي المثال الأكمل لفكرة الشجرة، ليست هي "حقيقة الشجرة". حقيقة الشجرة أو نموذجها الأكمل لا نحصل عليه بالحواس، بل بالعقل، فمن يشاهد أنواعاً مختلفة من الشجر، ستكون معرفته بالشجرة أفضل، أما إذا كان عالماً نباتياً فمعرفته ستكون أكمل، فالحقيقة هي النموذج والمثال. ولنسم هذه الدرجة من الإدراك العقلي: "**المعرفة الحقيقية**".

إذن هناك أربع درجات من "الواقع": الواقع الشبح، والواقع الظل، والواقع المحسوس، والواقع المثال. والسؤال الآن هو: إلى أي نوع من هذه الأنواع الأربعة تنتمي معرفة الأحزاب والحركات بـ "الواقع السياسي "؟ سيكون الجواب – بناء على ما سبق – أن معرفتها بـ "الواقع

السياسي" ستكون تابعة لموقعها منه: هل تنظر إليه في الماء، أم تنظر إلى ظله، أم إلى صورته، أم تفكر فيه بناء على ما هو عليه في حقيقته متجاوزة أشباحه وظلاله وصوره الحسية؟!



شكل 5: درجات فهم الواقع الأربعة

الباب الأول: عبر بوابة الزمان

المحتويات

في كل عقد.. وفي كل قارة.. اعتمد ضحايا الاستبداد استراتيجية غاندي.. القوة التي اكتشفها غاندي غيرت القرن العشرين.

1. النشأة والجذور

كان هنري دايفيد ثوراو[1] من الرواد الذين كتبوا حول حرب اللاعنف – وإن كان قد استعمل مصطلح العصيان المدني –وأشار إلى فكرته في مقاله الشهير "**العصيان المدني**" المنشور في سنة 1849.[2] وقد كتبه عقب امتناعه عن دفع ضرائب الحرب احتجاجاً على العبودية والقمع والاضطهاد والحرب التي كانت تخوضها الولايات المتحدة ضد المكسيك. ولم يكن الامتناع عن دفع الضرائب بالفكرة الجديدة؛ وإنما استعملها مناهضو الاسترقاق وآخرون غيرهم. وكذلك لجأ كارل ماركس إلى هذه الفكرة حين حاول أن ينظم حملة لإقناع الأوربيين بعدم دفع الضرائب خلال الثورة التي اجتاحت أوروبا عام 1848م.

ورغم أن أولى الكتابات المتعلقة بهذه الفكرة قد ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر؛ إلا أن جذور حرب اللاعنف تمتد في عمق التاريخ، فهناك أمثلة لاستخدام هذا النوع من الحروب ترجع للعصر الروماني، ففي عام 494 قبل الميلاد ثارت الجماهير في الدولة الرومانية القديمة على ظلم القناصلة الذين كانوا يحكمونها. ولم تلجأ الجماهير إلى قتل القناصلة بهدف رد المظالم؛ بل انسحبوا من المدينة إلى تل سُمِّي بعد ذلك "الجبل المقدس"، وظلوا هناك عدة أيام

---

[1] هنري ديفيد ثوراو فيلسوف وكاتب ومنظر أمريكي، ولد في عام 1817م، ودرس في جامعة هارفارد في الفترة من 1833م وحتى 1837م. قاد جده لوالده طلاب جامعة هارفارد فيما يعرف بثورة الزبد في عام 1733م، وهي التي تعد أول تمرد طلابي في التاريخ المسجل للولايات المتحدة الأمريكية. كانت لثوراو مواقف مضادة للحرب المكسيكية والعبيد والضرائب سجن بسببها، وهو أول من ابتدع مصطلح "العصيان المدني" وبدأ في التنظير له، وتأثر بفلسفته وأفكاره كبار دعاة اللاعنف مثل ليو تولستوي وغاندي ومارتن لوثر كينج.

[2] Thoreau, H.D., "Civil Disobedience," The Selected Works of Thoreau, Walter Harding, ed. (Boston: Houghton Mifflin Company, 1975). 2. Ibid., p. 796.

رافضين المشاركة في الحياة المدنية حتى تم إصلاح الأوضاع والموافقة على مطالبهم.[1] وفي حادثة مشابهة عاد الجيش الروماني عام 258 قبل الميلاد بقيادة "ثيودور مومسن" من ميدان المعركة ليجد الاقتراحات التي قُدِّمَتْ من أجل إجراء العديد من الإصلاحات قد تم عرقلتها في مجلس الشيوخ، وبدلاً من استخدام الحرب العسكرية تقدم الجيش واحتل "الجبل المقدس"، وهدد بإقامة مدينة رومانية جديدة بديلة لروما، وعلى إثر هذه الحادثة تراجع مجلس الشيوخ ووافق على الإصلاحات.[2]

ورغم أن المؤرخين قد رصدوا لنا بعض حركات اللاعنف ما بين العصور الرومانية وحتى القرن الثامن عشر؛[3] إلا أننا سنركز في سردنا لبعض نماذج حركات اللاعنف على حقبة القرن العشرين، حيث اهتزت الخارطة العالمية اهتزازاً، وشهدت القارات موجات تغييرية عارمة، وظهرت تيارات وحركات ترفع ألوية حرب اللاعنف. معلنة إمكانية الفعل، والإحساس بعظمة الذات، صارخة بالرغبة في التحدي والرفض والعصيان. لقد شهد القرن العشرين وحده تجليات رائعة لكلمة "لا". كما أن هذا القرن شهد تبلور مفهوم المقاومة اللاعنيفة بشكل أكثر وضوحاً ومنهج أكثر علمية.

أولاً: القارة الآسيوية:

- استخدمت الثورة الروسية هذا الأسلوب في أوائل القرن العشرين في عام 1905،[4]

[1] F. R. Cowell, The Revolutions of Ancient Rome (New York: Frederick A. Praeger, 1962, and London: Thames and Hudson, 1962), pp. 42-43. Cowell's account is based on Livy.

2 Theodor Mommsen, The History of Rome, trans. William Purdie Dickson. rev, ed, (London: Richard Bentley & Son, 1894), vol, 1, pp. 346-350. An excerpt appears in Mulford Q. Sibley, ed., The Quiet Battle: Writings on the Theory and Practice of Non-violent Resistance (Garden City, N.Y.: Doubleday, Anchor Books, 1963), pp. 108-110.

[3] مثل المقاومة الهولندية للحكم الأسباني في الفترة ما بين عامي 1565 و 1576، ومقاومة المستوطنين الأمريكيين للحكم البريطاني في الفترة السابقة لعام 1775، ومقاومة المجريين للحكم النمساوي في الفترة ما بين عامي 1850 و 1867.

[4] لمعرفة الأحداث العامة للثورة الروسية يمكن الرجوع إلى ملحق التجارب التغييرية صـ 196.

• كما استخدمت النقابات العمالية في البلدان المختلفة الإضرابات والمقاطعات الاقتصادية،[1] حيث قاطع الصينيون المنتجات اليابانية في أعوام 1908 و1915 و 1919،[2]

• وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين استخدم المواطنون الهنود حرب اللاعنف في كفاحهم ضد الحكم البريطاني تحت قيادة موهنداس كارماند غاندي،[3] وساهم هذا الكفاح المعروف في حصول الهند على استقلالها عام 1947،[4]

• وفي السبعينيات تخوض الثورة الإيرانية ملحمة من ملاحم اللاعنف انتهت بسقوط نظام الشاه الديكتاتوري عام 1979م،[5]

• وفشلت محاولة الشيوعيين المتشددين عام 1991 للإطاحة بالنظام في موسكو نتيجة عدم التعاون والتمرد،

• كما أسقطت ديكتاتورية ماركوس في الفلبين بواسطة التمرد اللاعنيف عام 1986،[6]

• وفي شهري يوليو وأغسطس من عام 1988 احتج البورميون الديمقراطيون على الديكتاتورية العسكرية باستخدام المسيرات والعصيان، مما أدى إلى إسقاط ثلاث حكومات، وانتهى هذا الكفاح اللاعنيف بقيام انقلاب عسكري جديد وبمذبحة شعبية،

---

[1] للاطلاع على مفهوم المقاطعة الاقتصادية انظر المفاهيم في نهاية الباب الأول ص 51.

[2] لمعرفة الأحداث العامة للمقاومة الصينية للغزو الياباني يمكن الرجوع إلى ملحق التجارب التغييرية صـ 198.

[3] كان غاندي مستاءً لتقسيم القارة الهندية الى دولتين (الهند وباكستان) وتألم بسبب أعمال العنف التي بدأت بين المسلمين والهندوس إثر تقسيم البلاد. وراح يدعو الى إعادة توحيد الدولتين ووقف أعمال العنف. وفي 13 يناير عام 1948 بدأ غاندي صياماً عن الطعام من أجل إحلال السلام بين كافة شعوب القارة الهندية من مسلمين وهندوس وسواهم. وفي الثامن عشر أعلن زعماء الأطراف المختلفة عزمهم على وقف القتال فأنهى غاندي صيامه، ولكن بعد 12 يوماً (30 يناير) وفيما غاندي في طريقه إلى الصلاة في معبد في نيودلهي أطلق عليه أحد المتطرفين الهندوس ثلاث رصاصات قاتلة احتجاجاً على دعوته الهندوس إلى التعايش مع سواهم من المجموعات الدينية والعرقية.

[4] لمعرفة بعض الملامح المقاومة الهندية للاحتلال البريطاني يمكن الإطلاع على التجربة الهندية في ملحق التجارب التغييرية صـ 200.

[5] لمعرفة الأحداث العامة للثورة الإيرانية يمكن الإطلاع على التجربة الإيرانية في ملحق التجارب التغييرية صـ 203.

[6] لمعرفة الأحداث العامة للثورة الفلبينية يمكن الإطلاع على الثورة الفلبينية في ملحق التجارب التغييرية صـ 216.

- وفي عام 1989 قاد الطلاب الصينيون الاحتجاجات الرمزية ضد الفساد والقمع الحكوميين في أكثر من ثلاثمائة مدينة شملت بكين (ساحة تيانانمن)، وهي الاحتجاجات التي انتهت بالتدخل العسكري وقتل الكثير من المحتجين.

ثانياً: القارة الإفريقية:

- وفي إبريل من عام 1961 أدى رفض الجنود الفرنسيين للتعاون مع سلطات الانقلاب العسكري في الجزائر – المستعمرة الفرنسية حينذاك – وما واكبه من مظاهرات حاشدة في باريس ومن رفض لحكومة ديجول لهذا الإنقلاب، أدى كل هذا إلى إحباط الانقلاب العسكري في الجزائر والذي كان من المخطط – في حال نجاحه – أن يليه انقلاب آخر في باريس،[1]
- كما لعبت الاحتجاجات اللاعنيفة والمقاومة الجماهيرية دوراً مهماً في تقويض سياسات التمييز العنصري والهيمنة الأوروبية في جنوب أفريقيا خاصة في الفترة ما بين عامي 1950 و 1990،[2]

ثالثاً: القارة الأوروبية:

- استخدم الألمان أعمال اللاعنف في مواجهة العصيان المسلح الذي حدث في عام 1920،[3]
- وفي مواجهة الاحتلالين الفرنسي والبلغاري لحوض نهر الرور *Ruhr* عام 1923،[4]

[1] لمعرفة الأحداث العامة للانقلاب العسكري في الجزائر يمكن الرجوع إلى التجربة الفرنسية في الجزائر في ملحق التجارب التغييرية صـ 220.

[2] للتعرف على بعض ملامح الكفاح الشعبي في جنوب إفريقيا ضد سياسات التمييز العنصري يمكن الإطلاع على تجربة جنوب إفريقيا في ملحق التجارب التغييرية صـ 221.

[3] لمعرفة المسار العام للمقاومة الشعبية الألمانية للانقلاب العسكري يمكن الرجوع إلى التجربة الألمانية في مواجهة الانقلاب في ملحق التجارب التغييرية صـ 224.

[4] في يناير من عام 1923، تقاعست ألمانيا عن دفع تعويضات الحرب المنصوص عنها في معاهدة فرساي، فقامت القوات الفرنسية والبلجيكية باحتلال الرور لضمان الدفع. فردت الحكومة الألمانية على ذلك معلنة "المقاومة السلبية" لحرمان المحتلين من أي مردود للعمل داخل هذه المنطقة. وهذا ما أوقع ألمانيا كلها في فوضى مالية واقتصادية كبيرة، وأخذ التضخم المالي يتزايد بسرعة هائلة. ومنذ شهر مايو من السنة نفسها شهدت ألمانيا تحركات عمالية واسعة النطاق أكثر فأكثر، وهو ما أدى إلى انسحاب فرنسا من المناطق التي احتلتها مقابل وقف الحكومة الألمانية "للمقاومة السلبية". ولقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

• وفي الفترة من عام 1940 وحتى 1945 استخدمت جماهير العديد من الدول الأوروبية – خاصة النرويج والدانمارك[1] وهولندا[2] – الكفاح اللاعنيف لمقاومة الاحتلال والحكم النازي، وهو الكفاح الذي تمكن من إضعاف قبضة الحكم النازي. وتعد التجربة النرويجية من أكثر تلك التجارب نجاحاً،[3]

• وفي عامي 1968 و 1969 تمكن التشيك والسلوفاك عقب اجتياح حلف وارسو لأراضيهم من إيقاف السيطرة السوفيتية الكاملة لمدة ثمانية أشهر عبر استخدامهم الكفاح اللاعنيف ورفض التعاون،[4]

• وشهدت الفترة ما بين عامي 1953 وحتى 1990 الاستخدام المتكرر للكفاح اللاعنيف من أجل مزيد من الحرية من قبل المعارضين للأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية، وخاصة في كل من ألمانيا الشرقية وبولندا والمجر ودول البلطيق.

• ففي بولندا بدأ كفاح حركة التضامن عام 1981 باستخدام الإضرابات لدعم مطالب العمال بنقابات عمالية شرعية وحرة، وهو الكفاح الذي انتهى بسقوط النظام الشيوعي البولندي في عام 1989. [5]

• كما وقف الكفاح اللاعنيف وراء سقوط الديكتاتوريات الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا عام 1989 وفي ألمانيا الشرقية وإيستونيا ولاتفيا وليتوانيا عام 1991.

- Wolfgang Sternstein, “The Rhurkampf of 1923: Economic Problems of Civilian Defense,” in Adam Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense: Nonviolent Action Against Aggression (Harrisburg, Pa.: Stackpole Books, 1968).
- Halperin, Germany Tried Democracy, pp. 246-260 and pp. 288-289.
- Eyke, A History of The Weimar Republic, vol. 1, pp. 232-306 passim.

[1] Jeremy Bennett, "The Resistance During the German Occupation of Denmark 1940-5," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense, pp. 154-172; Br. Ed.: The Strategy of Civilian Defense, pp. 154-177.

[2] Warmbrunn, The Dutch Under German Occupation 1940-1945.

[3] للاطلاع على الأحداث العامة للمقاومة النرويجية يمكن الرجوع إلى ملحق التجارب التغييرية صـ 226.

[4] للاطلاع على الأحداث العامة للمقاومة التشيكية يمكن الرجوع إلى ملحق التجارب التغييرية صـ 229.

[5] لمعرفة الأحداث العامة للتجربة البولندية يمكن الاطلاع على ملحق النماذج التغييرية صـ 230.

● أما في كوسوفو فقد شن المواطنون الألبان في الفترة ما بين عامي 1990 و 1999 حملة لا تعاون ضد الحكم الصربي القمعي، وعندما عجزت الحكومة القائمة في كوسوفو عن وضع استراتيجية لاعنيفة من أجل الحصول على الشرعية والاستقلال لجأ جيش تحرير كوسوفو إلى خيار العنف مستخدماً أسلوب حرب العصابات، وهو ما أعقبه حملة قمع صربية وحشية ومذابح جماعية – سياسة التطهير العرقي – تلك السياسة التي أدت إلى تدخل حلف الناتو (حلف شمال الأطلسي) وإلى القصف الجوي.

● وبدءاً من نوفمبر من عام 1996 قام الصرب بمسيرات واحتجاجات يومية في بلجراد ومدن صربية أخرى ضد الحكم المطلق والمستبد للرئيس الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش، واستطاعوا إيقاف التلاعب بنتيجة الانتخابات التي جرت في منتصف شهر يناير من عام 1997، ومع ذلك فقد فشل الصربيون المنادون بالديمقراطية – حينذاك – في وضع استراتيجية تمكنهم من الاستمرار في الكفاح، كما فشلوا في إطلاق حملة للإطاحة بديكتاتورية ميلوسوفيتش،

● ولكن في بدايات شهر أكتوبر من عام 2000 تمكنت حركة أوتبور (وهي كلمة تعني المقاومة باللغة الصربية) والمجموعات الأخرى المنادية بالديمقراطية من الوقوف مرة أخرى في وجه ميلوسوفيتش عبر خوض الكفاح اللاعنيف – ولكن بأسلوب مخطط ومتأنٍ هذه المرة – وهو الكفاح الذي انتهى بإسقاط الديكتاتورية.[1]

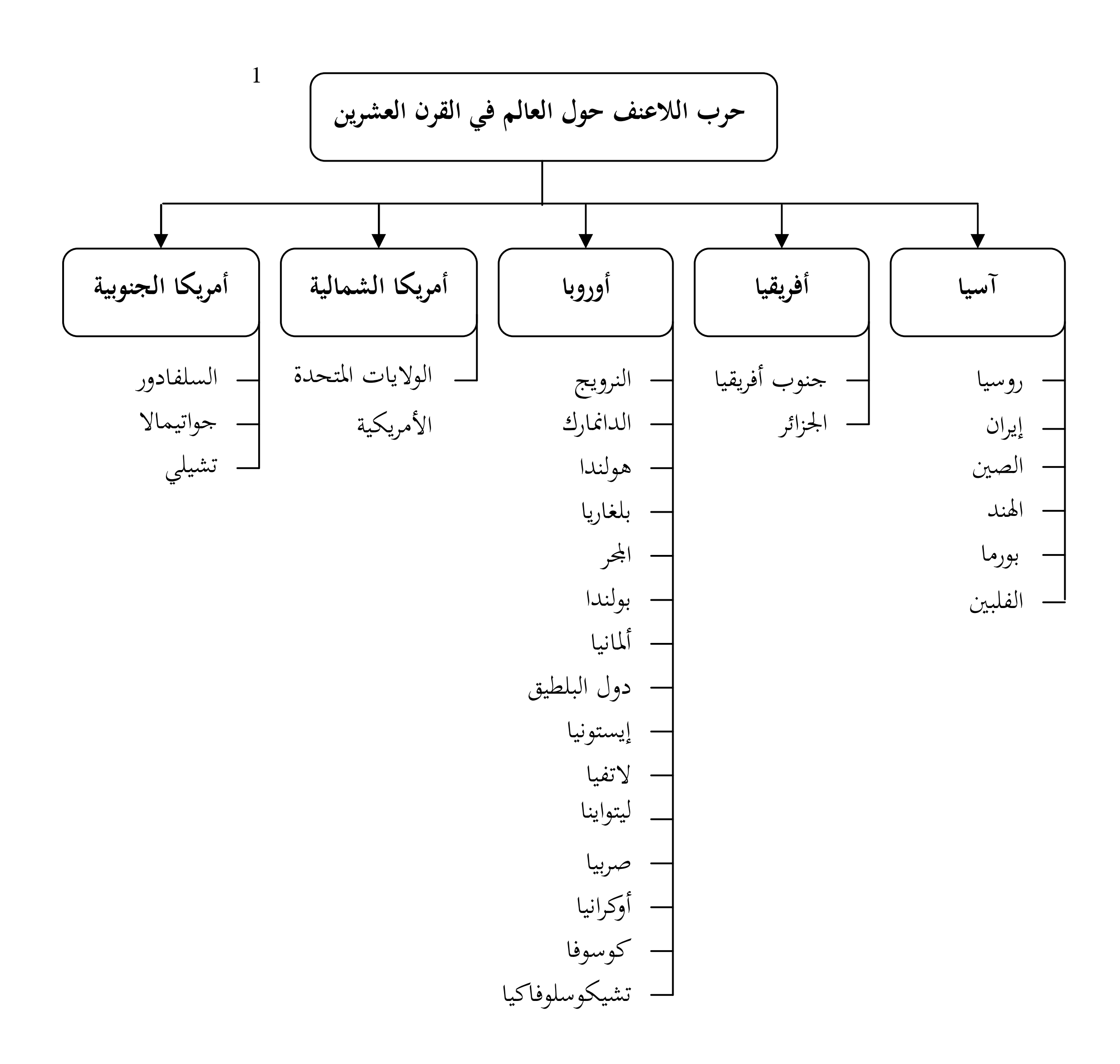
رابعاً: الأمريكتين:

● وفي ربيع عام 1944 أُطيح بالنظامين العسكريين الديكتاتوريين في كل من السلفادور وجواتيمالا باستخدام الكفاح اللاعنيف.[2]

[1] لمعرفة أحداث التجربة الصربية يمكن الرجوع إلى ملحق التجارب التغييرية صـ 235.
[2] لمعرفة الأحداث العامة لتجربة جواتيمالا يمكن الإطلاع على ملحق النماذج التغييرية صـ 240.

- كما استطاع مناضلو حركات الحقوق المدنية الأمريكية ضد التمييز العنصري المتطرف تغيير القوانين والسياسات المتبعة منذ وقت طويل في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام الكفاح اللاعنيف،[1]
- وتمكنت الجماهير التشيلية من هزيمة الديكتاتور بينوتشيه عام 1987.[2]

[1] لمعرفة الأحداث العامة لتجربة الحقوق المدنية بجنوب أمريكا يمكن الإطلاع على ملحق النماذج التغييرية صـ 244.
[2] لمعرفة الأحداث العامة لتجربة تشيلي يمكن الإطلاع على ملحق النماذج التغييرية صـ 249.



شكل 6: حرب اللاعنف حول العالم

[1] اقتصرنا في سرد التجارب التغييرية على تلك التي وردت في الكتاب في طبعته الأولى، وهي تلك التجارب شهدها العالم حتى نهاية القرن العشرين، ولم نضف إليه تجارب الثورات العربية المختلفة لأنها تجارب تحتاج إلى دراسة مفصلة وخاصة بها.



شكل 7: حرب اللاعنف حول العالم

اللون الداكن يرمز للمناطق التي حدث فيها صراع لاعنيف في القرن العشرين

2. نتائج حرب اللاعنف حول العالم

	الدولة	القارة	التحدي	الاستجابة	النتيجة
1	روسيا	آسيا	ديكتاتورية القيصر	حرب اللاعنف	نجحت
2	الصين	آسيا	الاحتلال الياباني	حرب اللاعنف	نجحت
3	الهند	آسيا	الاحتلال البريطاني	حرب اللاعنف	نجحت
4	إيران	آسيا	ديكتاتورية الشاه	حرب اللاعنف	نجحت
5	روسيا	آسيا	محاولة المتشددين الإطاحة بالحكومة	حرب اللاعنف	نجحت
6	الفلبين	آسيا	ديكتاتورية ماركوس	حرب اللاعنف	نجحت
7	بورما	آسيا	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	فشلت
8	الصين	آسيا	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	فشلت
9	الجزائر	إفريقيا	انقلاب عسكري	حرب اللاعنف	نجحت
10	جنوب إفريقيا	إفريقيا	التمييز العنصري	حرب اللاعنف	نجحت
11	ألمانيا	أوروبا	انقلاب عسكري	حرب اللاعنف	نجحت
12	ألمانيا	أوروبا	غزو فرنسي بلغاري	حرب اللاعنف	نجحت
13	النرويج	أوروبا	الاحتلال النازي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
14	الدانمارك	أوروبا	الاحتلال النازي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
15	هولندا	أوروبا	الاحتلال النازي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
16	تشيكوسلوفاكيا	أوروبا	غزو سوفيتي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
17	ألمانيا الشرقية	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
18	بولندا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
19	المجر	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
20	إيستونيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
21	لاتفيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
22	ليتوانيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
23	تشيكوسلوفاكيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
24	كوسوفا	أوروبا	الاستقلال عن صربيا	حرب اللاعنف	فشلت
25	السلفادور	أمريكا	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت

		الجنوبية			
26	جواتيمالا	أمريكا الجنوبية	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
27	تشيلي	أمريكا الجنوبية	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
28	الولايات المتحدة الأمريكية	أمريكا الشمالية	سياسات التمييز العنصري	حرب اللاعنف	نجحت

جدول 1: التجارب التاريخية وفيه تبيان لنسبة نجاح الحركات التي تبنت حرب اللاعنف خلال القرن العشرين، 71% نجاح كلي، 11% نجاح جزئي، 18% فشلت، وبذلك تكون نسبة النجاح بصفة عامة حوالي 82%

ويشير الجدول السابق إلى أن حرب اللاعنف:

1. تم استخدامها في أغلب قارات العالم.
2. تم استخدامها في مختلف الثقافات.
3. تمكنت من التعامل مع القضايا المصيرية المختلفة كالديكتاتوريات الأيديولوجية، والديكتاتوريات العسكرية، والغزو والاحتلال الأجنبي، والانقلابات العسكرية، وسياسات التمييز العنصري.
4. نسبة نجاحها في تحقيق أهداف حركات المطالبة مرتفعة. فمن بين ثمانية وعشرين حالة نجحت عشرون حالة في تحقيق أهدافها، وهو ما يعادل 71.4%. ونجحت خمس حالات في تحقيق أهداف ومكاسب جزئية، وهو ما يعادل 17.8%. بينما فشلت ثلاث حالات في تحقيق أهدافها وهو ما يعادل 10.7%.

وبالرغم من أن هذا الجدول لا يمثل إحصائيةً دقيقةً وحصراً شاملاً لجميع الحالات التي استخدمت فيها حرب اللاعنف؛ إلا أنه يسرد لنا أشهر تلك الحالات التي استخدمت فيها في القرن الماضي، والتي ذكرها المؤرخون والمحللون، وتناولتها المراجع المختلفة بالشرح والتحليل.

3. حركات المقاومة والتدخل الأجنبي

وقد يعترض بعض الغيورين من أبناء الأمة العربية والإسلامية على بعض هذه الحالات أو النماذج التاريخية، معللين اعتراضهم بأن هذه الثورة أو تلك المقاومة كانت نجاحاتها نتاج تدخل القوى الخارجية، ونحب أن نشير هنا إلى عدة نقاط:

الأولى: أن الثورة والسخط الشعبي ينتجان – في أغلب الأحوال – عن أداء النظام الحاكم وليس عن تدخل القوى الخارجية. فأسباب الثورات داخلية بالدرجة الأولى وليست خارجية. وهو ما

نلحظه من الاستقراء التاريخي لأغلب تلك التجارب. فالأنظمة المستبدة هي من يشعل الثورات بظلمها وتجاهلها المطالب المشروعة للشعوب.

الثانية: قلما توجد حركة لا تتجنب أن توصم بأنها صنيعة الأجنبي، فلا يلجئها إلى الأجنبي إلا حاجتها إلى ما يملك من أدوات أو نفوذ لا تجدها إلا لديه مع غياب البديل الداعم.

الثالثة: أن حرب اللاعنف تشبه تماماً الحرب العسكرية النظامية وحرب العصابات في بنيتها، فهي تحتاج بالإضافة لخطوط المواجهة خطوط الدعم الفني والتدريبي، والبنية المالية والخبراء والاستشاريين الذين يمثلون أركان غرفة عملياتها، وهم الذين يرسمون لها المسار والاستراتيجيات ويحددون شكل الدعاية وغيرها.

الرابعة: أن مصالح الدول متشابكة متداخلة، وهناك الكثير من التقاطعات حتى بين الأيديولوجيات المختلفة.

ومن هذه النقاط نلاحظ أن القوى الخارجية لا تصنع الثورات (النقطة الأولى)، ولكنها تنفذ إلى الأجندة الوطنية والداخلية من خلال تلبية احتياجات المقاومة، المتمثلة في تدريب النشطاء وتوفير الغطاء الدولي أحياناً، بالإضافة إلى الدعم المالي والفني والاستشارات (النقطتان الثانية والثالثة)، كما تنفذ إلى الداخل من خلال تقاطع المصالح بين تلك القوى الخارجية وبين القوى الوطنية لتحقق بعضاً من مصالحها وتحقق القوى المعارضة بعضاً من أهدافها (النقطة الرابعة).

4. الحركة التغييرية ومنع التدخل الأجنبي

وهنا يتبادر سؤال... هل من سبيل لمنع التدخل الأجنبي؟

إن من أهم الواجبات – لسد الطريق أمام تدخل القوى الأجنبية – بناء المشاريع والمؤسسات القادرة على سد احتياجات حركات المقاومة المالية والفنية والثقافية والتأهيلية والاستشارية والإعلامية، ليكون التعامل مع القوى الخارجية – وهو أمر لا مفر منه نتيجة التقاطعات والتشابكات بين الدول – من موقع الندية لا التبعية، ومن موقع التعايش لا الحاجة. وهو ما يمكن حركات التغيير من استقلال القرار، فالحركات تستقل عن الخارج بقدر قدرتها على تلبية حاجاتها محلياً.

أما الاكتفاء باتهام الحركات التغييرية المقاومة بالتجائها إلى القوى الخارجية دون محاولة سد احتياجاتها الحقيقية وبناء البنية التحتية الضرورية للحركة التغييرية بعمومها فلن يغير من الواقع شيئاً، حيث ستظل القوى الأجنبية قبلة لبعض الحركات المقاومة وأملها في الضغط على الداخل ما لم ينجح المهتمون باستقلال القرار من تلبية الاحتياجات محلياً.

الخلاصات العملية

- دراسة التجارب التغييرية التاريخية الناجحة والفاشلة بعين الناقد المتعلم الذي يبحث عن الفائدة لا بعين الناقد المتربص الذي يريد أن يسلب من كل تجربة أية فائدة فيها.
- دراسة منهجية الفعل في التجارب والاستفادة من استيعاب المنطق الذي حكم عمليات التغيير، دون التفكير في استنساخ التجارب أو نقلها بشكل حرفي.
- الانتقال من مقعد الاعتراض القلبي واللفظي إلى ساحة الفعل، عبر بناء البنية التحتية الضرورية للحركات التغييرية، لسد الطريق أمام التدخل الأجنبي.

مفاهيم

1- المقاطعة الاقتصادية: تُعرف المقاطعة الاقتصادية وفقاً لقاموس القانون الدولي والقاموس الدبلوماسي على أنها "إجراء تلجأ إليه سلطات الدولة أو هيئاتها وأفرادها المشتغلون بالتجارة لوقف العلاقات التجارية مع دولة أخرى، ومنع التعامل مع رعاياها بقصد الضغط الاقتصادي عليها، رداً على ارتكابها لأعمال عدوانية".

ويُعرِّفها جيرهارد فان غلان: "شكل حديث من الإجراءات الانتقامية، يشمل تعليق التعامل والعلاقات التجارية من جانب رعايا الدولة المتضررة مع رعايا الدولة المسيئة".

ويفرق القانونيون الدوليون بين المقاطعة الاقتصادية وبين وسيلتي الضغط الاقتصادي الأخريين (الرد بالمثل) و(الأعمال الانتقامية)، فيقولون إن المقاطعة الاقتصادية قد تصدر من قبل الأفراد العاديين، بينما لا يصدر (الرد بالمثل) و(الأعمال الانتقامية) إلا عن طريق الدول والحكومات. ومثلهما (الحظر الاقتصادي) الذي يعني منع الصادرات المتجهة إلى دولة أو مجموعة دول معينة بصفة كاملة أو جزئية.

الباب الثاني: حول مفهوم حرب اللاعنف

المحتويات

بعد أن ولجنا معاً عبر بوابة الزمن، وطفنا حول قارات العالم المختلفة، وتعرفنا على بعض التجارب التغييرية التي استخدمت فيها حرب اللاعنف طوال القرن الماضي، حان الوقت للاقتراب من حرب اللاعنف للتعرف عليها مباشرةً، ليس من خلال النماذج التاريخية ولكن من خلال فهم فلسفتها وطريقة عملها.

1. ما هي حرب اللاعنف؟

مصطلحات

استعملت عدة مصطلحات للتعبير عن استخدام أسلوب اللاعنف، مثل "قوة الحقيقة"، و"الاحتجاج السلمي"، و"المقاومة السلمية"، و"المقاومة المدنية السلمية"، و"المقاومة السلبية"، و"المقاومة غير العسكرية"، و"العصيان غير المسلح"، و"العصيان المدني"، و"اللاتعاون"، و"المقاومة اللاعنيفة"، و"اللاعنف". وسنتناول أهم هذه المصطلحات بالتعريف:

أما "**قوة الحقيقة**" فتعني قوة الروح، وقوة المحبة، وكان غاندي يطلق عليها "ساتياغرها"، وهي تستبعد استخدام العنف لأن الإنسان غير قادر على معرفة الحقيقة المطلقة، وبالتالي فهو لا يستحق العقوبة.[1] فما يبدو صحيحاً لشخص يبدو خطأ لآخر، و أطلق عليها غاندي قوة الحب، حيث استنتج من تجربته أن الإقناع بالحقيقة لا يتم من خلال استخدام العنف مع الخصم، ولكن من خلال فطامه عن الخطأ بالصبر والعطف. والصبر يعني تحمل المعاناة الشخصية، لذلك جاء مذهبه ليعني إظهار الحقيقة، ليس من خلال التسبب في معاناة الخصم، ولكن من خلال إظهار معاناة الذات، فيرى أنك في العمل السياسي عندما ترى قوانين غير عادلة، وتفشل في إحداث التغيير من خلال العرائض وما شابه، إن قررت ألا تصمت على الخطأ فبإمكانك

[1] Gandhi, Satyagraha, Civil Disobedience, Passive resistance, Non-co-operation, Young India:23-3-1921.

مقاومته بالعنف، أو من خلال إظهار المعاناة.[1] والقوة المسلحة تعني أن تقول لخصمك إذا لم تحقق مطالبنا سنؤلمك، أما قوة المحبة وقوة الروح فتعني أن تقول له إن لم تحقق مطالبنا لن نمنحك أصواتنا، ولن نكون مواطنيك، لن تستطيع أن تحكمنا، ولن نتعامل معك مرة أخرى.[2]

أما "**المقاومة السلبية**" فهي وسيلة لحماية الحقوق، من خلال إظهار المعاناة الشخصية، والاعتماد على قوة الروح لا قوة الجسد[3]، وعلى القوة المعنوية لا المادية. وتعتمد على تحمل العواقب والصبر عليها وليس المواجهة المباشرة. مثل عدم تنفيذ القانون الجائر وتحمل عواقب ذلك. وتتوافق "المقاومة السلبية" مع فكرة التضحية وتحمل المعاناة في الحس المسيحي، والتي تجسدت في شهداء المسيحية[4] في عصور الاضطهاد، كذلك من أمثلتها رفض غاندي مواجهة الخصوم بشكل مباشر، والاعتماد على تحمل الضربات وإظهار الألم. وينظر البعض إليها كسلاح الضعفاء الذيت يخشون المواجهة. بينما يراها آخرون أعظم تجسيد لسلاح الضمير.

أما "**العصيان المدني**" فهو انتهاك للقانون اللاأخلاقي، وهو مصطلح يعود بعيداً إلى هنري ديفيد ثوارو، حيث استخدمه للدلالة على أسلوبه الذي اختاره لمقاومة القانون في دولة العبيد.[5]

أما "**اللاتعاون**" فيعني سحب التعاون من الدولة التي هي في وجهة نظر غير المتعاونين فاسدة. ويُستثنى من هذا الأسلوب العصيان المدني الحاد المنتهك للقانون اللاأخلاقي، والذي لا يستطيع كل فرد القيام به وتحمل عواقبه. و"اللاتعاون" أسلوب يمارس بعلانية، وهو مفتوح

[1] Gandhi, Satyagraha, Civil Disobedience, Passive resistance, Non-co-operation, Young India:14-1-1920.
[2] M. K. Gand, Non-Violent Resistance (Satyagraha). Publisher: Schocken Books. Place of Publication: New York. Publication Year: 1961. Page Number: 14.
[3] M. K. Gand, Non-Violent Resistance (Satyagraha). Publisher: Schocken Books. Place of Publication: New York. Publication Year: 1961. Page Number: 17.
[4] Gandhi, Satyagraha, Civil Disobedience, Passive resistance, Non-co-operation, Young India:23-3-1921.
[5] نفس المصدر السابق.

بطبيعته بحيث يمكن أن يشارك فيه الأطفال، وتمارسه الجماهير بأمان.[1]ومن أشكاله المقاطعة الاقتصادية، والمقاطعة السياسية كمقاطعة الانتخابات أو رفض تقلد المناصب الحكومية، ومقاطعة المنظمات التي تدعمها الحكومة.

أما ظاهرة "**اللاعنف**" فقد تعرض لها علماء الاجتماع والسياسة، وحاولوا إيجاد تعريف لها:

1. حيث يُعرِّف العالم بتريم سوروكن ظاهرة اللاعنف بأنها "**عبارة عن سلوك مسالم وهادىء يجنح نحو التفاهم والود والانسجام مع الآخرين، ويتجنب القوة والصدام مع المناوئين والخصوم، حتى ولو كلف ذلك بعض الخسائر المادية والاعتبارية للطرف الذي يتوخى التهدئة والسلام**".[2]

2. أما الفيلسوف البريطاني برتراند رسل فيُعرِّف اللاعنف بأنه "**سلوك عقلاني يهدف إلى تفادي الصراع مع طرف معين أو أطراف محددة، بغية إحلال السلام والوئام والانسجام مع الجهات التي قد تكون سبباً من أسباب التوتر والقلق، وإقناع الآخرين بأن النزاع والحروب يؤديان إلى الكثير من الخسائر المادية والبشرية**".[3]

3. أما غاندي فيُعرِّف اللاعنف بأنه "**سلوك لا ينطوي على حب من يحبوننا فقط؛ بل يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث إن اللاعنف يبدأ من اللحظة التي نشرع فيها بحب من يكرهوننا**".[4]

4. ويُعرِّف المفكر الفرنسي جان ماري مولر ظاهرة اللاعنف بأنها "**ضرب من ضروب الوعي الاجتماعي والثقافي الذي يجعل الفرد يعترف بحقه وحق الآخرين عليه. ومثل هذا الاعتراف هو الذي يقدح شرارة اللاعنف التي تضع حداً للاستغلال والاحتكار والنزاع والحرب**".[1]

---

[1] نفس المصدر السابق.

[2] Sorokin Pitirim, Sociology of Revolution, (New York: the free press, 1983, 2nd edition), PP.45 – 46.

[3] Russell B., Peace and Non-Violence in the west London, 1982, 2nd Ed., P. 51.

[4] المهاتما غاندي، كل البشر أخوة، ترجمة د . أنطوان أبو زيدة، الطبعة الأولى، شركة دار الجديد، 1997، ص37.

5.أما جين شارب فيُعرِّف اللاعنف بأنه "**ممارسة حضارية تفرض على الجهة التي تعتمدها في حل مشكلاتها وصراعاتها مع الآخرين انتهاج أساليب إنسانية سلمية، تعتمد على التهدئة والمهادنة والتنازل عن بعض الحقوق في سبيل التوصل إلى حل النزاعات التي تحقق طموحات ومصالح الأطراف المتخاصمة دون اللجوء إلى العنف كخيار لحل المشكلات والأزمات**".[2]

وموضوع هذا الكتاب "حرب اللاعنف" يتناول لوناً من الممارسة السياسية، يختلف عن ما تحمله هذه المصطلحات منفردة من معان:

فالمصطلحات التي تضمنت كلمات من قبيل "**المحبة**" و"**الحقيقة**" – كقوة المحبة– لا تعبر عن جوهر قوة العمل اللاعنيف، فالعمل اللاعنفي بحسب تعبير جان ماري مولر "**ليس برهان محبة، إنما هو برهان قوة... وهو التفتيش الدائم عن وسائل وتقنيات للنضال تكون أكثر تناغماً مع المحبة وأشد احتراماً للحقيقة**"[3]. وقد حلل ماكس فيبر حملة الملح لغاندي، ووجد أن قوة الحقيقة لم تؤثر في قوات القمع.[4]

والمصطلحات التي تضمنت كلمة "**المقاومة**" – كالمقاومة السلمية– توحي بالطابع الدفاعي ورد العدوان، وهو أمر يختلف مع "حرب اللاعنف" التي نميل إلى أن نعطيها الطابع الإيجابي، فالحق ليس في معركة دفاعية ضد الباطل، بل لديه من الجرأة الهجومية ما تجعله يلاحق الباطل أينما كان.

---

[1] جان ماري مولر ، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الإنسان، بيروت، 1999، ص39.

[2] Gene Sharp, Creative conflict in Politics, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973).

[3] جان ماري مولر، معنى اللاعنف، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان. جمعية العمل الاجتماعي الثقافي، بيروت، 1995، ط1، ص20

[4] Brain Martin, Technology for Nonviolent Struggle.P.129.

والمصطلحات التي تناولت كلمة "**الاحتجاج**" -كالاحتجاج السلمي- ركزت على معنى الاحتجاج، في حين أن جوهر اللاعنف والعصيان هو المقاومة لا الاحتجاج كما سيتبين لاحقاً.[1]

والمصطلحات التي تضمنت كلمات مثل "**المدني**" و "**غير العسكري**" – كالعصيان المدني- قد يفهم منها أن الذين يمارسون هذه المقاومة هم المدنيون (غير العسكريين)، أما "حرب اللاعنف" فيشترك فيها – إضافة إلى المدنيين- العسكريون حين يعلنون العصيان أو تبديد السلاح الذي يستخدم في العنف على سبيل المثال.

أما المصطلحات التي استعملت كلمة "**غير المسلح**" -كالعصيان غير المسلح- فقد أرادت تجريد اللاعنف من كل سلاح عنيف، لكنها لم تثبت له امتلاكه ترسانة أسلحة لاعنيفة.

أما مصطلح "**العصيان المدني**" فهو يجسد فلسفة أساسية في الممارسة اللاعنيفة، وهي فلسفة العصيان، ويشير إلى إحدى الوسائل المهمة "**العصيان المدني**"، لكنه لا يستوعب كل الوسائل.

ومصطلح "**المقاومة السلبية**" يحمل دلالة سلبية، وقد تحدث غاندي عن أن أسلوبه يختلف بشكل كبير عن "المقاومة السلبية".[2]

والمصطلحات التي تضمنت كلمة "**السلمي**" – كالمقاومة السلمية- تضلل القاريء والممارس، فالسلم هو ضد الحرب، واللاعنف – كما سيأتي في التعريف- يشن حرباً على الطغاة، كما أن كلمة "**السلمي**" توحي بأن المقصود اتباع السبل السلمية الدستورية عبر "**النضال**

---

[1] انظر الباب الثالث "حول أساسيات حرب اللاعنف".

[2] كان غاندي يسمي أسلوبه "قوة المحبة" أو "قوة الروح" أو "قوة الحقيقة"، وكان يستخدم مصطلح "المقاومة السلبية" مع إشارته إلى تحفظه على دقة المصطلح، لكنه بعد ذلك وجد أن مصطلح "المقاومة السلبية" مضللاً، فعدل عنه وأصبح يستخدم مصطلح "الساتياغراها" و"المقاومة اللاعنيفة"، وأكد أن أسلوبه يختلف تماماً عن "السلبية"، فهو سلاح الأقوياء لا الضعفاء.

الدستوري"، بينما تتميز أسلحة اللاعنف عن الوسائل السلمية الدستورية، فليس كل ما هو غير عنيف يعد من مرتكزات أسلحة اللاعنف كما سيتبين في باب أسلحة حرب اللاعنف.

واستعمال مصطلح "**اللاعنف**" منفرداً لا يعكس مقصدنا من هذا الكتاب للأسباب التالية:

- المصطلح سلبي يحمل رد فعل تجاه العنف، كأنه يقول "لا للعنف" لكنه لم يخبرنا "نعم لماذا؟"
- عندما نتحدث عن اللاعنف ليس المراد أن نقول أن هذا الأسلوب يتميز بأنه لا يلجأ للعنف على الإطلاق. إذ أننا لا نتحدث عن مدرسة اللاعنف المثالية. لكننا نتحدث عن أسلوب يتميز بحصار العنف. ويظل هناك جدل مستمر بين نشطاء حرب اللاعنف عن حدود ونوع العنف (غير المسلح) الممكن استخدامه والمقبول مجتمعياً، خاصة حين نتحدث عن أجواء تغيير ثورية راديكالية في مرحلة حسم مع الديكتاتورية، وليس نشاطاً من أجل التعبير عن وجهة نظر أو رفع مطالب جزئية.مثل أشكال "**التدخل الخشن**"[1] كاستخدام القوة البدنية لدفع المعتدين، أو إتلاف قضبان السكك الحديد دون الإضرار بالقطارات والركاب.[2]
- أغلب التعريفات شرحت اللاعنف كظاهرة تتجنب القوة وتتفادى الصدام وتسعى إلى التهدئة؛ بل وربما التنازل عن بعض الحقوق في سبيل التوصل إلى حل للنزاعات دون

---

[1]انظر مفهوم "التدخل الخشن" صـ 68.

[2] التخريب الذي يتعلق بحرق المنشآت والمركبات لا يصنف ضمن حرب اللاعنف، ولكن الممارسات موضع الخلاف من أمثلتها ما يقوم به نشطاء السلام الذين يفككون الصواريخ، أو يلقون الدم على الملفات العسكرية في دلالة على مناهضتهم للحروب، أو إتلاف خطوط قضبان السكك الحديد التي تستخدم في نقل مواد نووية مع الإعلان قبل القيام بالفعل حتى لا تتسبب في حوادث كارثية. وهم بعد القيام بنشاطهم يعلنون مسئوليتهم الكاملة عن العمل، ويسلمون أنفسهم إلى الشرطة. ويمكن النظر لمثل هذه الأنشطة كشكل من أشكال العصيان المدني، والتأثير الرئيسي للنشاط رمزي، وليس تدمير الاقتصاد. كما يعتمد استخدام مثل تلك الوسائل على القبول الجماهيري لها، والتعاطف الشعبي معها. وكل حالة تدرس على حدتها، وإلا تحولت إلى أداة تنفير للجماهير، وإدخال القائمين على مشروع التغيير في عزلة تمكن النظام المستبد منهم.

اللجوء للعنف. في حين أن جوهر اللاعنف هو إعادة النظر لطبيعة القوة السياسية، وزعزعة قبضة الديكتاتورية على السلطة.

- المصطلح غير محفز أو مبشر بإمكان إيجاد حلول للقضايا المصيرية كالاستبداد، التي تعجز فيها الوسائل السلمية. وهو في الغالب مرتبط في الوعي العام بأولئك السذج الذين يظنون أنهم سينهون الظلم بتقديم الورود لخصومهم دون أن يطلقوا طلقة واحدة.
- المصطلح يوحي بالصورة النمطية لأسلوب غاندي ولا يعكس طفرة اللاعنف، بعد أن أصبحت له دراسات وممارسات ممنهجة، فقد تطورت – ولازالت– فلسفة واستراتيجيات وتكتيكات ووسائل اللاعنف. ولم يعد الحديث عن اللاعنف اليوم يقصد به فقط فلسفة وأسلوب غاندي كممثل رئيس وأب روحي للمنهج في القرن العشرين. فقد صبغ غاندي اللاعنف بصبغته الروحية التطهرية كهندوسي مناهض للعنف، يعتنق اللاعنف كمبدأ، لكن هناك مدرسة واسعة تتبنى اللاعنف كاستراتيجية وتقنية فعالة، وتُطوره في هذا السياق.[1]

[1] مر على تجربة غاندي ما يقرب من قرن من الزمان، ولم يعد منهج اللاعنف يعكس فكرة غاندي بشكلها المثالي الحالم، فغاندي كان راهباً هندوسياً سياسياً لاعنفياً، وليس شخصاً سياسياً يتبنى استراتيجية لاعنيفة، فاللاعنفيون هم أولئك الذين يؤمنون باللاعنف كمبدأ وخلق أمثال غاندي، على عكس نهرو الذي كان يرى في اللاعنف استراتيجية فعالة وممكنة، بغض النظر عن إيمانه الشخصي باللاعنف كمبدأ مطلق في الحياة.

أزمة المصطلحات

وتكمن أزمة المصطلحات والتعريفات السابقة في أنها تعكس مفاهيم جزئية، فهي إما أن تعالج بعداً فلسفياً مثل "**قوة الحقيقة**"، أو بعداً استراتيجياً مثل "**المقاومة اللاعنيفة**"، أو بعداً تكتيكياً مثل "**العصيان المدني**". وهي تعريفات في مجملها صحيحة من حيث أنها تسلط الضوء على جزء من فكرة الكفاح اللاعنيف، لكنها منفردة تعجز عن وصف الكفاح اللاعنيف، إذ أنها مصطلحات يضيق وعاؤها عن استيعاب آفاق تطور هذا الأسلوب، فضلاً عن التعبير عنه في صورته الراهنة. فهذه التعريفات وصفت الجزئيات، كمن يرى سيارة فيطلق عليها "**الباب**" لأن بها أبواباً، أو "**العجلات**" لأنها تسير على عجلات، أو "**عجلة القيادة**"، أو "**المحرك**"، فالسيارة ليست واحداً من هذه المكونات منفرداً، ولكنها مجموع كل هذه المكونات عندما ترتب في نسق محدد، لذلك فالمصطلح المعبر عن الكفاح اللاعنيف يجب أن يكون شاملاً لكل مكوناته. ومن ثم لا يمكن التعبير عنه بوضوح من خلال جزئياته، فلا يصح – على سبيل المثال– أن نطلق على الكفاح اللاعنيف "**الاحتجاج السلمي**". فهو وإن استُخدم فيه أسلوب الاحتجاج الذي هو عبارة عن التعبير عن الرأي المعارض؛ إلا أنه يتجاوز أسوار الاحتجاج إلى ساحة المقاومة التي لا تقتصر على الإعلان عن الموقف؛ وإنما تتصدى للظلم وتحاول إنهاءه.

إن المصطلح الذي يجب أن يعبر عن هذا النوع من الكفاح يجب أن يستوعب الصورة الكلية له فلسفياً واستراتيجياً وتكتيكياً. ويتسع لآفاق التطورات المستقبلية.

2. حرب اللاعنف.. مفهوم جديد

وبناء على كل ما سبق؛ رأينا في أكاديمية التغيير ضرورة اعتماد مصطلح جديد، نميز فيه بين اللاعنف كأسلوب يستخدم لتحقيق بعض المطالب من خلال وسائل احتجاجية كتعليق الملصقات والتظاهرات، وبين حالات اللاعنف التي تشن الهجوم بضراوة ضد ديكتاتوريات،

تتطلب مواجهتها حشداً شعبياً كبيراً، وتستخدم وسائل غير عنيفة أكثر تأثيراً من مجرد المظاهرات، مثل احتلال الميادين والاعتصامات المفتوحة والعصيان المدني وغيرها من الوسائل التي تستخدم بوعي لتغيير موازين القوى.

هذا المصطلح الجديد هو "**حرب اللاعنف**"[1]، وهو مصطلح مرتبط باستخدام "اللاعنف" في حالات الصراعات الصفرية ضد الديكتاتورية، وهو هنا ليس مصطلحاً يحمل طابعاً بلاغياً أدبياً؛[2] وإنما هو مصطلح مقصود. يعالج إشكاليات المصطلحات السابقة على مستوى الحاضر، كما يبشر بطفرة في المستقبل.

أولاً: مستوى الحاضر

- أنه أوجد صيغة محفزة في حالات الصراع الصفري حيث تُشن الحروب ضد الشعوب. وفي هذه الحالة يصعب تجاوز فكرة وجود الحرب، لكن المطلوب توفير غطاء فلسفي واستراتيجي لها.
- عالج إشكالية الطابع الدفاعي، فالحرب قد تكون هجومية أو دفاعية أو استباقية. وليست كل حرب مرتبطة بالسلاح، فمصطلحات "الحرب الباردة"، و"الحرب النفسية" خير شاهد على استعمال مصطلح "الحرب" في سياقات أخرى غير الاستخدامات العسكرية.
- مصطلح الحرب يستوعب جميع فئات المجتمع، من مدنيين وعسكريين، إذ لكل منهما دوره في حرب اللاعنف.

---

[1] الحرب كما عرفها كلاوزفيتز هي "استمرار للإجراءات السياسية مع مزيج من الوسائل الأخرى غير السياسية، مزيج من الوسائل العنيفة". وهي كما ذكر جراهام مود "عمل من أعمال العنف نقصد به إرغام أعدائنا على الخضوع لإرادتنا". وإذا كانت الحرب العسكرية بالأساس سياسة تهدف إلى إرغام طرف على الخضوع للطرف الآخر بوسائل عنيفة، فإن "حرب اللاعنف" يمكن النظر إليها كاستمرار للإجراءات السياسية بهدف إخضاع الخصم من خلال وسائل لاعنيفة.

[2] أشار غاندي من قبل إلى أن اللاعنف حرب، كما استخدم جين شارب مصطلح "حرب اللاعنف" في كتاباته، واستخدم كذلك مصطلح "أسلحة"، وقد جاءت هذه الاستخدامات في سياق أقرب إلى السياق الأدبي المجازي لمنح "اللاعنف" دلالة قوة، غير أننا في الأكاديمية نعمل على عمل مقاربة حقيقية تجعل اللاعنف يقوم على نفس المرتكزات التي تقوم عليها الحرب.

- مصطلح "**حرب**" يعلن بجرأة رفضه خرافة عدم التسلح في الكفاح اللاعنيف، إذ لا يدع المقاومون يواجهون بلا أسلحة، بل يدعو إلى التسلح، ولكنها أسلحة من نوع خاص لا تعتمد على العنف. مثل أسلحة اللاتعاون كالعصيان المدني، والأسلحة الدفاعية كتقنيات الدروع المتنوعة التي تحمي المحتجين والمنشآت.

- تجنب المصطلح التعبير عن "اللاعنف" بإحدى وسائله كالعصيان المدني. وكلمة "الحرب" تتضمن ترسانة ضخمة من الأسلحة المتنوعة.

▪ المصطلح لا يعرض اللاعنف كأسلوب للضعفاء أو المهادنين والمستسلمين، ويرفض الدلالات السلبية، وهو لا يكتفي بفكرة اللاعنف المثالية التي تنادي بمخاطبة ضمير المستبدين فقط من خلال إظهار المعاناة لهم، فهو مشبع بالقوة والمواجهة ووسائل الإجبار القادرة على كسر إرادة المستبدين، لا تحريك ضمائرهم فحسب. وهو في ذات الوقت لا يوحي بالتدمير والفتك، "إذ ليست الحرب في مقاصدها سياسة فتك وتدمير، بل سياسة غرضها أن تفرض على الخصم حلاً لم يقبل به مختاراً. وأن تحمله على تغيير رأيه، وتعديل موقفه، بطريقة مضمونة. وقد يكفي لذلك التلويح باستعمال القوة"[1].

▪ مصطلح الحرب يميز بين العمل التغييري المقصود والمدروس وبين معارك الشوارع "الخناقات"، شتان بين "**الحرب**" و"**الخناقة**"، الثانية تعتمد منطق "من يضربك اضربه"، والأولى تعتمد على الخطة واللالتزام بها، الثانية تعتمد منطق "التنفيس عن الغضب"، والأولى تعتمد منطق "إدارة الغضب بفاعلية"، ويندرج في ذلك تكتيكات الهجوم والدفاع وضبط النفس والانسحاب لمواقع جديدة .. الخ.

---

[1] العقيد محمد صفا، الحرب، دارالنفائس، بيروت.

▪ مصطلح الحرب يهتم بحسن استثمار الموارد البشرية والمادية، ويعمل على تقليل الخسائر، والاستفادة من موارد الخصم وليس تدميرها. فكل الهدف هو تدمير إرادة الخصم بأقل تكلفة. وهو ما يجعل "حرب اللاعنف" تهتم بالحفاظ على الأرواح والممتلكات، وعدم هدر الطاقات فيما لا طائل منه، فالعمل الذي يقوم به شخص لا يُطلب من عشرة أن يقوموا به، والعمل الذي يتطلب مائة شخص لا ينخرط فيه ألف، والعمل الذي يكفي فيه ألف شخص لا تُحشد له ملايين.. وهكذا.

- "حرب اللاعنف" لا تقوم على وسائل لاعنفية مثالية يتم تعريفها باعتبارها ضداً للعنف. إذ لجأت مدرسة اللاعنف على مدار عقود إلى إثبات أنها ضد للعنف، لكنها تطورت مع الممارسة لتؤكد أنها أيضاً ضد للوسائل السلمية الدستورية. فوسائلها ليست عنيفة مثل الحروب العسكرية، كما أنها ليست ذات الوسائل السلمية الباردة. فالمصطلح يحمل دلالة ضد المتعارف عليه من أن اللاعنف هو ذاته الوسائل السلمية الدستورية. إذ اللاعنف في الأساس حرب فوق دستورية. وبذلك يواجه المصطلح أولئك الذين لا يرون حلاً سوى العنف، وأولئك الذين لا يرون حلاً سوى الحل السلمي الدستوري للتعامل مع الأنظمة الديكتاتورية.

ثانياً: المستوى المستقبلي

- تستمد "حرب اللاعنف" بنيتها من بنية الحروب العسكرية من حيث ارتكازها على بنية علمية تطور الدراسات والأبحاث، وأكاديميات متخصصة للتدريب على كل سلاح (البحرية – الجوية – الخ)، وتكنولوجية تستوعبها مصانع تطور الأسلحة. وعلى نفس هذا النمط تتشكل بنية حرب اللاعنف التي نبشر بها، من حيث وفرة مراكز الدراسات والأبحاث المعنية بتطويرها، ووفرة

الأكاديميات المتخصصة في تخريج شباب مدرب على مختلف الاستراتيجيات والتكتيكات والتقنيات الجديدة، ومصانع تهتم بتطوير الأسلحة اللاعنيفة.

- عالج المصطلح إشكالية الجمود وعدم التعرض لطفرة اللاعنف، إذ الحرب تقوم على علم وتكنولوجيا تطور الأسلحة وممارسة تراكم الخبرة، وأغلب الباحثين ونشطاء اللاعنف يركزون على أهم العوامل التي تجعل اللاعنف ناجحاً، كالعامل النفسي، والاجتماعي، والتنظيمي، والاستراتيجي، وقلما اعتبرت التكنولوجيا عاملاً مؤثراً، أما في الحرب فعلى العكس من ذلك، فالعوامل التكنولوجية لها تأثيرها الكبير والمهم،[1] ويتميز اللاعنف في ثوبه الجديد المستقبلي، بأنه يأخذ هذه الروح الحربية، إذ تؤسس له قواعد علمية متينة (كالحروب العسكرية)، وتطور أسلحته والتكنولوجيا الخاصة به (لتتوافق مع تحديات ومتطلبات الصراع)، وتتجدد ممارساته التطبيقية. ولأن دور التكنولوجيا في الحروب كان مضاعفة قدرات الإنسان، فإن دور التكنولوجيا كذلك في حرب اللاعنف هو مضاعفة القدرات، وإحداث ثورة في نمط الفعل.

- الكثير من التطورات التكنولوجية التي نراها اليوم جاءت في إطار تطوير تكنولوجيا الحروب، مثل تكنولوجيا الفضاء والاتصالات والذرة، والإنفاق الأكبر من ميزانية الأبحاث العسكرية في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية تركزت على الإلكترونيات، ثم استخدمت بعد ذلك في الاستخدامات المدنية.[2] وكما يساهم العلم والتكنولوجيا في تطوير أدوات الحرب العسكرية، فبإمكانهما أن يساهما في تطوير أدوات اللاعنف. وإذا تم وضع ذلك ضمن قائمة الأولويات، فستحدث تطويرات جوهرية في العلوم والتكنولوجيا، فالتغييرات في التكنولوجيا تعتبر مقدمة لمشهد التغييرات الاجتماعية،[3] وسيكون ذلك فاتحة خير على البشرية.[4]إن حرب اللاعنف لا تترك العلم

[1] Brain Martin, Technology for Nonviolent Struggle.P.86
[2] Brain Martin, Technology for Nonviolent Struggle.P.28.
[3] Brain Martin, Technology for Nonviolent Struggle.P.41.
[4] Brain Martin, Technology for Nonviolent Struggle.P.6.

والتكنولوجيا حكراً على الحكومات، والطفرة القادمة هي تحويل المقاومة اللاعنيفة إلى حرب لاعنيفة من خلال امتلاك تكنولوجيا خاصة تتفوق على تلك التي تمتلكها الحكومات، وبذلك فإن الطور الجديد من اللاعنف يعني الدخول في سباق التسلح. لكنه تسلح غير عنيف، يحترم آدمية الإنسان وحرمة دمه.

- "حرب اللاعنف" في سباق مع الحرب العسكرية من حيث استقطاب النابهين، فقليل من العلماء والمهندسين مهتمين بعمل الدراسات والبحوث عن اللاعنف، وأغلب النابهين تستقطبهم المؤسسات العسكرية بشكل مباشر أو غير مباشر.

وأخيراً إن اختيارنا لمصطلح "**حرب اللاعنف**" أبعد من أن يكون مجرد توصيف لكفاح يندد بالعنف، إنه يعني صناعة من طراز خاص تنافس صناعة الحرب العسكرية، وهي صناعة تفي باحتياجات شن الحرب على الطغاة وتحرير إرادة الشعوب، هذه الصناعة تشمل معمل الباحث، ومختبر مطور التقنية، ومصنع إنتاج الأدوات الفعالة، وأكاديمية لتخريج فرقاً مدربة استراتيجياً وتكتيكياً. وأذرع اقتصادية عملاقة قادرة على منافسة الأذرع التي تدعم أبحاث الدمار، إنه يعني أن يتحول اللاعنف من أعمال الهواة إلى برامج المحترفين. أن يتحول إلى صناعة كاملة، وهذه الصورة وإن لم تتواجد اليوم في العالم (**شرقه وغربه**) إلا أنها تتطلب التبشير بها والسعي لجعلها واقعاً، لتتضافر جهود البشرية الرافضة للدمار، من أجل خوض معارك تحقيق السلام.

3. تعريف "حرب اللاعنف"

أما تعريف أكاديمية التغيير لـ "حرب اللاعنف" فهو: "**شن الصراع الحاسم على الخصوم المعانـدين، مـن خـلال الـتحكم المقصـود والمخطـط فـي أدوات القـوة السياسـية لتحطـيم إرادة الخصم، باستخدام أسلحة لاعنيفة قوية التأثير**".

وهذا التعريف لحرب اللاعنف يمثل تعريفاً تحليلياً معيارياً، نستطيع من خلاله الحكم على مدى نجاح وفشل التجارب التغييرية المختلفة الماضية والحاضرة والمستقبلية، فهو تعريف عملي أقرب إلى الأداة العملية أكثر منه إلى التعريف الفلسفي.

مفردات التعريف

وسنتناول في الباب التالي شرح هذا التعريف وكيفية استعماله كأداة عملية في إطار الحرب القائمة بين المطالبين بحقوقهم والمغتصبين لها، وسنتعرض له من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: طبيعة الصراع: ونتعرض فيه لعبارة "**شن الصراع الحاسم**"، حيث سنتناول بالشرح طبيعة وأنواع الصراعات المختلفة، وكيف تتحدد طبيعة الصراع، وكيف تتغير مسارات الفعل والممارسة طبقاً لنوع الصراع.

الفصل الثاني: أطراف الصراع: ونتعرض فيه لعبارة "**على الخصوم المعاندين**"، حيث سنوضح طبيعة الخصوم ودوافعهم، وكيف تختلف طبيعة الصراع باختلاف دوافع الخصوم ودرجة مخاطرتهم في خوض الصراع.

الفصل الثالث: طبيعة القوة السياسية: ونتعرض فيه لعبارة "**التحكم المقصود والمخطط في أدوات القوة السياسية لتحطيم إرادة الخصم**"، حيث سنوضح مفهوم وطبيعة القوة السياسية وأدواتها، وكيفية التأثير في وعي الخصم بموازين القوى.

الفصل الرابع: أسلحة حرب اللاعنف: ونشرح فيه "**باستخدام أسلحة لا عنيفة قوية التأثير**"، ولأن هذا الجزء من التعريف أقرب للإجابة على سؤال "كيف؟"، بينما يهتم الكتاب بالإجابة على سؤال "ماذا؟"؛ فإننا سنكتفي بسرد بعض نماذج لأسلحة حرب اللاعنف دون شرح أو تفصيل.[1]

[1] للتعرف التفصيلي على بعض وسائل اللاعنف يمكن الرجوع إلى كتاب "**أسلحة حرب اللاعنف**" لأكاديمية التغيير.

مفاهيم

التدخل الخشن

عندما تُسَد القنوات الدستورية قد تلجأ بعض حركات اللاعنف إلى درجة من درجات العنف والتخريب لها طبيعة خاصة. فهي لا تتعلق بحرق المنشآت وتدمير الممتلكات العامة، كما لا ترتبط بعنف إزهاق الأرواح وإراقة الدماء؛ وإنما هو "**تدخل خشن**" يصحبه قدر عالٍ من التعقل والأخلاق النبيلة.

فالتدخل الخشن هدفه بناء المسار السلمي، وتزويده بأدوات تجعله محصناً بحيث لا يخترقه العمل العنيف تحت ضغط الواقع، إنه شكل من أشكال التصعيد الذي يحاصر العنف ويقلص دائرته، ويطفيء ناره.

ومن أمثلة هذا النوع من التدخل الخشن ما تقوم به حركات السلام من إيقاف الجرافات التي ستقتلع الأشجار، من خلال وضع الرمل في مخزن وقود المركبة.[1] أو إتلاف ملفات محددة على الحاسوب.[2]

وهنا سنجد أن المقاومين لا يوغلون في التخريب الشائع في الأذهان، والمرتبط بإشعال الحرائق في المنشآت والدمار، ولكنهم يقفون على تخومه بوعي شديد ويلجأون إلى أشكال أخرى. تضبطهم في ذلك عدة ضوابط مثل:

1. **الرضا الشعبي:** ويعني قبول نسبة كبيرة من عموم الناس – وليس قبول الحركات المقاومة[3] – بالعمل. مثل تشويه إعلان دعائي في الشارع، فهذا تخريب للإعلان ربما لا

[1] Brian Martin, Nonviolence versus Capitalism. London: War Resisters' International, 2001. p.133

[2] نفس المرجع السابق

[3] قد تغتر بعض الحركات بأن شبابها لديه إجماع على القيام بعمل عنيف، وليس هذا مقصدنا، ولكن الأساس هو الرضا الشعبي عن الوسائل والتكتيكات المستخدمة. وليس معيار الرضا الشعبي هنا هو المشاركة الشعبية، أو حتى الاقتناع بالقضية المطروحة ذاتها، ولكن

يعبأ به الناس أو يدينونه، بل قد يتعاطفون مع هذا السلوك، خاصة إن تمت معالجة الإعلان برسم مبهر وليس مجرد تشويه.[1] أو مثلما يحدث حين تعترض مجموعات السلام المناهضة للتجارب النووية مسار قطار محمل بنفايات نووية، مع ضمان سلامة القطار وركابه. فالوعي الشعبي العام يقبل هذا العمل، وليس لديه تحفظات على اعتراض مسيرة قطار أو باخرة تحمل نفايات نووية، لكن هذا العمل سيكون مرفوضاً شعبياً مثلاً في حالة اعتراض مسار قطار سفر يحمل ركاباً. كذلك فإن الطريقة التي يتم بها العمل يجب الانتباه إليها، فالوعي العام قد يقبل إيقاف القطار، لكنه لا يقبل إشعال النار فيه، حتى ولو لم يكن فيه أي إنسان.

2. **لا يُلحق الأضرار**[2]: بعموم المواطنين، أو يروع الآمنين. فنشر فيروسات على بعض المواقع الإلكترونية الحكومية والخدمية قد يضر الخصم فعلاً، ولكنه أيضاً قد يسبب الضرر لعموم المواطنين؛ بل وبالطبع سيطال هذا الضرر المنتمين للحركات المقاومة، لذلك فهي مرفوضة. بينما عندما تخفي مجموعة مهتمة بحماية الغابات أوراق مناقصة تقدمت بها شركة تقتلع الأشجار؛[3] فهذا نوع من الفعل لا يلحق أضراراً بالناس وربما يدعمونه، خاصة إن توفرت درجة عالية من الرفض لممارسات الشركة.

المعيار هو عدم إدانة الوسيلة. فاقتحام مقر شركة مشهورة بالفساد، وإشعال النيران فيها ربما لا يضر قطاعات واسعة من الناس، لكن الوعي الجمعي يدين المشهد ويرفضه، وبالتالي فهذا النوع من العمل مرفوض لأنه أخل بالضوابط.

[1] نفس المرجع السابق

[2] نميز هنا بين "الضرر" و"التكلفة"، فعملية التغيير تتطلب "تكلفة"، يؤديها الناس برضا. فإن غاب الرضا يتحول تقدير الناس للتكلفة بأنها غير محتملة، ومن ثم تتحول حينها من مجرد "تكلفة" إلى "ضرر". فعلى سبيل المثال، قد يشارك مجموعة من الأفراد في محاضرة علمية مدتها ثلاث ساعات وبقيمة نقدية محددة، البعض المعجب بالمحاضرة سيراها مفيدة، وبالتالي ستكون هناك حالة من الرضا عن "التكلفة" حتى وإن عظمت. بينما البعض الآخر غير المعجب بالمحاضرة سيرى أنه أهدر ثلاث ساعات من وقته، وأهدر ماله، وبالتالي تتحول "التكلفة" – حتى وإن قلت – بالنسبة له إلى "ضرر". وهكذا تحدد حالة الرضا أو السخط العام نظرة المشاركين؛ بل وحتى المفردات التي سيستخدمونها للتعبير عن المحاضرة ما بين "التكلفة" و "الضرر".

[3] نفس المصدر السابق.

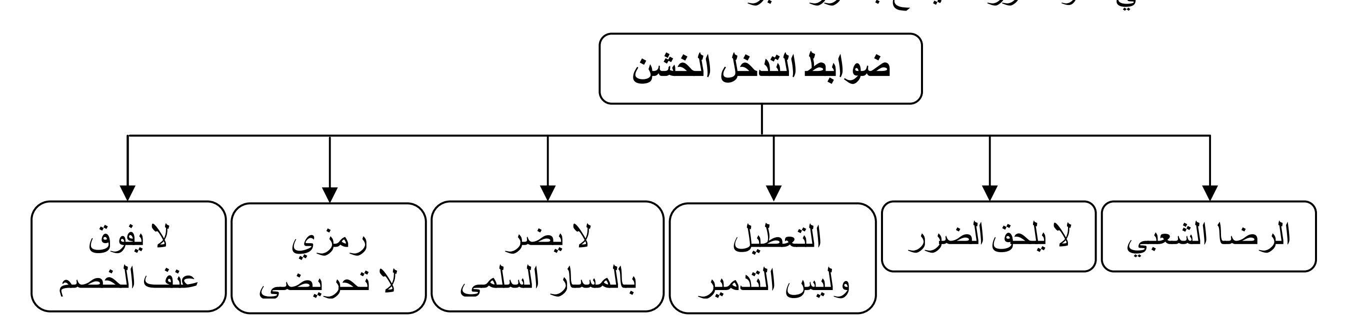
3. **التعطيل وليس التدمير:** فالحركات السلمية المقاومة لتصنيع أسلحة الدمار والداعية إلى وقف التسلح لا تشعل النار في الآلات أو المصانع أو السيارات التي تنقل الأسلحة، ولكنها قد تعطلها عن العمل بنزع بعض أجزاء الآلات. وهذا يتطلب وعياً بطبيعة التعطيل المطلوبة. فإيقاف سيارة محملة بالأسلحة لا يتطلب إشعال النار فيها أو تفجيرها. يمكن لمسامير تعترض طريقها أن توقفها. والتعطيل أو التدمير هنا مقيد بالضوابط السابقة، فقطع "كابل" الهاتف الذي يمد الملايين بالخدمة، يعد تعطيلاً محدوداً، لكنه يضر الملايين لذلك فهو مرفوض. بينما قطع النور في اجتماع لحزب فاسد يخطط لتهريب أموال البلد، ربما يحظى بدعم شعبي.

4. **لا يضر بالمسار السلمي العام:** ولا يتسبب في توليد مسار عنيف، ولكنه يحاصر بهذا التدخل المدروس اندلاع العنف. خاصة حين يضيق الناس بالسبل السلمية التقليدية، ويتشكل مزاج عام متجه للعنف. فـ"**التدخل الخشن**" في هذه الحالة أقرب ما يكون لاستراتيجية إطفاء بركان بنار صغيرة، وهي الاستراتيجية التي تتطلب عقلاً واعياً، وذهناً حاضراً، وحرفية وخبرة عاليتين. وأي خطأ فيها ولو بسيط قد يزيد النار اشتعالاً ويزيد الوضع تأزماً ومأساويةً. واستراتيجية وتكتيكات "**التدخل الخشن**" إن لم تُضبط وتمارس بعقل واعٍ وأخلاق عالية ومسؤولية كاملة، وفي إطار استراتيجية لاعنيفة شاملة قد تودي بالمسار السلمي كليةً، أو على الأقل تجعل العنف هو الطابع الغالب لمشروع التغيير.

5. **رمزي لا تحريضي:** أي أن القائمين عليه لا يقومون بتحريض الحركات والمجموعات المقاومة الأخرى على انتهاجه، ولا تُدعى عموم الجماهير للمشاركة فيه، لأن الحماس قد

يجرفها فتندفع لأعمال عنف. وإنما هو نشاط تقوم به مجموعة متخصصة[1]، وفي بعض الحالات تعلن مسئوليتها وتسلم نفسها للشرطة، لتؤكد أنها كسرت قانوناً جائراً يحمي الفساد. لكنها ليست ضد فكرة سيادة القانون، وأنها مستعدة لتحمل العقوبة. فهي تريد فقط إبراز الجانب الجائر في القانون. كما أنها تؤكد بذلك أن الفاعلين ليسوا مخربين مأجورين. أما الجماهير فلا تُستدعى إلا في حالات تتعلق بممتلكاتهم الشخصية، مثل دعوتهم لحرق الفواتير الشخصية، وهي تشبه دعوة غاندي في جنوب أفريقيا، حين طالب الهنود بحرق تصاريحهم الخاصة، التي كانت تُطلب منهم دون الأوربيين، والتي تعتبر وثيقة حكومية.

6. **لا يفوق عنف الخصم:** وهذا ينطبق على أي رد فعل وليس فقط العنف، فإن سَبَّك جارك أصبحت مظلوماً، فإن رددت عليه بمنع الطعام والشراب عنه حتى الموت أصبحت ظالماً. وحينها يقف الناس ضدك، وينكرون فعلتك. أنت تريد أن تنير عقل المجتمع وعقل خصومك. ووسائلك المميزة كفيلة بذلك. كونك مظلوماً لا يمنحك حق فعل أي شيء، والضرر لا يُدفع بضرر أكبر منه.



شكل 8: يوضح ضوابط التدخل الخشن الذي يقي الحراك التغييري من الوقوع في دوامة العنف

[1] لا يقصد بالمجموعات المتخصصة هنا أن يتم إعداد هذه المجموعات بدنياً أو عسكرياً أو أن يتم تدريبها على حرب الشوارع أو العصابات أو الاختراق والتسلل؛ إنما نقصد أن تكون مجموعات معدة عقلياً ونفسياً بشكل جيد على مسار اللاعنف بما يمكنها من التفرقة بين مساحتي العنف والتخريب البناء، وما يجعلها قادرة على ضبط هذه التكتيكات بالضوابط المذكورة. كما أنها تمتلك من الجوانب الفنية ما يمكنها من تحقيق التعطيل بما لا يؤدي إلى التدمير.

ويقاس الموقف من العنف بصفة عامة بناء على ما سبق، سواء كان عنفاً لفظياً أو بدنياً أو مادياً، فالضوابط السابقة هي التي تحدد درجة الاقتراب منه، لذلك قد يكون العنف اللفظي أحياناً مداناً لأنه سيعزل قطاعات واسعة من الناس التي لا تنسجم ثقافتها مع ذلك السلوك، أو أنه سيكون مقدمة لاندلاع عنف بدني نظراً لاستفزاز الطرف الآخر. في حين يكون العنف البدني المحدود في إطار حماية فتاة من اعتداء مجموعة من مثيري الشغب أمراً مقبولاً. فالمعيار هنا سيكون القدر المقبول لإطفاء نار العنف وليس إشعالها.

لذلك صُنفت انتفاضة أطفال الحجارة في فلسطين في عداد الحركات اللاعنيفة[1] من عدة أوجه:

- **اعتبار طبيعة الخصم:** محتل يجيز القانون الدولي قتاله. (وهنا فالتعاطف العام مع الفعل موجود).
- **اعتبار السلاح المضاد:** رصاص حي ودبابات ومدرعات .. الخ (فلا يوجد وجه مقارنة بين الحجارة من جهة والرصاص والقذائف من جهة أخرى).
- **اعتبار الفاعل:** حيث نُسبت الانتفاضة لصبية ينحتون في الأرض لطرد المحتل. هذا السلوك الذي أكسبهم دعماً كبيراً.
- **المساحة التي احتلها عنف الحجارة:** فقد شملت الانتفاضة أعمالاً كثيرة مثل الإضرابات، والدعوة إلى قيام مؤسسات بديلة، ومقاطعة بعض السلع، وتقديم الاستقالات....الخ[2]

---

[1] يمكن الرجوع إلى كتاب "نعم للمقاومة لا للعنف" تأليف د وليد صليبي، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، حيث يتعرض فيه للإنجازات التي حققتها انتفاضة الحجارة، ومدى تأثيرها على الصعيد المحلي والدولي. ويعد الكاتب أحد الرواد العاملين في العالم العربي في مجال اللاعنف.

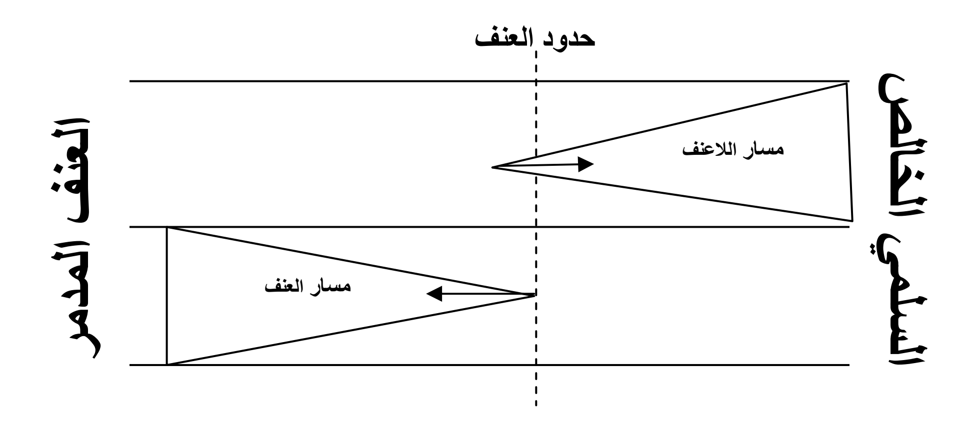
[2] د. وليد صلابي، نعم للمقاومة لا للعنف، 2005، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، ص30.

وبالتالي ما تعتبره هنا "**حرب اللاعنف**" ضمن حدودها (من تدخل خشن ليس من أدواته الأسلحة القاتلة كالأسلحة البيضاء أو العسكرية) قد تلفظه تماماً في حالات أخرى لا تتوفر فيها الضوابط السابقة، فربما تقبل عنف الحجارة في حالة، بينما ترفض مجرد العنف اللفظي في حالة أخرى.

وعندما نجد الشعب اليمني المسلح بطبعه يضع سلاحه ويتظاهر، ومع شدة القمع يكتفي بتوفير حماية للتظاهرات؛ فهذا تقدم كبير من أجل الحفاظ على المسار السلمي في شعب مسلح. يصعب قياس الحالة ودعوة شعب أعزل بطبيعته إلى التسلح من أجل حماية التظاهرات لمجرد أن قوات القمع تستخدم أسلحة مكافحة الشغب. فالوعي العام يقبل الحالة الأولى ويعتبر هذا التكتيك الدفاعي هو قمة التحضر في هذا البلد. بينما الوعي العام في الحالة الثانية قد يؤدي إلى عزوف كامل عن المشاركة، بل وربما اتهام المسلحين بالإرهاب وتمني القضاء عليهم.

لذلك تخطيء بعض الحركات والأفراد الذين لديهم نزوع للعنف، حين تقيس استخدام العنف على ممارسات سابقة كان يؤيدها فيها الناس، ولا تراعي في قياسها سوى عنصر "الأداة".. فتقول على سبيل المثال.."**لقد استخدمنا الحجارة من قبل ولم يستنكر أحد. فلماذا تنكرون علينا اليوم**". وهنا يجب الانتباه إلى أن الرضا الشعبي أشبه بتصويت عام على حالة كاملة وليس فقط على وسيلة، فهو أقر الوسيلة في ظل ظروف محددة، بكراس شروط خاص، وليس إقراراً عاماً باستخدام الوسيلة في كل حالة. ويدخل في المعطيات المتغيرة عدة عناصر، مثل القضية التي يُكافَح من أجلها، ووجود مسارات بديلة، وتوقيت الكفاح، وطبيعة الخصم، وطبيعة المقاوم. ولا ينسحب ذلك على أدوات العنف فحسب، بل قد يبارك الشعب اعتصاماً في حالة محددة، ويرفضه في حالات أخرى ويعتبره تعطيلاً للعمل. لذلك فالتفكير من منظور الوسيلة فقط لا يسعفنا في إطلاق أحكام صحيحة، لأنه يشوش الرؤية ويضلل التفكير.

ليس السؤال الصحيح هل اللاعنف هو ضد للعنف؟ ولكن السؤال هو كيف يتمكن المؤمنون بالمسار السلمي من مواجهة تحديات العنف دون أن ينحرفوا عن المسار الأساسي؟! كيف تتجه وسائلهم بالمجتمع نحو الوصول إلى المسار السلمي الخالص، لا الوصول إلى العنف المدمر.



شكل 9: حركة اللاعنف تتجه في مسارها نحو النضال السلمي الخالص، وهي إن اضطرت للتدخل الخشن فهي تقف على حدود العنف وفق ضوابط صارمة، يأتي على رأسها التعاطف والرضا الشعبي وعدم إزهاق الأرواح أو تدمير الممتلكات العامة، وعدم الانجراف في مسار العنف. وهو ما يميزه عن مسار العنف الذي يتجه نحو تطوير العنف والاعتماد عليه حتى يصل إلى حدوده القصوى.

إن المقاومين في حرب اللاعنف يؤمنون بحرمة الدم، وجرم الإفساد في الأرض، ويعلمون أن دورهم هو حصار العنف لا توليده، وهو ما يميز أسلوبهم عن الأساليب التي تتغذى بالعنف وتنمو من خلاله. لذلك حين يضطرون لمثل هذه الوسائل في الصراعات الحادة ضد

الديكتاتوريات، أو في القضايا المصيرية التي تغلق فيها كافة السبل الدستورية؛ فإنهم يقومون بها بفن بالغ، وبحذر شديد، وبصورة حضارية يصعب أن تكون محل إنكار.

إن "**حرب اللاعنف**" تقف أحياناً على شاطيء "التخريب والعنف" دون أن تبحر في محيطه فتغرقها أمواجه، وتفتك بالمجتمع دواماته، فهي كمن يجمع ملح البحر على الشاطيء دون أن يلج في عمق البحر. لأن التوسع في طبيعة وحدود وملابسات العنف قد تؤدي إلى دمار وترويع وعزوف جماهيري عن المشاركة، والحركات اللاعنيفة تسعى منذ البدايات لتأكيد سلميتها حتى لا تُخترق بمن يقومون بأعمال عنف وتخريب غير منضبط تُنسب لها.

حالات استخدام التدخل الخشن

- إظهار قضية بشكل واضح وملفت.
- القمع الشديد في النظم الديكتاتورية، وانسداد كل المسارات الدستورية.
- وجود نزوع للعنف لدى المحتجين، وهنا تأتي هذه الأعمال بهدف وقائي يحول دون اندلاعه، وتساعد في ترشيد مساره.

وعلى الصعيد العملي نجد الكثير من حركات اللاعنف ترفض كلية الاقتراب من هذه المساحة حتى لو تمت مراعاة تلك الضوابط، خشية التوسع وعدم إمكان السيطرة عليها. فهي تعتبر فكرة "**التدخل الخشن**" ثغرة يمكن أن ينفذ من خلالها أي مخرب. وترى أن قليلاً من العنف المرفوض قد يفسد مسارهم بالكامل.

أما القليل من الحركات فترى أن كل حالة تدرس على حدة، وأن الحركات التي تتمتع بقدر من المركزية والسيطرة على أعضائها يمكنها أن تدخل هذه المساحة بحذر وتعقل شديدين.

الباب الثالث
الصراع

الفصل الأول: طبيعة الصراع

"**<u>شن الصراع الحاسم</u>** على الخصوم المعاندين من خلال التحكم المقصود والمخطط في أدوات القوة السياسية لتحطيم إرادة الخصم باستخدام أسلحة لاعنيفة قوية التأثير."

المحتويات

1. حتمية الصراع

يعتقد البعض أنه يمكن الهروب من الصراع[1]، أو أن الصراع حدث مؤقت عارض على المشهد السياسي والخريطة العالمية، إلا أن تتبع واستقراء المسار التاريخي للبشرية يدلنا على أن الصراع لم يتوقف منذ وجدت البشرية، فهو يمثل جزءاً من الظواهر الناتجة عن الاجتماع البشري. فمنذ أن وجد الإنسان على الأرض تلازمه ثلاث ظواهر:

1. **ظاهرة الاختلاف:** فالناس يختلفون فيما بينهم في نظرتهم للحياة، وفي تحديدهم للحقوق والواجبات، وكيفية توزيع الموارد المختلفة فيما بينهم، وهل يؤسس المجتمع على أساس التعاون أم الصراع، كما يختلفون حول كيفية حل القضايا المختلفة، وكيفية اتخاذ القرارات، ومن له الحق في التعبير عن رأيه، وما هو القدر الذي يمتلكه كل فرد للتأثير في القرارات، وهكذا..

فعلى سبيل المثال الشكل الأمثل للدولة يختلف في الأيديولوجية الليبرالية عن الطرح الذي تطرحه الأيديولوجية الشيوعية وعن الرؤية التي تطرحها الأيديولوجية الإسلامية. وبالمثل تختلف نظرة الأيديولوجيات الثلاث لمفاهيم الحرية والعدل والتعايش والدستور والمساواة وغيرها من المفاهيم العامة التي تتفق عليها البشرية في معناها العام وتختلف في تعريفها وتفصيلاتها وكيفية تطبيقها في الواقع.

2. **ظاهرة التنوع:** فالناس تتنوع احتياجاتهم وطموحاتهم وآمالهم وأهدافهم، وهذه الاحتياجات تتطلب إشباعاً من الموارد.

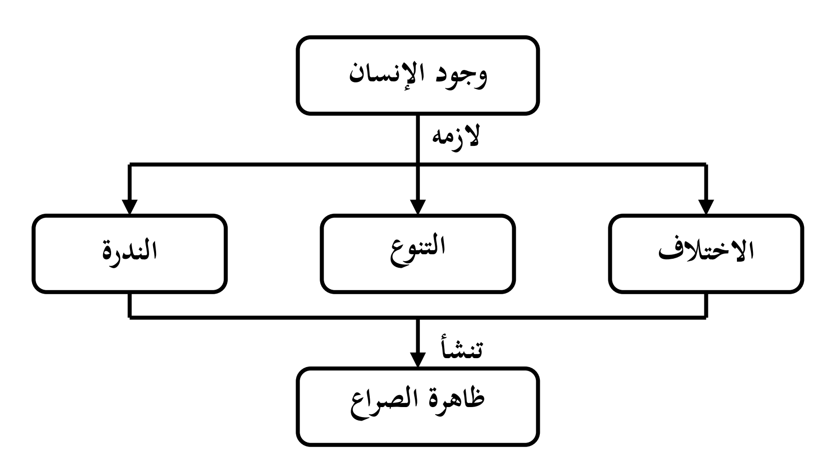
---

[1] نتحدث هنا عن الجانب الفلسفي حيث لا توجد إمكانية للهروب من الحقيقة الفلسفية التي تقول بوجود الصراع واستمراره، ولا نتحدث هنا على الجانب الاستراتيجي الذي يمكن به تجنب خوض صراع بعينه. فالصراع بين لحق والباطل والخير والشر قائم.

3. **ظاهرة الندرة:** يقصد بها الشعور الإنساني العام – الفردي أو الجماعي – بقلة وندرة الموارد الطبيعية والبشرية والمادية وغيرها وعدم مكافأتها لاحتياجاته، سواء على مستوى الضروريات (التي لا تقوم الحياة بدونها)، أو الحاجيات (التي تصعب الحياة بدونها)، أو التحسينيات (التي تصل بالحياة إلى مستوى الرفاه). وتنسحب هذه الفكرة على الفرد والحزب والدولة.

ويعتبر المد الألماني في عهد هتلر شاهد صارخ على إحساسه بضرورة أن تمتد الجغرافيا الألمانية (الموارد) لتغطي احتياجات الجنس الآري.

وهكذا فإن ظواهر الاختلاف (في الأفكار والتصورات والثقافات الخ) والتنوع (في الاحتياجات) والندرة (في الموارد) تؤكد أن ظاهرة التدافع والصراع[1] ميزة وصفة لازمة وحتمية للحالة البشرية.



شكل 10: حتمية التدافع والصراع من لوازم الوجود البشري وتنتج عن ظواهر ثلاث: الاختلاف، والتنوع، والندرة

وانطلاقاً من حتمية التدافع أو الصراع – أياً كانت درجة حدته وقوته – فإن القضاء عليه تماماً أو الإبقاء عليه في أعلى معدلاته ومستوياته أمر لا نقول به، أما وجود قدر معتدل منه سواء على مستوى المؤسسات أو الحركات والتنظيمات أو على مستوى الدول والحكومات

[1] سنستخدم كلمة التدافع والصراع استخداماً متبادلاً في هذا الكتاب للتدليل على نفس المعنى.

فيحقق مستوى أعلى من الفعالية إذا تمت إدارته بطريقة صحيحة. فتطور البشرية هو نتاج هذا التصارع بين الأفكار والإرادات والمصالح المتعارضة. وفي هذا يقول روبرت شولر: "إن الصراع هو مكان ولادة الإبداع الأعظم".[1] وإلى هذا يشير القرآن الكريم "... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين".[2]

2. شن الصراع

بل إن اللاعنف يهدف إلى خلق الصراع، فغياب الصراع ليس هو الحالة المثالية التي تنشدها "حرب اللاعنف"، إنما هي تسعى إلى تزويد الحق بمنطق وأدوات شن الصراع لسحق الباطل، فما معنى غياب الصراع في مجتمع تضيع فيه الحقوق وتصادر الحريات ويعم الظلم؟! إن غياب الصراع في مثل تلك المجتمعات ليس فضيلة وتحضراً، ولكنه جريمة ترتكبها المجتمعات في حق نفسها، حين تترك الباطل يحكم دون أية منغصات.

ولا ينشب الصراع بسبب وجود الباطل فحسب، فوجود الظلم والفساد قد لا يلازمه اندلاع الصراع بين الحق والباطل، خاصة إن لم تتوافر الرغبة أو القدرة لدى أنصار الحق على خوض الصراع.[3] وحين يكون الوضع هكذا (باطل لا يواجه مقاومة)؛ يستقر الباطل ويطور أساليب طغيانه، بينما يدفع أهل الحق تكلفة باهظة جراء سكونهم، فيعاني الحق وأنصاره من اضطراب وعدم استقرار نتيجة السحق المتكرر من قبل الطغاة. حينها تأتي حرب اللاعنف لتؤكد ضرورة

---

[1] داني كوكس وجون هوفر، القيادة في الأزمات، بيت الأفكار الدولية، الولايات المتحدة الأمريكية، 1998.

[2] سورة البقرة، 251.

[3] يتطلب شن الصراع "رغبة" و"قدرة"، رغبة جارفة في مصارعة الظلم ومطاردة فلوله، وقدرة على تنفيذ هذه الرغبة وتحويلها إلى ممارسات مثمرة. والرغبة تقتضي الإلمام بموضوع الصراع والمخاطر المترتبة على عدم شنه، وهي مخاطر تمس كل فرد تُرتجى مشاركته في دفع الظلم، والمكاسب المأمولة في حالة خوضه، وهي كذلك مكاسب تمس كل فرد تُرتجى مشاركته.

أما القدرة فهي ترجمان الرغبة في عالم الواقع، ويمكن القول بأن الرغبة هي الهتاف الذي تنطق به الأفواج المحتشدة لصرع الظلم، والقدرة هي الأسلحة الحضارية الفعالة التي تتزين بها أيادي تلك الحشود.

شن الصراع لعكس المعادلة، وهي في الحد الأقصى تريد لقيم العدل والحرية أن تنتصر، ولوسائل الصراع السياسي أن تكون حضارية متمدنة، وفي حدها الأدنى تعمل على ألا ينعم الطغاة بالاستقرار، وتكون تكلفة طغيانهم باهظة. ويكفي وجود الباطل مبرراً أخلاقياً للحق كي يشن الصراع لدحض الباطل.

وعندما يتهيب الناس العصيان، أو يتركون الطغاة يعيثون في الأرض فساداً؛ حينها يكون واجب قادة "حرب اللاعنف" إذكاء ميول الجماهير العدوانية[1] كأعداء للظلم، وتزويدهم بأدوات إشعال الصراع والانتصار فيه. وهو صراع مشروع إذ تتوفر المبررات الأخلاقية لشنه، والوسائل الحضارية لخوضه. بل ينتج جراء غياب الوعي بضرورة إشعال الصراع استتباب واستقرار الظلم، لذلك عندما نقول في تعريف "**حرب اللاعنف**" إنها "**شن الصراع الحاسم على الخصوم**"؛ فهذا يعني تركيب أنياب ومخالب للمجتمعات بحيث لا ترضخ للظلم، وتتمكن من إشعال صراع ينتصر للإنسان والقيم النبيلة، ويُكَدِّر صفو الظالمين، وينزع بساط الاستقرار من تحت أقدامهم.

وهو صراع حاسم لأنه لا يدخل في تسوية مع الظلم، أو صفقة مع الديكتاتوريات، إنه يطيح بها دون رجعة.

ويراعى في شن الصراع أمران:

عدالة القضية: وإلا تحول الأمر إلى إفساد في الأرض وتحريض على الباطل.

---

[1] يصف جان ماري مولر العدوانية في كتابه معنى اللاعنف بأنها قوة نضالية، بها يؤكد المرء ذاته، وبدونها يكون عاجزاً عن الاضطلاع بالنزاع الذي يضعه في مواجهة الآخر، وبدونها يظل الإنسان في حالة هروب دائم أمام تهديدات الآخر، ويرى علماء النفس أن العدوانية هي التي تلازم الطبيعة البشرية وليس العنف، كما أن العدوانية ليس من المحتم أن تعبر عن نفسها بالعنف.

واستشهد مولر بتجربة مارتن لوثر كينج في نضاله من أجل حقوق السود، حيث كان عمله مرتكز على إيقاظ عدوانية هذا الشعب الذي استسلم طويلاً لمصيره كشعب مستعبَد، فخلق مارتن لوثر نزاعاً بين السود والبيض بعد أن أيقظ عدوانية شعبه. (جان ماري مولر، معنى اللاعنف، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان – جمعية العمل الاجتماعي الثقافي، بيروت، 1995، ط1، ص16-17.

رقي الوسائل: حتى لا يتحول الأمر إلى أحداث شغب. يسئم الناس منها بعد فترة، ويتمنون لو عادوا إلى ما كانوا عليه من وضع سابق رغم مرارة الظلم فيه.

3. تعريف الصراع

يمكن تعريف الصراع بأنه "التنافس بين القوى المتضادة والمتعارضة بما يعكس مدى التنوع والاختلاف والإحساس بالندرة".

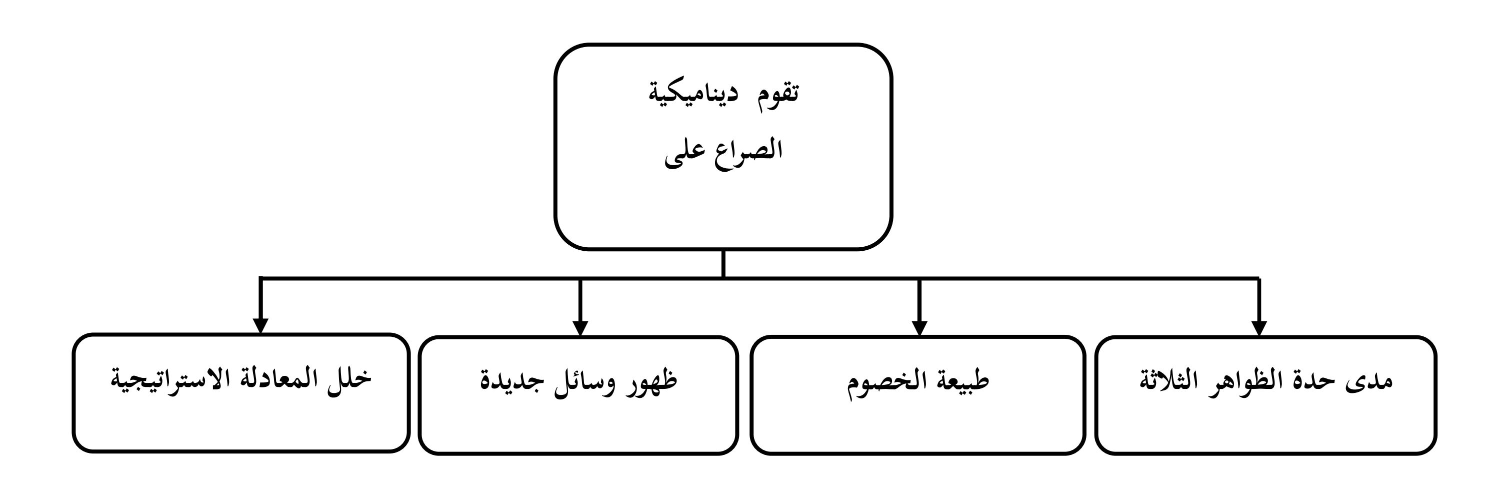
وهنا لابد أن ندرك أن ديناميكية الصراع تقوم على عدة عوامل:

الأول: مدى حدة الظواهر الثلاث (الاختلاف والتنوع والندرة): فكلما ازدادت حدة الاختلافات بين الجماعات البشرية، وزادت الحاجة، وتفشى الإحساس بالندرة؛ كلما زادت حدة الصراع، وكلما قلت حدة الظواهر الثلاث؛ قلت حدة الصراع.

الثاني: طبيعة الخصوم: وتشمل دوافع أطراف الصراع والبنية الأيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل طرف، وهذه الطبيعة هي التي تحدد أسلوب التعامل مع الصراع، إما عبر إبداع الحلول الحضارية المناسبة مما يجعله صراعاً لاعنيفاً، أو عبر استخدام القوة المادية الصلبة مما يجعله صراعاً عنيفاً أو مسلحاً.

الثالث: ظهور وسائل جديدة: تكسر الجمود وتزيد الصراع اشتعالاً.

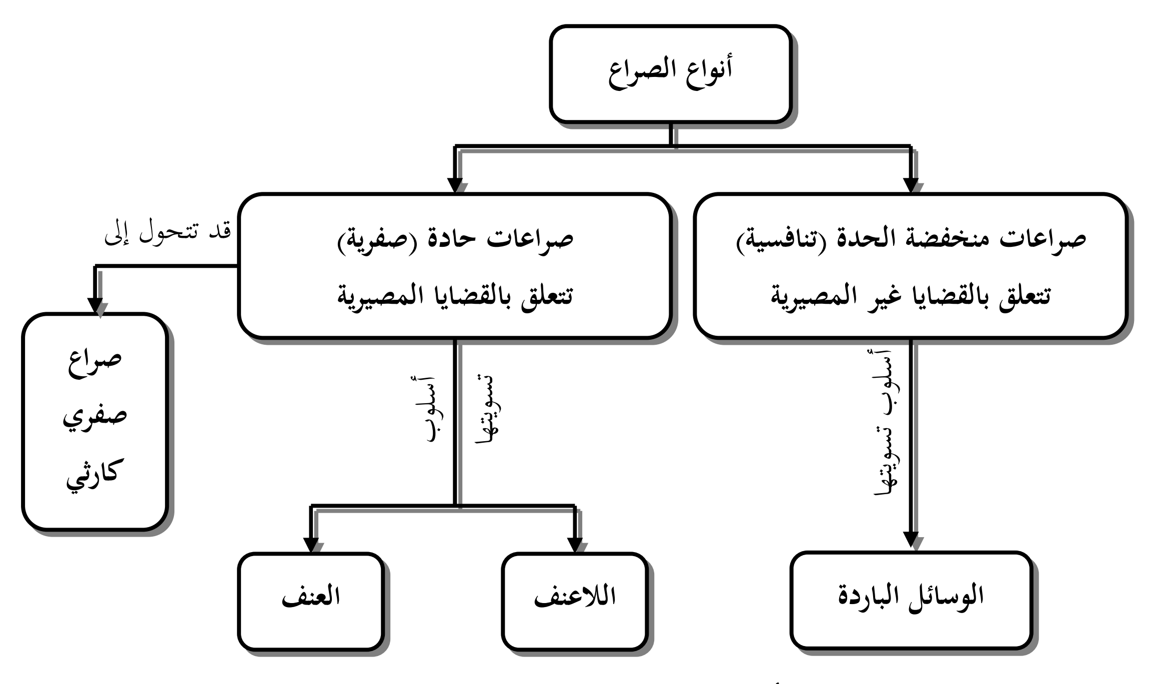
الرابع: اضطراب المعادلة الاستراتيجية: التي يدور الصراع السياسي في فلكها مثل وفاة أحد الزعماء أو حدوث أزمة عالمية أو إقليمية تلقي بظلالها على ثبات الأوضاع الاستراتيجية بين طرفي الصراع، وتحدث حالة من الخلخلة الاستراتيجية التي تغري أحد طرفي الصراع أو كليهما بمحاولة الولوج من خلالها لتحقيق مكاسب صلبة.



شكل 11: ديناميكية الصراع تعتمد على درجة الاختلاف والتنوع والندرة، وطبيعة الخصوم المختلفين،تشكل وسائل تكتيكات جديدة تكسر الجمود، وتغير الأوضاع الاستراتيجية

4. أنواع الصراع السياسي

ينقسم الصراع السياسي إلى ثلاثة أنواع رئيسة:



شكل 12: أنواع الصراع السياسي والوسائل المناسبة لتسويتها

الأول: صراع منخفض الحدة (تنافسي): حيث تكون القضايا التي يقوم عليها الصراع غير مصيرية بالنسبة لأطرافه المختلفة، وهي تلك القضايا التي يمكن التفاوض والحوار حولها، مثل القضايا المتعلقة بتغيير بعض القوانين، أو زيادة الأجور والامتيازات المخصصة لجماعة ما، أو الدفاع عن البيئة أو قضايا نزع السلاح، أو الدفاع عن اللاجئين، وغيرها من القضايا التي لا تمثل تهديداً لوجود[1] طرفي الصراع. وهذا النوع من الصراع يتم حسمه باستخدام الوسائل الباردة كالتفاوض والحوار وغيرها.

[1] هناك ثلاث مراحل تمر بها أي مؤسسة:

المرحلة الأولى: مرحلة الوجود. فكل كائن حي أو نظام قائم يحرص أولاً على بقائه أو وجوده.

المرحلة الثانية: مرحلة الاستقرار. فهذا الكيان الذي ضمن وجوده وبقاءه في المرحلة الأولى يسعى بعد ذلك إلى الاستقرار. فتأمين الوجود والبقاء قد لا يعني استقرار النظام. لذا فهو يسعى إلى تعديل أوضاعه لإيجاد حالة من الاستقرار.

وتبعاً لنظرية أرنولد توينبي المتعلقة بالتحدي والاستجابة[1] فإن هذا النوع من الصراع إيجابي، إذ أنه يفجر طاقات الإبداع، فصراع الأفكار والرؤى والتجارب المنضبط هو الذي ينتج مجتمعاً نابضاً بالحياة والحركة والإنتاج.

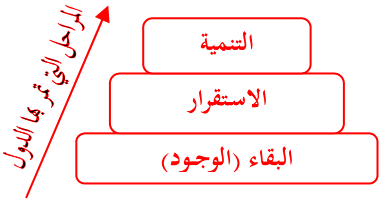
الثاني: صراع مرتفع الحدة (صفري): حيث تكون القضايا المصيرية على المحك، وهي تلك القضايا التي تهدد وجود أو استقرار أحد طرفي الصراع، مثل قضايا الاحتلال والاستبداد حين لا يقبل أي طرف أن يتخلى عن أجندته، ويُحسم هذا النوع من الصراع من خلال التدافع بين الحركات الوطنية والأنظمة الحاكمة، وهو ما يحدث في الدول التي تحكمها أنظمة ديكتاتورية، وغالبًا ما ينتهي بالقضاء على أحد الطرفين. وهو التدافع الذي غالباً ما يتميز بالعنف لكونه الأداة الوحيدة التي كان يعتقد بفاعليتها وجدواها. وقد أثبتت التجارب التاريخية التي سردناها من قبل بأن مثل هذه الصراعات يمكن تسويتها عن طريق حرب اللاعنف.

ورغم أن هذا التقسيم لأنواع الصراع اعتمد على نوع القضايا التي يتناولها إلا أنه يمكن القول بأن هناك عاملاً آخر يؤثر على طبيعة الصراع؛ يتجسد في مدى توافر آليات مؤسساتية منظمة ومقننة ومعروفة لحسمه.

المرحلة الثالثة: مرحلة التنمية. وفيها يهدف الكيان – بعد المرحلتين السابقتين – إلى مستوى ثالث، ألا وهو النمو وتطوير ذاته والبناء.

وهكذا فإن أي نظام يسعى إلى الوجود، ثم إلى الاستقرار، ثم إلى التنمية.

والقضايا غير المصيرية عادةً ما تتعرض للمستوى الثالث – التنمية – ولا تتعرض للمستويين الأول والثاني، فأكثر هذه القضايا يكون متعلقاً برؤية الخصوم لكيفية وطريقة التنمية.



[1] للاطلاع على نظرية التحدي والاستجابة يمكن الرجوع إلى كتاب نحو وعي استراتيجي بالتاريخ "الذاكرة التاريخية" للدكتور جاسم سلطان، الطبعة الأولى، مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع، صفحة 16.

فعلى سبيل المثال يمكن تصنيف الكثير من الخلافات الحدودية بين الدول على أنها صراع منخفض الحدة، رغم أهمية القضية محل النزاع، ذلك أن وجود آلية مقبولة ومتعارف عليها لفض مثل هذه النزاعات على المستوى الدولي يحول دون تحولها إلى صراع صفري، وبالمثل فإن الذي يحول دون تحول التنافس الحزبي الشديد بين الأحزاب – المختلفة فكرياً وأيديولوجياً وعقائدياً – في المنظومة الديمقراطية إلى صراع صفري هو وجود آليات التنافس والتداول السلمي للسلطة.

ومن هذه الآليات: الدساتير والقوانين، ونظام التحاكم الأسري والعشائري، والأحكام الدينية، والأعراف والتقاليد، والحوار والمؤتمرات. وتتراوح هذه الآليات بين كونها رسمية ومدونة مثل الانتخابات وما يعطيه الدستور من حقوق للأفراد والجماعات من وسائل للتعبير والمطالبة بالحقوق العامة والخاصة. أو متعارفاً عليها وكامنة في العقل الاجتماعي والفردي. وتسمى هذه الضوابط مجتمعة "**نطاقات السلام**"،[1] فتمنع تلك التناقضات من أن تتحول إلى صراع صفري عنيف ومدمر.

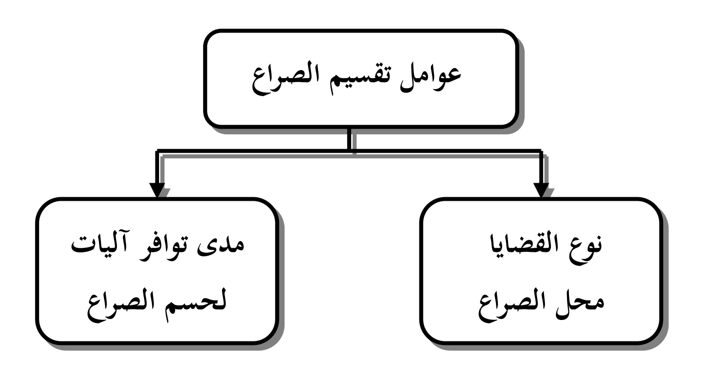
وعند غياب مثل هذه الآليات المنظمة لفض الصراع كما في حالات الديكتاتوريات والاحتلال التي تعتمد القوة المادية– العسكر – كآلية لفرض إرادتها والحفاظ على مصالحها؛ فإن الصراع يتحول إلى صراع صفري، وفي بعض الحالات يبلغ الصراع من الحدة بين الطرفين ما يمكن أن نطلق عليه "الصراع الصفري الكارثي".

الثالث: الصراع الصفري الكارثي: وهو الصراع الذي ينتهي بالقضاء على طرفي الصراع، حيث تتفكك بنى ومؤسسات الدولة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتسود الفوضى العامة التي لا

[1] نطاقات السلام هي الآليات والضوابط التي تضمن بقاء الصراع والتدافع بين الأفكار المتعارضة في النطاق الحضاري البَنَّاء الذي يسهم في تطوير المجتمع، فهي تمثل أحزمة الأمان التي تَحُول دون تَحَوُّل الصراع إلى النطاق السلبي الهدام.

تستطيع معها الحركة المقاومة فرض سيطرتها أو نفوذها على أرجاء الدولة. وكثيراً ما ينتج هذا النوع من الصراع عن تدخل قوة ثالثة تدمر طرفي الصراع عسكرياً أو معنوياً أو اقتصادياً.

وتمثل الحالة العراقية نموذجاً صارخاً لهذا الصراع الصفري الكارثي، حيث لجأت المعارضة إلى القوى الخارجية الأمريكية لتدمير قوة النظام، ولكنها عجزت عن التعامل مع القوى الخارجية وفرض سيطرتها على الدولة. فكلاً من طرفي الصراع – النظام والمعارضة – خرج من هذه المعركة مهزوماً، حيث فَككت القوى الخارجية ودَمرت بنى الدولة تماماً، بينما دمرت المعارضة – التي استعانت بالأمريكان– إعلامياً وخسرت تأييد الجماهير، ففقدت مصداقيتها، وبالتالي عجزت عن فرض سيطرتها على الدولة أو فرض إرادتها على القوى الخارجية لافتقادها العمق الجماهيري.



شكل 13: عوامل تقسيم الصراع، حسب نوع قضايا الصراع وتوفر آليات التعامل معها

5. الأضرار الناتجة عن الخطأ في تحديد طبيعة الصراع

كثيراً ما تتعامل حركات المقاومة مع الصراع بقدر كبير من حسن النية، فيعلن قادتها أن الصراع بينهم وبين خصومهم هو صراع تنافسي، وليس صفرياً، ويقصدون بذلك في كثير من الأحيان إظهار حسن النوايا للخصم، إلا أن أضرار هذا الاعتقاد أو الإعلان تتمثل في التالي:

1. **خلل على مستوى النتائج**، حيث يفقد أعضاء حركة المقاومة حس الصراع نتيجة غياب أو ضعف الباعث الشعوري المحفز، حيث إن شعور أفراد المقاومة بحدة الصراع يجعلهم مستنفرين لأقصى درجة ممكنة، وكلما قل الشعور بحدة الصراع؛ زاد استرخاء أفراد المقاومة، مما يجعل الحركة تتحول إلى ما يشبه النادي الاجتماعي أو المؤسسة الخيرية التربوية الاجتماعية، وهو ما يمكن اعتباره خللاً على مستوى النتائج.

   وبشكل تلقائي يؤدي هذا الخلل إلى تحويل بعض حركات المعارضة والمقاومة – ذات البرنامج السياسي والأيديولوجي أساساً – إلى مؤسسات اجتماعية وثقافية وتربوية، وقد يؤدي بهذه الحركات إلى خفض سقف أهدافها، أوتغيير الأهداف بالكلية في بعض الحالات.

2. **عدم القدرة على الحشد الجماهيري**، وافتقاد مناصرة الجماهير الواسعة، فعموم الجماهير لا تتبع الخطاب الدبلوماسي، ولا تتبع خطاب الضعفاء؛ ولكنها تتبع الخطاب الحاد القوي الذي يبيع لها الأمل، ويشعرها ببريق الفكرة، ويبشرها بإمكانية الفعل، وبقدرة الحركة على الانتصار.

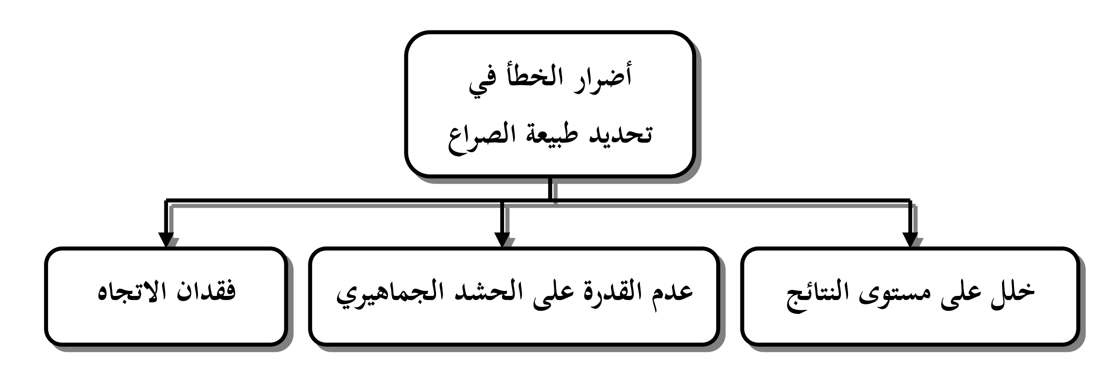
   وهذا الخلل نلحظه واضحاً عندما نقارن خطاب وأداء حركة قادرة على حشد الجماهير وبين أداء حركات أخرى زهدت في الجماهير واتخذت لنفسها أعذاراً ولا تفتر

عن النيل من الجماهير، فترى قعود الجماهير عن مناصرتها دلالة تخلف وسلبية من الجماهير، وليس فشلاً في قدرتها على الحشد واختيار الخطاب المناسب.

3. **فقدان الاتجاه،** فالتعامل مع الصراع التنافسي يختلف تماماً عن التعامل مع الصراع الصفري. ومن ثم فإن الخطأ في تحديد طبيعة الصراع هو خطأ على مستوى الفكرة (خطأ قاتل)، تنتج عنه تلقائياً أخطاء على مستويات السياسات والاستراتيجيات والتكتيكات والتنفيذ، مما يؤدي بالحركة إلى السير في الاتجاه الخاطئ أو الدوران حول نفسها.

وتحدث نفس هذه الأضرار في حالة الاعتقاد بصفرية الصراع التنافسي، فيؤدي إلى خلل على مستوى النتائج نتيجة الإحساس العالي بصراع صفري غير موجود أصلاً، مما يؤدي إلى تحول الحركة إلى مؤسسة غريبة في المجتمع، وهو ما يفقدها مناصرة الجماهير الواسعة لاستهجانها خطاب الحركة، كما أنها تفقد الاتجاه لوجود هذا الخطأ على مستوى الفكرة، فتتحرك في الاتجاه الخطأ.

ونلحظ هذا الاضطراب واضحاً في حالة الأحزاب النازية المعاصرة في الغرب، حيث تستهجن الجماهير خطابها، وتشبه رموز تلك الأحزاب – بالقول أو بالرسم – برموز النازية والفاشية التي نشرت الحروب والخراب والدمار في أنحاء أوروبا قبيل منتصف القرن العشرين.



شكل 14: أضرار الخطأ في تحديد طبيعة الصراع مما يؤدي إلى خلل في النتائج، وقعود الجماهير، واضطراب الأنشطة

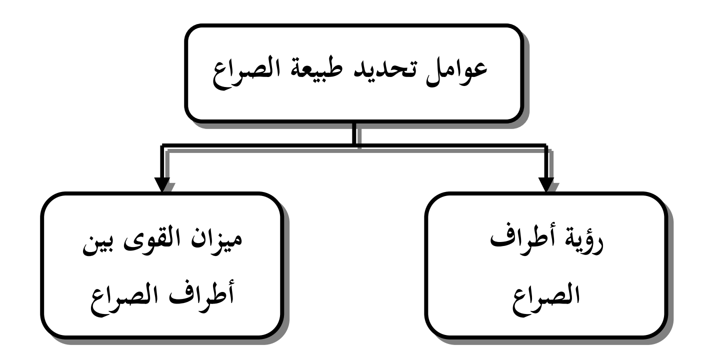
6. من الذي يحدد طبيعة الصراع السياسي؟

وهنا يتبادر سؤال، من الذي يحدد طبيعة الصراع السياسي؟ وماذا لو رآه أحد الأطراف تنافسياً، ورآه الآخر صفرياً؟

والواقع أن طبيعة الصراع تتحدد بناء على عاملين:

الأول: **كيفية رؤية كافة أطراف الصراع له.** فالصراع يقوم بين طرفين أو أكثر حول قضية ما، وبالتالي فمعتقدات وتصورات وأهداف ومصالح وسياسات أطراف الصراع المختلفة حول هذه القضية تؤثر بوضوح في تحديد طبيعة الصراع.

الثاني: **ميزان القوى بين أطراف الصراع.** ففي حالة توازن القوى بين أطراف الصراع المختلفة تتحدد طبيعة الصراع بناء على رؤية الأطراف المختلفة، وفي حالة رجحان كفة ميزان القوى لصالح أحد الأطراف تصبح رؤيته للصراع هي التي تحدد طبيعته، وعلى بقية الأطراف أن تتعامل معه بمنطق الطرف الأقوى.



شكل 15: عوامل تحديد طبيعة الصراع تنافسي أو صفري حسب رؤية الأطراف وميزان القوى بينهم

فعلى سبيل المثال قد تقرر حركة المقاومة أن صراعها ضد خصومها هو صراع تنافسي، بينما خصومها يرونه صراعاً صفرياً، فكيف تتحدد طبيعة الصراع؟

إن طبيعة الصراع تتحدد في ضوء العاملين السابقين، فلو كان الخصم يرى الصراع صفرياً ويميل ميزان القوة لصالحه فإن رؤيته للصراع هي التي تصوغه وترسم شكله ومساره، وفي حالة اعتقاد المقاومة بأن الصراع تنافسياً ويميل ميزان القوى لصالحها فإن رؤيتها للصراع هي التي تصوغه وترسم شكله ومساره.

فتحديد طبيعة الصراع لا تخضع للرغبات والأماني والأحلام؛ وإنما للمعطيات السياسية على أرض الواقع وموازين القوى بين الأطراف المختلفة، فهو قرار متبادل بين كافة الأطراف.

7. هل يمكن أن يتحول الصراع من نوع إلى آخر أثناء حدوثه بين الأطراف؟

يمكن للصراع أن يتحول من الصفري إلى التنافسي أو العكس إذا ما قيد أحد الأطراف نفسه طواعية للطرف الثاني، حيث تتغير قناعات الخصم بطبيعة الصراع، وهو ما قد يحدث نتيجة قدرة أحد الأطراف على التأثير في وعي الطرف الآخر بموازين القوى، أو نتيجة ضغوط وعوامل خارجية، فيقيد الخصم نفسه ويقدم تنازلات.

الخلاصات العملية

- اكتساب المهارات المتعلقة بإدارة الصراع، وإسقاط إمكانية الفرار منه من حساباتها، فإن الفرار يعني الاستسلام للخصوم.
- تزويد الجماهير بالرغبة والقدرة على شن الصراع.
- التأكد من عدالة القضية وأنها في مصلحة المجتمع ككل.
- الاهتمام بمخاطبة الناس ورفع درجة حساسيتها تجاه الظلم والأوضاع الخاطئة، من خلال:
- التلطف في خطاب الجماهير.
- القيام بأعمال تحرك مشاعر وفكر الجمهور.
- اختيار الخطاب والوسائل المناسبة لكل شريحة
- إظهار أخلاقية العمل المقاوم سواء من حيث عدالة القضية أو الوسيلة المستخدمة.
- تقديم البطولات التي تثير التساؤل لدى الجماهير الصامتة. فكل تضحية تساهم في خلق هذا الحوار مع الجماهير، لذلك لا يتهيب المقاوم اللاعنيف من آثار القمع (المحدود)، فلا ينشغل كثيراً بكيفية الرد عليه، بقدر ما ينشغل بكيفية إقناع الجماهير بفداحة الظلم الواقع، ويدعوها كي تقف معه وهو يواجه ببسالة.
- التحديد الدقيق لمدى حدة الاختلافات بينها وبين خصومها.
- التحديد الدقيق لطبيعة خصومها حتى لا تدور في دائرة من الأوهام والظنون.
- تحديد طبيعة الصراع بدقة بعيداً عن الأحلام والأماني.
- تحديد نوع الصراع من منظور فريقك أو مجموعتك.
- تحديد نوع الصراع من منظور خصمك.

- بناء على رؤية كل طرف، وموازين القوى حدد طبيعة الصراع
- تحديد المسار العام لخوض الصراع (نضال دستوري – حرب اللاعنف – الخ).

الفصل الثاني: طبيعة أطراف الصراع

"شن الصراع الحاسم **على الخصوم المعاندين** من خلال التحكم المقصود والمخطط في أدوات القوة السياسية لتحطيم إرادة الخصم باستخدام أسلحة لاعنيفة قوية التأثير"

المحتويات

نقصد بالخصوم المعاندين أولئك "**الذين يتمسكون بجعل الصراع حول القضايا المصيرية صراعاً صفرياً**"، فيتمسكون بأدوات القوة العسكرية كآلية لحسم تلك القضايا، ويرفضون تحويله إلى صراع تنافسي عبر تقنين آليات مؤسساتية منظمة ومعروفة قادرة على حسم تلك الصراعات سلمياً، ومثال ذلك الأنظمة الديكتاتورية بنوعيها العسكري والأيديولوجي، أو الأنظمة المتبنية لسياسات التمييز العنصري، أو الاحتلال الأجنبي أو الغزو، أو الراغبين في الإطاحة بالأنظمة الصالحة عبر الانقلابات العسكرية.

ولا يعد الحديث عن طبيعة الخصوم وأطراف الصراع من نافلة القول؛ بل إنه يعد من ضروريات حرب اللاعنف، فعلى أساس الإدراك الجيد لكل طرف من أطراف الصراع بخصومه تتحدد طبيعة الصراع ومساراته المحتملة.

ولن نتناول في كتابنا هذا أطراف الصراع على وجه العموم؛ بل سنقتصر على أطراف الصراع الصفري[1] الذي يمثل محور الصراعات السياسية في الأنظمة الاستبدادية في العالم وبالأخص في عالمنا العربي والإسلامي.

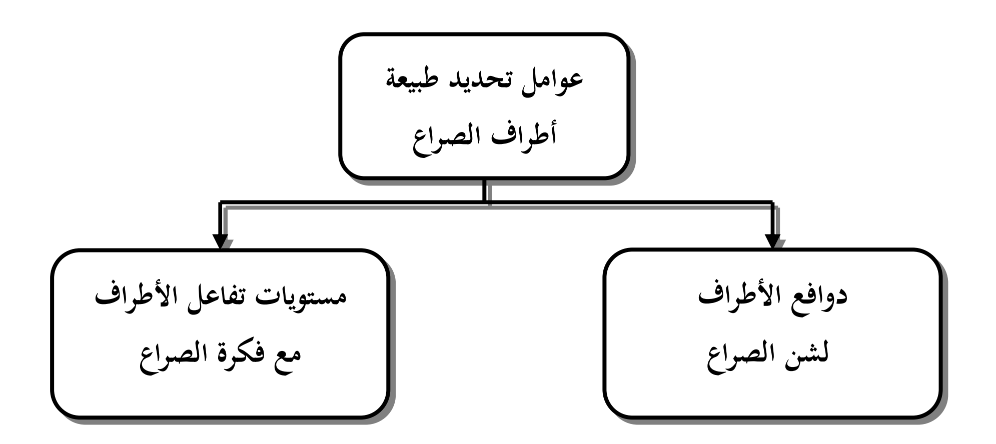
[1] ابتداء من هذا الباب فإن ذكرنا لكلمة "الصراع" إنما نقصد بها "الصراع الصفري"، حيث إن أغلب الصراعات بين الحركات الجماهيرية وبين الأنظمة في عالمنا العربي والإسلامي تندرج تحت هذا النوع من الصراع، وهو موضوع بحثنا هذا.

1. عوامل تحديد طبيعة أطراف الصراع

وسنتناول في إطار حديثنا عن أطراف الصراع الصفري موضوعين رئيسين يجب على كل طرف من الأطراف دراستهما، لأنهما يساعدان في تحديد طبيعة الخصوم، كما أنهما يؤثران في تشكيل هذه الطبيعة وتغييرها أحياناً، وبالتالي في إعادة تعريف طبيعة الصراع.

العامل الأول: دوافع الأطراف لشن الصراع.

العامل الثاني: مستويات تفاعل الأطراف مع فكرة الصراع.



شكل 16: عوامل تحديد طبيعة الصراع

أولاً: دوافع الأطراف لشن الصراع

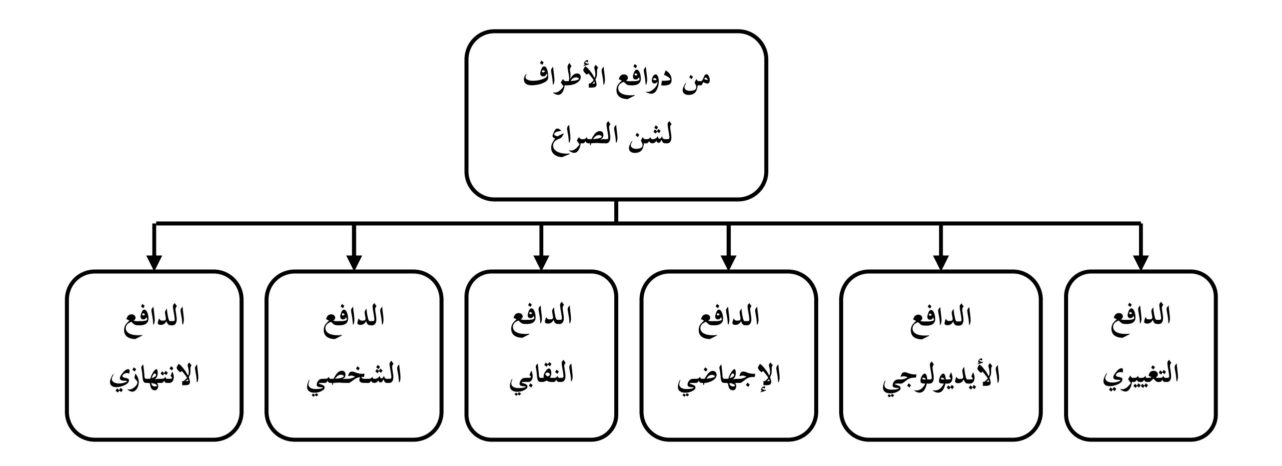
وسنتعرض هنا لبعض دوافع كلٍ من حركة المقاومة وخصومها، وكيف يمكن أن تؤثر هذه الدوافع في شكل الصراع.[1]

	الدوافع	النظام	المقاومة
1	الثوري التغييري	التطلع إلى تغيير الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد، مع الاعتقاد بالصواب المطلق، وبجهل الأحزاب والحركات والجماهير. **مثال:** الأنظمة القائمة على الزعيم الأوحد، مثل كوبا.	التطلع إلى تغيير الوضع السياسي والاجتماعي ، واستبداله بوضع آخر، بعد امتناع الحكم القائم عن قبول التغيير بالآليات التنافسية المدنية. **مثال:** حركات المقاومة مثل حركة أتبور في صربيا عام 2000.
2	الأيديولوجي	وهو جزء من صراع الأفكار في العالم، وفي هذه الحالة فإن كلاً من النظام والمقاومة لا تحركهما أجندة محلية داخلية؛ ولكنهما يكونان جزءاً من مشروع كوني وعالمي، وتصبح المنطقة المستهدفة بالفعل – المشروع المحلي – ليست هدفاً في حد ذاتها ولكنها منطقة ارتكاز للمشروع الكوني. وبالتالي فإن تقديم التنازلات من قبل الطرفين لا يعد هزيمة داخلية أو محلية فحسب؛ ولكنه خسارة للمشروع الكوني الكبير. مثال: الأنظمة والحركات الشيوعية السابقة، وحركات المقاومة الإسلامية.	
3	الإجهاضي	التطلع إلى إجهاض محاولات الانقلاب على النظام، تلك المحاولات التي قد تتخذ شكل الانقلاب العسكري أو محاولات قوى سياسية أو أيديولوجية مناوئة تقويض النظام وفرض تصوراتها. مثال: الصراع بين حكومة الثورة وجماعة الإخوان المسلمين في	التطلع إلى إجهاض محاولات الانقلاب على النظام الصالح، تلك المحاولات التي قد تتخذ شكل الانقلاب العسكري أو محاولات قوى سياسية أو أيديولوجية مناوئة تقويض النظام الصالح وفرض تصوراتها. مثال: تصدي الشعب الألماني

[1] هذه الدوافع مقتبسة من كتاب الدكتور زين الدين حماد "الانقلابات العسكرية..التحضير التنفيذ التثبيت"، ص11: 12

		مصر في خمسينيات القرن العشرين.	لمحاولة الانقلاب العسكري عام 1920.
4	النقابي	التطلع إلى الحفاظ على الأوضاع المادية والمعنوية والسلطوية لطائفة أو فئة أو طبقة اجتماعية معينة. **مثال:** الحكومات العسكرية حول العالم التي تريد الحفاظ على مكتسبات الجيش وإبقاءه في قمة الهرم السلطوي.	التطلع إلى تحسين الأوضاع المادية والمعنوية لطائفة أو فئة أو طبقة اجتماعية معينة أو تغيير النظام الطبقي في المجتمع. **مثال:** الحركات العمالية التي انتشرت حول العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين.
5	الشخصي / العائلي	الرغبة في الحفاظ على المصالح الشخصية والعائلية والحزبية والنقابية، تحت شعار أن مصلحة النظام وبقاءه واستقراره مقدم على مصلحة الوطن. فمعايير نجاح النظام حينها لا تتمثل في الجوانب السياسية (الحريات وحقوق الإنسان) أو الاقتصادية (الناتج القومي واستغلال الموارد ودخل الفرد) أو الاجتماعية (التجانس ودرجة التراضي) أو الصناعية (البحث والتصنيع والاستخدام)، ولكنها تتمثل في تثبيت أركانه والانتقال به من مرحلة الوجود إلى الاستقرار. مثال: الكثير من الأنظمة الدكتاتورية في العالم.	الطموح إلى الزعامة واعتلاء قمة الهرم السياسي والسلطوي في الدولة. وهو ما يمكن تفسيره بأنه مجرد حب للسلطة. مثال: بعض الأحزاب والحركات المغمورة.
6	الانتهازي	استغلال وضع غير طبيعي لاستلام السلطة دون تفكير مسبق في ذلك، مثل حدوث فراغ دستوري فجأة، فتبادر الحركة إلى شن الصراع من أجل فرض أجندتها في تلك اللحظات الحرجة في عمر النظام.	

جدول 2: بعض الدوافع المؤثرة في حس أطراف الصراع والتي تحدد بناء عليها الحركات المقاومة والأنظمة الحاكمة استراتيجياتها وخطوطها الحمراء التي تحاول الدفاع عنها بكل الوسائل التي تملكها، وتحدد حجم وطبيعة ردود أفعالها إذا ما تعرضت للهجوم، وقد يجتمع لبعض أطراف الصراع أو جميعهم أكثر من دافع



شكل 17: دوافع الأطراف لشن الصراع

ونتحدث هنا عن البواعث والدوافع الحقيقية التي عادةً ما تحكم طرفي الصراع لا عن الدعاية السياسية الموجهة ضد الخصوم، أو الموجهة للجماهير لكسب دعمها وتأييدها، أو الموجهة إلى العالم الخارجي في إطار التطمينات على التحالفات والمصالح.

وعلى قادة حركات المقاومة توضيح وتدريس دوافع الحركة الحقيقية لكافة الأعضاء، لأن هذا التوضيح يشكل "إسمنت فكري" يوحد الحركة على مجموعة من المعتقدات والأفكار والأهداف والقيم، ما يؤدي إلى ترابط وتقوية صفوفها، ودعم عنصر الثقة بين القادة والأعضاء، ويقلل نسب التفلت والانفضاض في اللحظات الحرجة، خاصةً تلك التي تتعرض فيها الحركة للحرب النفسية والدعاية السياسية، التي عادةً ما تكون موجهة لتنال من قيادات الحركة، وتصوب سهامها إلى هذه النقطة بالذات.. نقطة الدوافع الحقيقية للقادة.

وعلى قادة الحركات المقاومة كذلك الانتباه لدوافع الخصوم الحقيقية،[1] وتدريسها لأفرادها، حتى يتمكنوا من تحديد الخطوط الحمراء وخطوط الدفاع المختلفة التي يرسمها الخصم لنفسه، فلا يفاجأون بردود أفعال غير متوقعة من الخصم عند ممارستهم لفعل سياسي ما. فالحركة المقاومة قد تقدم على فعل سياسي معين وهي لا تدرك – نتيجة جهلها بدوافع الخصم الحقيقية – أنها تمس خطوطه الحمراء، فتفاجأ برد فعل قوي لا يتناسب – في تصورها– مع طبيعة الفعل الذي مارسته، ثم تتعجب من بطش النظام، ثم تنعته بالغباء السياسي، وكأن واجبه أن يفسح لها الطريق كي تمر.

ولا يعني هذا أنه يجب على الحركات عدم المساس بخطوط الخصم الحمراء، بل يعني أنها إن كانت ستفعل؛ فلابد أن تكون على علم تام بأنها مقدمة على تجاوز الخطوط الحمراء، وتعرف ما الذي يعنيه هذا التجاوز، ومستعدة للتعامل مع عواقبه.

كذلك يفيد هذا التصنيف للدوافع في تفتيت معسكر الخصم في أذهان المخطط الاستراتيجي المقاوم، فأفراد الحزب الحاكم على سبيل المثال لا تحركهم دوافع واحدة، منهم من له دافع أيديولوجي، ومنهم من له دافع شخصي، الخ. وبالتالي يمكن تفتيت المعسكر باستقطاب العناصر التي لا تتحرك بدافع أيديولوجي أو ثوري، لأن هذه هي أشد الدوافع صلابة ويصعب تغيير مواقف أصحابها. أما أصحاب الدوافع الشخصية والنقابية الفئوية فيمكن أن يجدوا مصلحتهم في التغيير، ومن المهم صياغة خطاب قادر على اجتذابهم من معسكر الخصم.

---

[1] يجب الانتباه إلى أن كل طرف قد يحركه أكثر من دافع، فقد يجمع بين الدافع الثوري التغييري والأيديولوجي، أو بين الدافع الشخصي والإجهاضي، وهكذا.

أنواع الصراع الصفري

ينقسم الصراع الصفري إلى أربعة أنواع بناءً على عاملين:

الأول: دوافع أطراف الصراع.

والثاني: درجة المخاطرة التي لابد أن يستعد لها طرفا الصراع، وبالأخص المقاومة.

1. **صراع الحافة (الضربة القاضية):** فالذين يدفعهم دافع الثورة والتغيير أو دافع الأيديولوجيا يستعدون في العادة لدرجة عالية من المخاطرة، وربما اندفعوا تحت وطأة مشاعرهم الوطنية دون إعداد كاف، فينتهي جهدهم بفشل وكارثة سياسية. وفي هذه الحالة يتحرك طرفا الصراع – وبالأخص المقاومة – على حافة الخطر وعلى الحد الفاصل بين البقاء والفناء.

وعادةً ما ينتهي هذا الصراع بالضربة القاضية، إذ لا تتاح الفرصة للمهزوم لإعادة الكرة أو لمحاولة بناء الذات مرةً أخرى. وإنما يصبح المهزوم جزءاً من التاريخ ومن ذاكرة الصراع. وفي حالة قدرته على الوقوف مرة أخرى فإن الهزيمة تكون من القسوة والقوة بحيث تحدث تحولاً وانحرافاً كبيراً في مساره وأهدافه وطرق عمله وثقافته ونظرته للمجتمع، بل وطبيعة مؤسساته السياسية والاجتماعية.

ويعتبر صراع الحافة من أشد أنواع الصراع وطأة وقسوة على حركات المعارضة، فالحاكم الديكتاتوري قد يتنازل عن عرشه إذا استشعر الأخطار، بينما الحاكم الأيديولوجي والثوري قد يضحي بنفسه وبالجماهير وبالدولة من أجل مشروعه الكوني، أو اعتقاده بصوابه المطلق كما فعل هتلر.

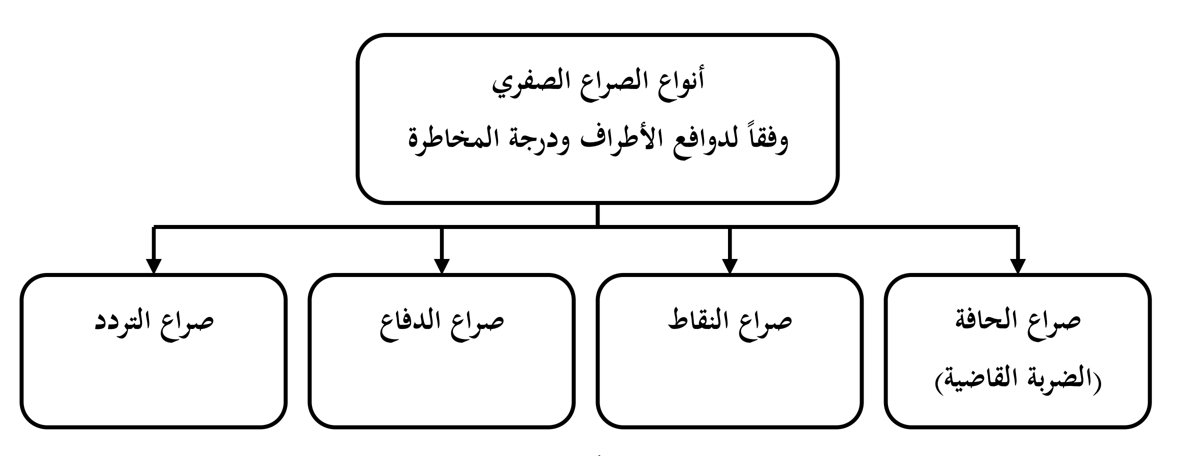
2. **صراع النقاط:** فالذين يتصارعون بدافع نقابي مثلاً يخاطرون بدرجة أقل، بشكل لا يعرضهم لفقدان المكاسب التي حصلوا عليها عبر مسار الصراع، ويظلون في تردد بين مكاسب الماضي

ومطالب المستقبل، ويحاولون صعود سلم الأهداف درجة درجة. وهم يحاولون بذلك تحقيق أهدافهم عن طريق تجميع النقاط.

3 **صراع الدفاع:** والذين يدفعهم دافع إجهاضي؛ يتوقف مستوى استعدادهم للمخاطرة على درجة الخطر الداهم الذي يتوقعونه من خصومهم السياسيين والأيديولوجيين، أو العسكريين الذين يخططون للاستيلاء على السلطة. ففي هذا النوع من الصراع لا تشن المقاومة – سواء تمثلت في الحركة أو النظام – الصراع، ولكنها تعد نفسها لمواجهة هجوم متوقع، وقد تقوم بضربات استباقية في إطار دفاعي، ويتوقف مستوى هذا الإعداد على مستوى الخطر الداهم. فعندما تفاجأ المقاومة مثلاً بانقلاب عسكري فإن مستوى استعدادها لمواجهته يختلف تماماً عن مواجهة ثورة أيديولوجية أو حملة سياسية.

4. **صراع التردد:** أما الذين يدفعهم دافع الطموح الشخصي والانتهازي فهم في الغالب من الجبناء الذين لا يخاطرون، ولا يتجرأون على شن الصراع إلا إذا كان تنفيذه سهلاً ونتيجته مضمونة.

وهنا لابد أن تدرك حركات المقاومة أن تحديد النوع الذي يندرج تحته صراعهم الصفري مع الديكتاتوريات هو من قبيل الضروريات والواجبات، إذ بدونه تتعرض الحركات للضربات والهزائم المتتالية التي لا تضر بالحركة وحدها؛ بل تمثل هزيمة نفسية للجماهير بأكملها، تفقدها الثقة بنفسها وبالمقاومة.



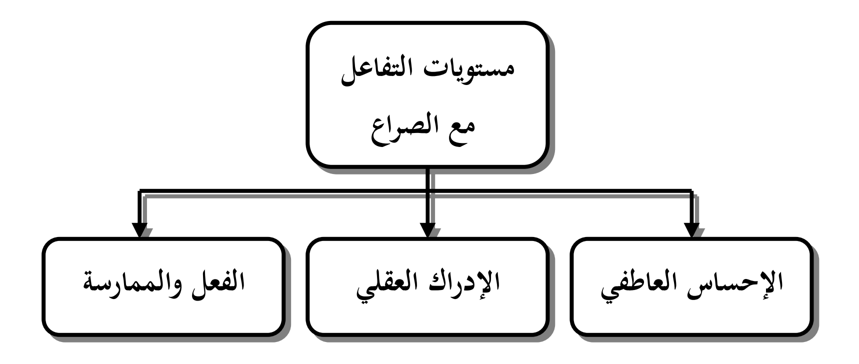
شكل 18: أنواع الصراع الصفري وفقاً لدوافع الأطراف ودرجة الاستعداد للمخاطرة

وفي مسار صراع المجتمعات ضد الديكتاتوريات واستبدالها بأنظمة تقوم على قيم العدل والحرية قد تنتقل حركات المقاومة من نوع من أنواع الصراع إلى آخر. ففي إحدى مراحل السير نحو التحرر قد يكون الصراع صراع حافة، فإذا ما تحققت بعض المكاسب قد يتغير نوعه ليصبح دفاعياً أو فوزاً بالنقاط. ومنشأ هذا التحول تغير دوافع الأطراف أو حتى تغير الأطراف أنفسهم بتطور الصراع، أو تغير عنوان الصراع وهدفه. فبينما يكون الصراع في إحدى المراحل مع رأس النظام ممثلاً في الحاكم قد يتحول بعد ذلك ليصبح مع أحد أذنابه أو أتباعه بعد سقوطه. وبينما يكون الصراع قبل الإطاحة بالديكتاتور حول تحرير صندوق الانتخابات ليصبح ممثلاً لصوت الشارع بدون تزوير، يتحول لاحقاً إلى صراع حول أي البرامج الأفضل للحكم.

ثانياً: مستويات تفاعل الأطراف مع فكرة الصراع

يتفاعل أطراف الصراع مع فكرة الصراع على مستويات ثلاثة:

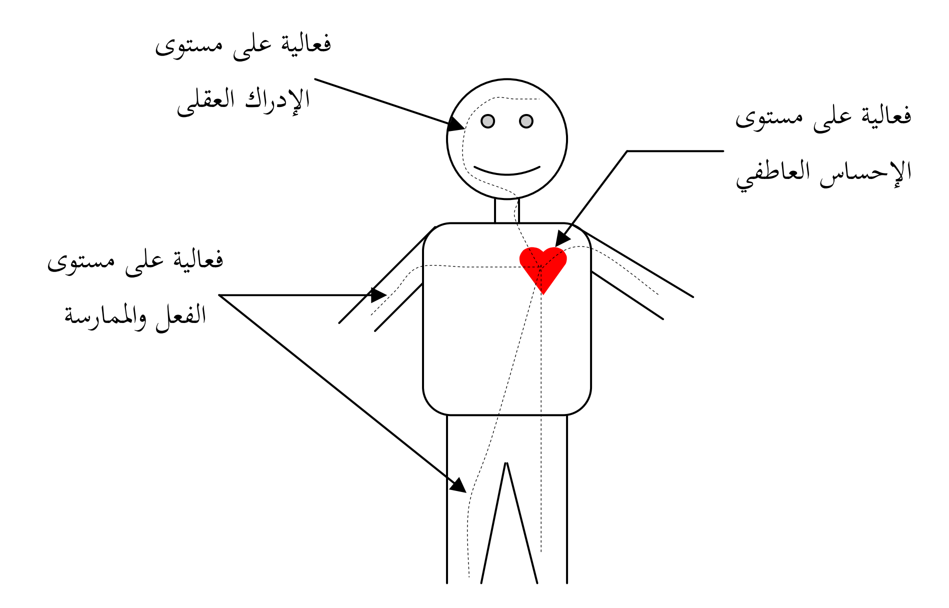
1. مستوى الإحساس العاطفي.
2. مستوى الإدراك العقلي.
3. مستوى الفعل والممارسة.



شكل 19: المستويات الثلاثة للتفاعل مع الصراع، الإحساس، والعقل، والتجربة والتي يحدد على أساسها أطراف الصراع طبيعته

وحركات المقاومة بحاجة إلى تفاعل صحيح لفكرة الصراع مع عقل وعاطفة الأفراد، والتي يعتمد عليها الأداء التجريبي الصحيح والفعال للحركة.

وحتى تتضح الفكرة فسنصور النموذج الأمثل للفعل السياسي – سواءً مارسه فرد أو حزب أو دولة – في هذا الشكل المرسوم:



شكل 20: النموذج الأمثل للفعل السياسي الصحيح = إدراك عقلي وعاطفة حساسة وفعالية في الأداء

فعند تحرير العقول وإدراكها الصحيح لطبيعة الصراع وكسر حاجز الخوف، فإن الآلام الناتجة عن الممارسات الخاطئة للحكومة الفاسدة كفيلة بإطلاق قوة لاتقهر لدى المجتمع. فحيث نجد قلباً مفعماً بالإحساس بالصراع، تتملكه الرغبة في مصارعة الظلم، و عقلاً مدركاً لطبيعة الصراع وأبعاده؛ تنطلق الحوافز إلى الجوارح لتتم عملية التنفيذ والممارسة. بأدوات ووسائل فعالة متناسقة مع العقل وإدراكه، والقلب وإحساسه.

والطرف الذي يتفاعل مع الصراع على هذه المستويات الثلاثة تكون له الغلبة. أما في حالة حدوث مثل هذا التفاعل لدى طرفي الصراع – حركة المقاومة والخصم معاً – فإن مجريات الأحداث تكون سريعة وقوية ومؤثرة، ويبلغ التدافع بين الطرفين ذروته، وتكون الغلبة رهن حسن الإعداد والتخطيط وحدة الرؤية والتنفيذ البارع.

باعث ودافع قلبي + بحث وإدراك عقلي + نشاط على مستوى التنفيذ = فعالية على مستوى النتائج

أما إذا حدث خلل على مستوى الإدراك العقلي – إما لضعفٍ أو خوفٍ من نتائج التحليل العقلي والتي قد تكون مخالفة لما تريده العاطفة – فإن الممارسة والتنفيذ تكونان نتاجاً مباشراً للإحساس أو الرغبة العاطفية وليس للإدراك العقلي لطبيعة الصراع، ومن ثم يمكن أن تفقد الممارسة والتنفيذ فعاليتها الحقيقية.

باعث ودافع قلبي + خلل وضعف عقلي + نشاط على مستوى التنفيذ = اختلال على مستوى النتائج

أما إذا توقف القلب وغاب الإحساس بالصراع أصلاً فإن الفعل السياسي يتلاشى؛ بمعنى أن تتحول الحركة أو الحزب أو التنظيم إلى الدوران حول الذات، وتغيب معايير الزمن والإنجاز، وقد تتحول حركة المقاومة إلى حركة اجتماعية أو تربوية أو خيرية أو غيرهما. وهنا غالباً ما يتم توظيف الحركة سياسياً –وإن لم تنتبه– لخدمة أحد أطراف الصراع في الدولة.

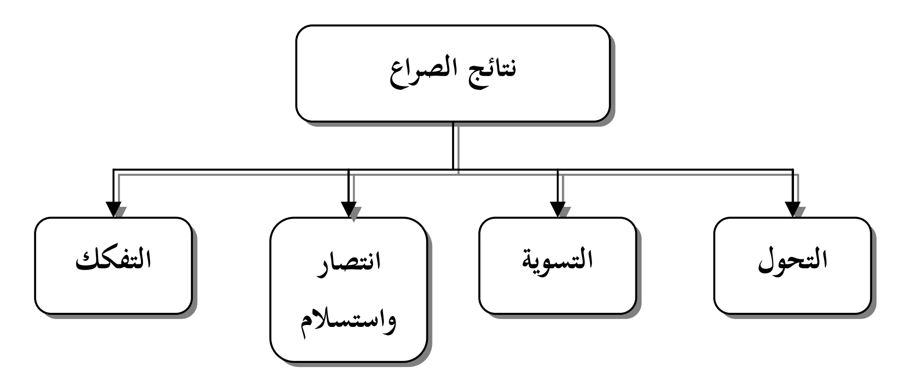
وغياب الباعث القلبي والقوة الدافعة النفسية غالباً ما يحدث نتيجة الخطأ في تحديد طبيعة الصراع، وهو ما تناولناه في الفصل الثاني.

غياب الباعث القلبي + إدارك عقلي + نشاط على مستوى التنفيذ = فقد الاستمرار

ويلعب التأثير العاطفي دوراً كبيراً في معارك التغيير، فالذي يتمكن من مخاطبة وجدان الناس أقرب للانتصار، والحكومات الفاسدة تقوم بتخويف الشعوب تارة، وملاطفتها في الخطاب تارة لتفوز بقلوبها. ويمكن للشعوب أن تغير موقفها بين عشية وضحاها بسبب موقف يلامس وجدانها حتى وإن تعارض مع عقولها. فالعاطفة أحياناً تكون أقوى من العقل. وحرب اللاعنف تعمل على الجبهات الثلاث، العقل والقلب والممارسة، وهي تخص القلب وتسعى لكسب

وجدان الناس، وهو ما يجعلها جمزدها يواجهون الموت بصدر عار دون اللجوء للعنف، فهي تخاطب الناس ولا تتهمهم في عقولهم أو تنعتهم بالسلبية. وقد جسدت الثورة الإيرانية هذا المعنى في عام 1979 وهي تخوض مواجهة مع الجيش المدجج بالسلاح، حيث طلب الخميني من الشعب الثائر ألا يصطدم بالجيش تحت أي ظرف، وأعلن صيحته المشهورة: "**لا تهاجموا الجيش في صدره؛ ولكن هاجموه في قلبه**"، "**إذا صدرت إليهم الأوامر بإطلاق النار عليكم، فلتعروا صدوركم، فدماؤكم والحب الذي ستظهرونه لهم وأنتم تسلمون الروح لبارئها سوف يقنعهم؛ فدماء كل شهيد هي ناقوس خطر يوقظ آلافًا من الأحياء**".. وكان المتظاهرون يهتفون "**أيها الجندي...أنت أخي لا تقتلني**".

2. نـتائج الصراع



شكل 21: الاحتمالات التي تمتهي إليها الصراعات

عادة ما تنتهي الصراعات بأربعة احتمالات[1]:

- **التحول:** قد ينتهي الصراع بتحول الخصم عن موقفه طواعية دون إجبار، وذلك نتيجة تغيير في القناعات، وهو أمر نادر الحدوث. فقلما نجد خصماً يقدم على تقديم تنازلات طوعية لاقتناعه بصوابية هذا الفعل، وهو ما نسميه "التحول".
- **التسوية (التنازلات المتبادلة):** قد ينتهي الصراع بتحقيق كل طرف من أطراف الصراع لبعض أهدافه، لكنه لا يتمكن من إنجازها كلها، فينتهي الصراع بتقديم تنازلات متبادلة. مثلما يحدث في صراع العمال مع أصحاب المصانع، حيث يحصل العامل على بعض من حقوقه مقابل وقف الإضرابات.

---

[1] تحدث جين شارب في كتاباته عن أربع آليات للتغيير:

- **التحول**: حيث نادراً ما تؤدي التغيرات في المواقف – الناتجة عن الكفاح اللاعنيف – إلى تحول في قناعات الخصم، بمعنى إقدامه على تقديم تنازلات طوعية لاقتناعه بصوابية هذا الفعل.
- **التأقلم**: في أغلب الأحيان يؤدي سحب التعاون الاقتصادي أو السياسي إلى إجبار الخصم على تقديم تنازلات.
- **الإجبار اللاعنيف**: في بعض الحالات يكون التمرد واللاتعاون من القوة والبراعة إلى درجة تضعف مصادر قوة الخصم بحيث لا يبقى أمامه من خيار سوى الاستسلام بشروط معينة.
- **التفكك**: في حالات قليلة يؤدي التمرد واللاتعاون الشامل والواسع النطاق إلى التدمير الكامل لمصادر قوة الخصم مما يؤدي إلى سقوط النظام.

▪ **الانتصار والاستسلام:** أي انتصار طرف بسبب استسلام آخر، ففي بعض الحالات يمتلك أحد الأطراف من القوة والبراعة في إدارة الصراع ما يتمكن به من الضغط القاسي على الخصم، وتهديد مصادر قوته، فلا يبقى أمامه من خيار سوى الاستسلام .

▪ **التفكك والانهيار:** حيث يتمكن أحد الأطراف من الإجهاز الكامل على خصمه وتدمير بنية المؤسسات وتفكيكها (مثلما يحدث عند تفكيك الجيوش واستبدالها بجيوش أخرى)، وهذا يؤدي إلى انهيار تام. وهذا التفكك قد يقود لاحقاً إلى اضطرابات شديدة، حيث تعيد القوى المنهارة إعادة بناء نفسها، ولملمة فلولها، ومن النماذج على ذلك الجيش العراقي حينما تم تفكيكه من قبل الاحتلال الأمريكي، فتحولت فلوله بعد ذلك إلى ميليشات تشن حرب العصابات.

وتركز حرب اللاعنف ضد الديكتاتوريات على إجبار الخصم على الاستسلام دون تفكيك المؤسسات بطريقة فوضوية، إنها تسعى إلى أن يفقد رأس النظام سيطرته على المؤسسات، بحيث لا تعود تعمل لصالحه. وبعد التغيير قد تستوعب بعض مؤسسات وأفراد النظام القديم – غير المتورطين في جرائم– داخل البنى الجديدة لضمان الاستقرار ولو في فترة انتقالية. إلى أن يتم بناء نظام جديد يقوم على قوة المحبة لا الكراهية – على حد تعبير غاندي، قادر على لم شمل الوطن لا تمزيقه.

ويختلف تصور سيناريو البناء والتعامل مع القوى والمؤسسات القديمة والتقليدية من حالة لأخرى. فقد يتم الاحتفاظ ببعض المؤسسات، وقد يتم تطوير بعضها، وقد يتم إلغاء البعض الآخر، وقد يتم استحداث مؤسسات جديدة في المجتمع لم تكن موجودة من قبل.

الخلاصات العملية

- أن تحدد المقاومة بدقة مستوى تفاعلها وتفاعل الخصوم مع الصراع.
- التحديد الدقيق للدوافع والبواعث الحقيقية لشن الصراع.
- توضيح وتدريس الدوافع للأعضاء بلا لبس ولا غموض.
- تحديد نوع الصراع الصفري الذي تخوضه ضد خصومها.
- أن تحدد المقاومة طبيعة دوافع الخصوم ولا تعاملهم ككتلة واحدة.
- أن تُفَعِّل جميع حواسها وألا تعطل إحداها، فنجاحها مرهون بإعمال القلب والعقل والجوارح، وإهمال إحداها يعني الفشل أو التأخر.
- الاهتمام بمخاطبة القلب، والتأثير فيه عبر الأنشطة المتنوعة والخطاب المتزن، الذي يلامس العقل والقلب معاً.

الفصل الثالث: طبيعة القوة السياسية

"شن الصراع الحاسم على الخصوم المعاندين من خلال **التحكم المقصود والمخطط في أدوات القوة السياسية لتحطيم إرادة الخصم** باستخدام أسلحة لاعنيفة قوية التأثير."

المحتويات

1. تعريف القوة السياسية
2. مقارنة بين نظريتي القوة السياسية.
3. فك الاشتباك بين النظريتين.
4. إعادة تعريف القوة.
5. متطلبات التعامل مع الطبية الجديدة للقوة السياسية.
6. كيف نقيس قوة الحركة إلى قوة الحاكم؟
7. مصادر القوة السياسية.

نتعرض في هذا الفصل للجزء الثالث من التعريف، والذي يتعلق بطبيعة القوة السياسية. فللرؤية الصحيحة لطبيعة القوة السياسية أهمية بالغة في رسم المتصارعين لاستراتيجياتهم التي تنظم بنى وهياكل الحركة بما يتناسب مع ديناميكية الصراع والتغيرات التي قد تطرأ على خارطته، خاصة تغيرات القوة السياسية، حيث يمثل الزهد في النظر – أو في بعض الحالات النظرة الخاطئة أو غير المتعمقة – لطبيعة القوة السياسية إلى فقدان أنشطة الحركة ووسائلها وآلياتها وخططها الفعالية المناسبة للتعاطي مع المشكلة، ولكي تأتي ممارسات الحركة وقيادتها بأفضل النتائج لابد من تناسق نظرتها للمشكلة مع طبيعتها الحقيقية.

يقول أوجست كونت[1]: **(إن المعرفة قوة.. إنها تعني أن نعرف ..فنتنبأ .. فنستطيع)**، ومعرفة طبيعة القوة وكيفية التحكم فيها يعني أن نتنبأ بكيفية تفكيكها في المستقبل، عبر بناء القدرة الحقيقية على أرض الواقع، وهذا هو جوهر التغيير.

وسنستعرض تعريف القوة السياسية من خلال النظريتين الأحادية والجماعية، حيث يساعد إدراك طبيعة القوة السياسية في تحديد متطلبات التعامل معها، وتصور شكل المجتمع الجديد، وشكل التوزيع القوة فيه، بشكل يضمن صحة المجتمع وقوته واستحقاقه للتقدم والتطور في المستقبل.

---

[1] **أوجست كونت** (1798-1857): عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للمذهب الوضعي القائل بأنه لا سبيل إلى المعرفة إلا بالملاحظة والخبرة. وكان يرى أن تاريخ البشرية ينقسم إلى ثلاث مراحل: المرحلة الدينية، والمرحلة الميتافيزيقية، ثم المرحلة العلمية. قدم مقترحات على جانب كبير من التعقيد لإقامة دولة وضعية تقوم على صفوة من علماء الاجتماع لإدارة المجتمع وتوجيهه. ومن أهم أعماله كتاب " الفلسفة الوضعية" الذي ظهر لأول مرة في ستة أجزاء (1830- 1842).

تعريف القوة السياسية

تعرف القوة السياسية بأنها "**القدرة على التأثير في سلوك الآخرين**"[1]، وهناك تعريف آخر أكثر دقة يعرفها بأنها "**القدرة على العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة لإخضاع الآخرين**"[2]، وبذلك فإن حديثنا عن طبيعة القوة السياسية[3] يعني نظرتنا إلى أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة وديناميكية عمل هذه القوة وكيفية التحكم فيها. وسنتعرض في هذا السياق لنظريتين أساسيتين، نظرية القوة الأحادية أو الذاتية، ونظرية القوة الجماعية.[4]

نظرية القوة الأحادية أو الذاتية (Monolithic Theory)

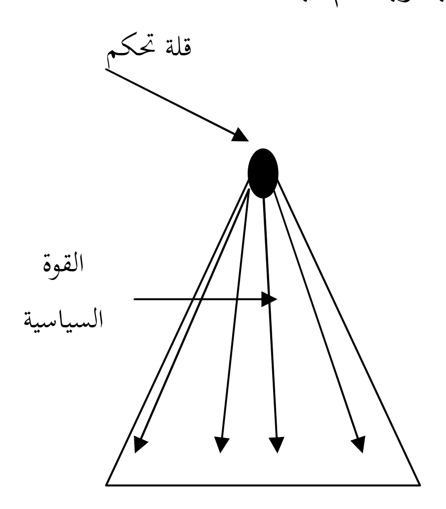
ترى نظرية القوة الأحادية أن الأفراد والجماهير يعتمدون في بقائهم واستقرارهم على حسن أداء حكومتهم وقراراتها ودعمها، وبالتالي فهم يخضعون لها ولإرادتها، فقوة الحاكم فيها ذاتية وهو مصدرها ولا يحتاج إلى من يمده بها، وهو الذي يفيض من قوته على الجماهير ليمدهم بترياق الحياة والبقاء.

والقوة السياسية في هذه النظرية كتلة صخرية لا يمكن تفكيكها عبر نحتها شيئاً فشيئاً، ولا سبيل للتعامل معها إلا بتدميرها، وذلك لشدة تماسكها، انطلاقاً من الفرضيات التالية:

- جميع أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد القلة التي تعتلي هرم السلطة.
- قوة الحكومة ذاتية ونابعة من قوة هذه القلة.
- يصعب تحطيمها أو التحكم فيها من قبل خصومها.
- الحكومة مالكة للقوة السياسية ومسيطرة ومتحكمة فيها.

[1] Andrew Heywood, Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed., 2002), p. 7.
[2] Andrew Heywood, Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed., 2002), p. 7.
[3] عندما نذكر مصطلح القوة في الكتاب فإنما نقصد به القوة السياسية.
[4] Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), p. 8-10.

- لا سبيل أمام الشعب (الكثرة) إلا الخضوع لإرادة الحكومة (القلة) والاعتماد عليها.
- وهكذا فإن اتجاه القوة هابط من أعلى (الحكومة) إلى أسفل (الشعب). فالنظام هو الذي يسبب بقاء الشعب، وهو الذي يمارس الضغط عليه ويتحكم فيه.

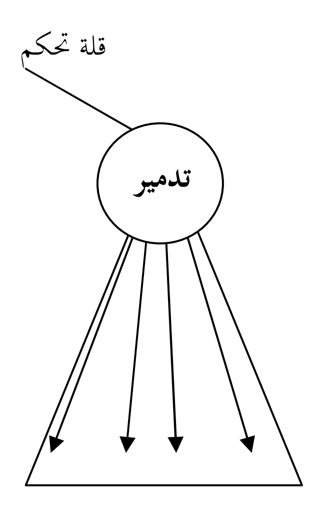


شكل 22: القوة السياسية الذاتية واتجاه القوة هابط

وانطلاقاً من هذه الفرضيات فإن القوة ذاتية، وتعتمد على قدرة الحاكم على السيطرة على أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة، ومن ثم فإنه يفيض على المجتمع بماء الحياة، فالشعب لا يمكن أن يحصل على احتياجاته إلا من حكامه، فهم الذين يطعمونه ويكسونه وينظمون شئونه ويحمونه، وهذه القوة لا سبيل إلى تدميرها إلا بتدمير منبعها ومصدرها، وبالتالي فلابد من التدمير التام للقلة التي تتحكم في تلك القوة عبر المواجهة المباشرة معها.

يقول جين شارب في بحثه عن القوة السياسية: "في الصراعات ... فإن هذه القوة – وفقاً لهذه المواصفات المفترضة – لا يمكن كسرها أو السيطرة عليها من قبل الأفراد، ولكن بواسطة التهديد أو استخدام القوة المادية الصلبة. وإذا كان صحيحاً أن القوة السياسية تملك من القوة والمتانة ما للهرم الصخري الكبير؛ فإن هذا يعني أنه لا يمكن التحكم في مثل هذه القوة إلا بتقييد الحكام لأنفسهم طواعية أو بتغيير ملكية هذه القوة الأحادية – سواء بالإجراءات الاعتيادية مثل

الانتخابات أو غير الاعتيادية مثل الاغتيالات أو الانقلابات العسكرية أو بواسطة العنف المدمر كالحروب التقليدية. ولا يمكن ممارسة أياً من الضغوط الأخرى المؤثرة سوى الضغوط التدميرية"[1]



شكل 23: يقوم النشاط السياسي في نظرية القوة الذاتية على تدمير القلة المالكة للسلطة واستبدال هذه القلة بأخرى تسيطر

وتماشياً مع هذه النظرية وفرضياتها فإن **قوام الفعل السياسي هو تدمير وإزالة الخصم،** عبر استدعاء الجيوش الخارجية أو تكوين جيش قوي يحارب الجيش النظامي أو عبر الانقلابات العسكرية والاغتيالات السياسية وما شابه ذلك من أعمال.

وعلى النقيض ترى النظرية الثانية أن القوة السياسية متجذرة في المجتمع، في كل العلاقات والممارسات الاجتماعية والسياسية، ومن ثم فالتحكم بها مشكلة أساسية في النظرية السياسية،[2] وترى هذه النظرية أن الحكومات والأنظمة تعتمد في بقائها واستقرارها على الأفراد والمؤسسات وقراراتهم ودعمهم لها، وتلك الأنماط المعقدة من الروابط الاجتماعية، وبالتالي

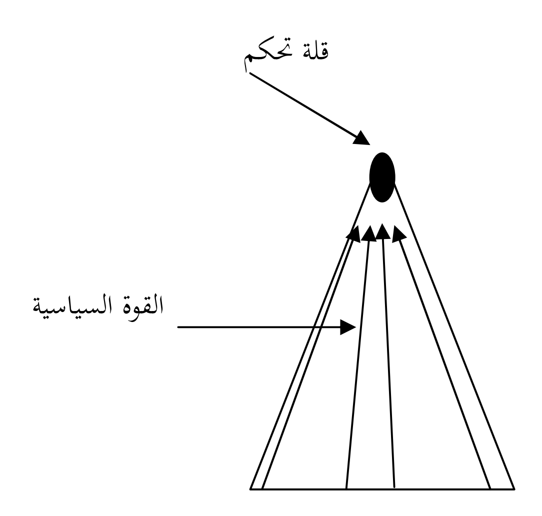
[1] Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), p. 9.
[2] Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), p. 7.

فالحكومات تخضع لإرادات الأفراد والجماهير ومدى دعمهم وتعاونهم معها، وتعرف هذه النظرية بنظرية القوة متعددة المصادر، أو القوة غير الذاتية (Pluralistic-Independency Theory).

نظرية القوة غير الذاتية (متعددة المصادر) (Pluralistic-Independency Theory)

تنظر هذه النظرية إلى القوة على اعتبارها هرماً يتكون من مجموعة كبيرة من الصخور، وكلما أزلت منه صخرة ازداد ضعفه، فهو هرم يمكن نحته شيئاً فشيئاً، ولا حاجة إلى تدميره بالكلية، انطلاقاً من الفرضيات التالية:

- الكثير من أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد الشعب (الكثرة)، ويمكنه استخدامها لمعاقبة الحكومة وتجويعها (سيتم شرح مصطلح المجاعة السياسية لاحقاً)، وحتى الأدوات المماثلة التي يمتلكها النظام لا يمكن استخدامها إلا بموافقة الشعب وتعاونه.
- قوة الحكومة غير ذاتية وتصدر من الكثرة التي في جذور هرم السلطة.
- القوة هشة في يد الحاكم يمكن تفكيكها والتحكم فيها بسحب التعاون بين قاعدة الهرم ومجموعاته ورأس السلطة في أعلى الهرم.
- الحكومة لا تتحكم في القوة السياسية بشكل كلي، أو مباشر.
- لا سبيل أمام الحكومة (القلة) إلا الاعتماد على الشعب والمؤسسات (الكثرة) في إدارة شئون الدولة.
- اتجاه القوة صاعد من أسفل إلى أعلى. فالشعب هو الذي يسبب بقاء النظام، وهو الذي يمارس الضغط عليه، ويتحكم فيه.



شكل 24: القوة السياسية الجماعية واتجاه القوة صاعد

فأصحاب هذه النظرية يرون أن القوة السياسية تعتمد في بقائها وقوتها على التزود بها من مصادرها، من خلال تعاون حشود الجماهير والمؤسسات، ونظراً لأن القوة موزعة بين مجموعات ومؤسسات كثيرة في المجتمع؛ فإن السيطرة عليها من قبل الديكتاتوريات أمر صعب، ويعتمد على إمكانية الحاكم في توجيه عقول وسلوكيات الناس.[1]

فهذه النظرية تقوم على فكرة ركائز الدعم. ونقصد بذلك أن القوة في المجتمعات غالباً ما يعبر عنها من خلال المؤسسات والأفراد ذوي الوزن والتأثير، وهم الذين يمثلون الركائز التي

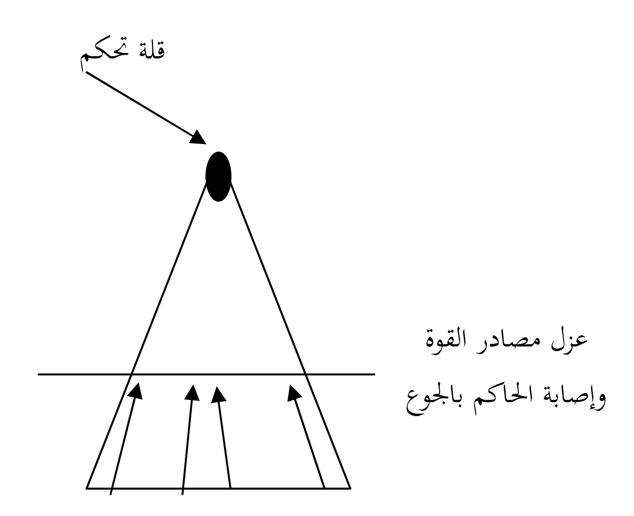
[1] يرى أصحاب هذه النظرة أن القوة – في جميع الحكومات – تنبع من أقسام كثيرة من المجتمع. وأنها متجذرة في جذور البنية الرسمية للنظام، وهذا الهرم تحمله قوة اجتماعية قوية هي التي تمنحه الحياة. ويمكن طرح الفكرة على المستوى الفلسفي بالتمثيل:

عندما تبصر شجرة سامقة من بعيد تكتشف أنها قائمة على تربة تحوطها، وماء يسقيها، فالمصادر التي تمنحها الحياة من خارجها، وقد لا نحسن رؤيتها (الماء والتربة والهواء). إن إذعان الشعوب هو ماء الحياة للنظم الاستبدادية، والطاعة هي تربة تثبيت جذور الديكتاتوريات. وها هو القمر الذي يسحرنا بضوئه لا ينير ذاتياً، لكننا قلما ننتبه أنه يستمد نوره من الشمس. وهذه المباني الشاهقة التي نراها عادة لا نبصر مصدر قوتها الكامن في الأساسات غير الظاهرة على السطح. وعندما ترى ظلاً طويلاً مهيباً ستكتشف أنه ليس إلا أنواراً سُلّطت على أقزام، لذلك فالديكتاتوريات ليست إلا ظلالاً مهيبة نتجت عن انعكاس أنوار الشعوب على أقزام.

إن عيوننا غير مدربة على أن ترى الحقائق كما هي، وإنما تبصرها كما تمليها عليها الديكتاتوريات, لذلك فتحرير العقول أمر ضروري جداً في العمل التغييري.

يستمد منها المجتمع قوته، ويمنحها طواعية للحاكم بدرجة محددة وفق عقد اجتماعي. ومن أهم ركائز القوة في المجتمعات:

- المؤسسات الأمنية والجيش والشرطة.
- المؤسسات التشريعية والرقابية.
- المؤسسات الإعلامية والإعلاميين.
- المؤسسات القضائية.
- المؤسسات الخدمية.
- المؤسسات الدينية.
- المؤسسات التعليمية.
- المؤسسات الاقتصادية ورجال الأعمال.
- مؤسسات المجتمع المدني الأهلية وغير الحكومية



شكل 25: يقوم النشاط السياسي في نظرية القوة الجماعية على تجويع الحاكم وكسر إرادته

ومن ثم فإن قوام الفعل السياسي في هذه النظرية أمران:

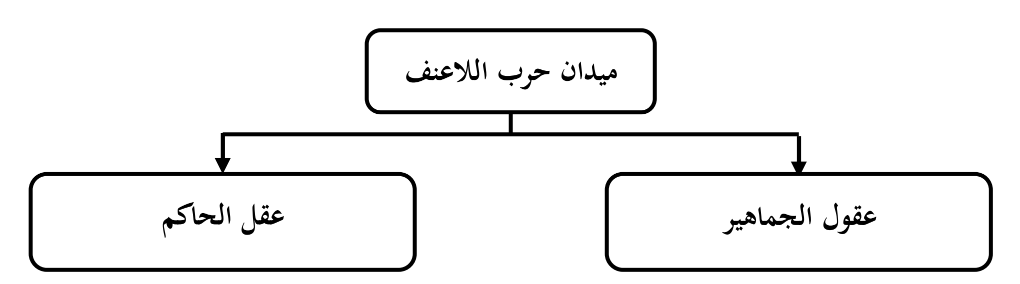
1. **إصابة الحاكم بالمجاعة السياسية:**[1] أي عزله عن مصادر قوته عبر التحكم فيها وتفكيك الروابط بين الحاكم ومصادر القوة[2]، ورد التحكم في القوة إلى مكانه الطبيعي بين أفراد ومؤسسات المجتمع الذي تقوم السلطة التنفيذية على خدمته وتسهر على رعايته.

2. **التأثير في وعي الحاكم بموازين القوى:** فعبر التحكم في مصادر القوة وسحب التعاون التام ينقلب وعي الحاكم بموازين القوى، وتصبح قوى القمع – أداة القوة الرئيسة في الأنظمة الديكتاتورية – غير فعالة في مواجهة الشعب اللامتعاون بهيئاته ومؤسساته وأفراده، وبالتالي تتكسر إرادة الحاكم وتتحول القوة إلى مكانها الطبيعي في مجتمع اللاعنف.

ومجتمع اللاعنف مجتمع متحضر يمتلك عقلاً راشداً واعياً، وفعالية كبيرة في الأداء والإنتاج، وروحاً معنوية عالية كفيلة بتحقيق أحلامه، وتأثيراً عظيماً في وعي مؤسسة الحكم، هذا التأثير ينتج من موازين القوى الجديدة في المجتمع، التي ترسم في عقل متخذ القرار في السلطة خطوطاً حمراء لا يتجاوزها.

[1] Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy. Bangkok: Committee for the restoration of Democracy in Burma, 1993. Also, Boston, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 2002.p. 64

[2] لا يعني تفكيك مصادر القوة بالضرورة تفكيك مؤسسات الدولة؛ إذ أن القوة السياسية تتفكك في حالة سحب الشعب التعاون والطاعة، ومع ذلك تظل المؤسسات قائمة لا تتأثر، فالمؤسسة العسكرية موجودة، ولا يصاب جنودها أو منشآتها بالأذى، وكذلك تبقى المدن والمصانع والمباني الحكومية، ورغم ثبات هذه البنى وبقائها كما هي، إلا أن كل شيء بالفعل قد تغير، لأن قوة النظام انحلت، وحينها ندرك أنه في الوقت الذي يدمر فيه العنف مؤسسات الدولة، فإن حرب اللاعنف تحافظ عليها، وبينما يصوب العنف سهامه صوب الحاكم، فإن اللاعنف يتجاهله، ويقتل الخوف في نفوس الجمهور.

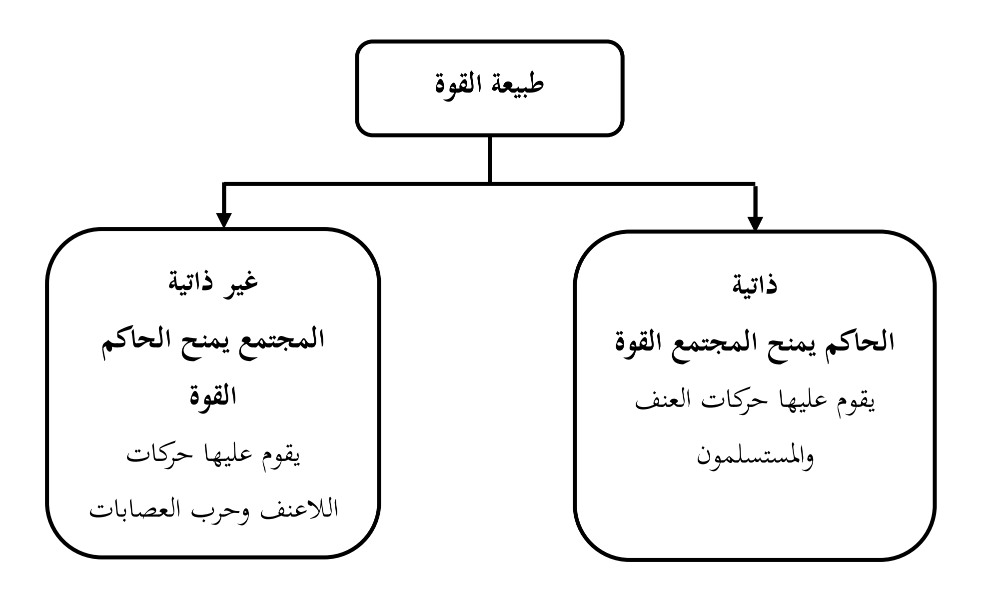


شكل 26: في حرب اللاعنف، الميدان الأول والأساسي هو ميدان العقول

1. مقارنة بين نظريتي القوة السياسية

القوة الذاتية	القوة غير الذاتية
جميع أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد القلة التي تعتلي هرم السلطة.	كثير من أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد الشعب (الكثرة).
قوة الحكومة ذاتية ونابعة من قوة هذه القلة.	قوة الحكومة غير ذاتية وتصدر من الكثرة الذين في جذور هرم السلطة.
يصعب تحطيمها أو التحكم فيها من قبل خصومها.	يمكن تفكيكها والتحكم فيها، لأنها قائمة على سحب التعاون ومعتمدة على مجموعات كثيرة.
الحكومة قادرة على السيطرة والتحكم في القوة.	الحكومة لا تتحكم في القوة بشكل مباشر أوكلي.
لا سبيل أمام الشعب (الكثرة) إلا الخضوع لإرادة الحكومة (القلة) والاعتماد عليها.	لا سبيل أمام الحكومة (القلة) إلا الاعتماد على الشعب والمؤسسات (الكثرة) في إدارة شئون الدولة.
اتجاه القوة هابط من أعلى (الحكومة) إلى أسفل (الشعب).	اتجاه القوة صاعد من أسفل (الشعب) إلى أعلى (الحكومة).
لإحداث التغيير يتم تدمير القائمين على القوة ونقل ملكيتها إلى المجموعة الجديدة (استبدال مولد طاقة بمولد آخر).	لإحداث التغيير يتم عزل مصادر القوة عن النظام وتركه يجوع سياسياً.
يعتمد على هذه النظرية كل من: • الذين يعتمدون العنف والقوة التدميرية في حسم الصراعات. • الحركات المستسلمة اليائسة من إمكان التغيير، والتي تصور لها عقولها الحاكم وهو ممسك بزمام أدوات القوة.	يعتمد على هذه النظرية كل من: • الذين يعتمدون حرب اللاعنف في حسم الصراعات. • الذين يعتمدون في العنف السياسي على حرب العصابات، حيث يركزون على استنزاف الخصم وقطع خطوط الدعم وكلاالإمداد.
الخلاصة: **القوة ذاتية يمنحها الحاكم للمجتمع.**	**الخلاصة:** **القوة غير ذاتية يمنحها المجتمع للحاكم.**

جدول 3: مقارنة بين نظريتي القوة السياسية، الفردية والجماعية



شكل 27: شكل توضيحي لنظريتي القوة السياسية وطبيعة المجتمع الذي يقوم على كل من النظريتين

2. فك الاشتباك بين النظريتين

بالرغم من وجود المتشيعين لكل من النظريتين، ويحكم كل طرف بصحة النظرية المتشيع لها وبخطأ الأخرى، إلا أننا في أكاديمية التغيير لا نرى بخطأ هذه النظرية أو تلك، ولا ننعت إحداهما بالدقة والأخرى بعدم الدقة، إذ أن كلاً منهما تمثل تحليلاً لطبيعة القوة السياسية في وقت ما أو نظام ما.

فالقوة السياسية في العصور القديمة والوسطى كانت قائمة على النظرية الأحادية للقوة، ولم يكن بالإمكان تغيير طبيعة هذه القوة في تلك الأزمنة، إذ أن هذه الطبيعة كانت متسقة مع مقدار التطور البشري بعمومه ومع النظم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية في تلك الفترات. بل وحتى السياسة الدولية والقوانين الدولية كانت تجلياً لطبيعة القوة في تلك المرحلة، إذ كانت الفتوحات والتوسع الإمبراطوري بمثابة القانون الدولي في تلك المرحلة. ولم يستهجن أحد المؤرخين توسعات الإمبراطوريات المختلفة اليونانية والرومانية والفارسية؛ بل وحتى الفتوح الإسلامية، إذ أن هذا كان يمثل العرف الدولي في تلك المرحلة، والوعي الجمعي العام بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم. فبرزت في تاريخ الإنسانية فكرة الحاكم الظالم والحاكم العادل.

وبالتالي فلا يمكن نعت كل التجارب التاريخية التي اعتمدت النظرية الأحادية لطبيعة القوة السياسية – لمجرد اعتمادها هذه النظرية – بالديكتاتورية أو الظلم أو الفساد، إذ أن هذه النظرية كانت أقصى ما وصلت إليه البشرية في تلك المرحلة لتنظيم شئونها.[1]

وأيضاً تمثل تلك النظرية تحليلاً جيداً لبعض الأنظمة الديكتاتورية في العصر الحديث التي استسلمت فيها الجماهير بالكلية – بشكل دائم أو في فترة محددة – للأنظمة المستبدة، وبالتالي أصبح الواقع السياسي هو تفرد النظام بكل أدوات القوة لتخلي الجماهير عن حقها.

أما نظرية تعدد مصادر القوة فتمثل تحليلاً جيداً للأنظمة السياسية الديمقراطية التي يستمد فيها الحاكم قوته من الجماهير، وللأنظمة الديكتاتورية التي رفضت فيها الجماهير الإذعان للطغاة، وأصرت على استخدام حقها وانتزاعه من أيدي المستبدين، مما أفقد الحاكم التفرد باستخدام أدوات القوة.

وتؤثر تركيبة المجتمع والطبيعة القَبَلية أو المدنية بشكل كبير على طبيعة القوة السياسية في المجتمع، ووعي الحاكم والمحكوم بها. وأحياناً يعبر المشهد السياسي الواحد على مزيج من النظريتين مع تغليب إحداهما على الأخرى.

[1] كانت هناك محاولات شهدتها العصور السابقة تعزز نظرية القوة غير الذاتية، لكنها تبدو في مجموع التاريخ كأحداث متناثرة، ولم يكن منطقها هو الحاكم والغالب في هذه الفترات.

أمثلة على الحركات القائمة على النظرية الأحادية للقوة

كانت هذه النظرية هي قوام العمل السياسي والتغييري في العصور القديمة والوسطى، حيث كانت الجماهير تؤمن بحق الحاكم في إدارة شئونها، وكانت تدين له بالولاء والطاعة، ولم يكن من بد أمام حركات التغيير من تدمير قوة الحاكم الذي يمتلك كل أدوات القوة. والتاريخ الأوروبي حافل بالتجارب التي كان يلجأ فيها المقاومون إلى استدعاء ملوك الدول المجاورة للقضاء على خصومهم؛ بل وكان الملوك يتهادون فيما بينهم المدن والشعوب لتلافي الحروب أو لعمل الصداقات والتحالفات. فنجد البنادقة – سكان البندقية – يستدعون الملك لويس دون شارل ليتخلصوا من سيطرة حاكم لمبارديا، بينما يهدي الملك لويس دون شارل مملكة نابولي إلى أسبانيا ليتحاشى حرباً مع الأسبان، ويسلم رومانا للبابا الإسكندر مقابل اعتراف الأخير بطلاق الملك لويس من زوجته.

وبالمثل كان قوام كثير من فترات الحكم العربي والإسلامي قائم على هذه النظرية، فالشعوب لم تكن تمتلك حق التدخل في قرارات السلم والحرب، وكان المُلك دُولة بين القلة المسيطرة، فالمماليك والأيوبيون والفاطميون والدولة الطولونية والإخشيدية وغيرها لم يكن للشعوب دور في اختيارها أو حتى دعمها، ولكنها كانت تقوم بجهد القلة الطموحة المنظمة التي تستطيع تدمير القلة الحاكمة ونزع أداة التنفيذ من يدها.

الانقلابات العسكرية

تعد الانقلابات العسكرية نموذجاً على الطبيعة الأحادية للقوة في عصرنا الحديث، إذ أنها تمثل إزالة القلة المتحكمة في أدوات القوة واستبدالها بغيرها.

وتنطلق الانقلابات العسكرية من كون السيطرة على مركز السلطة (القلة) سيمكنها من فرض سيطرتها على باقي أرجاء الدولة، لذا لا يحتاج تنفيذ الانقلاب عادةً إلى عدد كبير من

الأشخاص؛ بل يكفي عدد صغير نسبياً، بشرط أن يكون متحكمًا في مفاصل حساسة من التسلسل القيادي. وتشير الاستقراءات المستخلصة من عشرات الانقلابات الناجحة إلى أن مجموعة محدودة من الضباط، تتبعها بضعة مئات من الجنود تكفي في المتوسط لتنفيذ انقلاب ناجح. مع توقف الأعداد الضرورية للقادة والمشاركين في الانقلاب على نسبة عدد الجيش في الدولة المستهدفة، ومدى المقاومة المرتقبة للانقلاب.

أصحاب هذه النظرية في العصر الحديث

- الذين يعتمدون العنف والقوة التدميرية في حسم الصراعات، كحالات الانقلاب العسكري والاحتلال والغزو.
- الحركات اليائسة من إمكانية التغيير، والتي تصور لها عقولها الحاكم وهو ممسك بزمام أدوات القوة. فيلجئها تصورها عن طبيعة القوة إلى الاستسلام. فأنى لها بمواجهة هذا المارد المتحكم في القوة!!

أمثلة على الحركات القائمة على نظرية القوة متعددة المصادر

أما نظرية القوة متعددة المصادر فتعد قوام العمل السياسي والتغييري في العصر الحديث، حيث ازداد وعي الشعوب بحقوقها وذاتها، وبعد أن أصبحت قضايا حقوق الإنسان من القضايا الجوهرية لكل من الحكومات والشعوب، إذ أنها تمثل للحكومات كابوس التدخل الأجنبي، وتمثل للشعوب حقاً لابد من السعي لنيله.

وأكثر التجارب التغييرية الواردة بملحق التجارب التغييرية في نهاية هذا الكتاب تعد أمثلة ونماذج رائعة لهذا النوع من الكفاح القائم على نظرية تعدد مصادر القوة، ولذا سنكتفي بهذه الإشارة إليها هنا، ويمكن للقارئ الرجوع إليها في ملحق الكتاب.

3. إعادة تعريف القوة

وهنا يأتي تساؤل مهم: **هل يمكن تحويل طبيعة القوة السياسية من الشكل الأحادي إلى الشكل المتعدد المصادر؟**

ومفتاح الإجابة على هذا السؤال يكمن في فكرتين أساسيتين، الطاعة أو العصيان، وقوة أو ضعف المجتمع.

الأولى: الطاعة والعصيان

فالنظرية الأحادية للقوة ترتكز على طاعة الجماهير وعدم عصيانهم للسلطة التنفيذية، وأهم العوامل التي تؤدي إلى هذه الطاعة[1]:

1. العادة: فالطاعة عادة إنسانية ممتدة منذ القدم يتطلب الخروج عليها الكثير من الجهد العقلي والنفسي.
2. الخوف من العقوبات: الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والبدنية.
3. الالتزام الأخلاقي: الذي قد ينشأ من رؤية دينية أو من رؤية عامة لصالح وخير المجتمع.
4. المصلحة الشخصية: التي قد تأخذ الشكل الاجتماعي أو المادي أو تجنب العقوبات.
5. الارتباط العاطفي الوثيق بالحاكم: وهو الشكل الشائع في الملكيات والإمارات.

[1] أسباب طاعة الجماهير للحاكم كثيرة ومتعددة ومتشابكة، وتختلف من ثقافة لأخرى، وذكرنا هنا أهمها.

[1] Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), p. 19-27 .

6. نطاق اللامبالاة: فهناك قدر من اللامبالاة يقبل بها الفرد مطالب الحكام دون أي استفسارات أو تساؤلات.

7. غياب الثقة بين أفراد الشعب: حيث تفتقد الجماهير الثقة بإمكانياتها وبقدراتها وبقادة الحركات المقاومة، مما يجعلها تخضع لحكامها.

إن التغيير من منظور القوة متعددة المصادر يرتكز على مبدأ العصيان في حالة تغول الدولة على حقوق الأفراد. وبالتالي فإن التحول من الطور الأحادي للقوة إلى الطور المتعدد يقتضي تدريب الجماهير على العصيان والتمرد، وممارسة حقها الطبيعي في الاعتراض على الأداء السيئ للحكومة.

الثانية: ضعف وقوة المجتمع

فالنظرية الأحادية ترتكز على ضعف عموم المجتمع، واعتماده التام على الحكومة، وعدم قدرته على ممارسة الفعل السياسي، إما لتركيبته أو لضعف الوعي أو للإثنين معاً، وبالتالي تظل أدوات القوة تدور في فلك القلة المبادرة، وتنتقل السلطة من قلة لأخرى، دون أي تدخل من قوى المجتمع، وهو الضعف الذي وإن كان أمراً طبيعياً في العصور القديمة والوسطى، إلا أنه أمر مفتعل في عصرنا الحديث يتعمد الحكام فرضه على مجتمعاتهم.

أما نظرية المصادر المتعددة فترتكز على قوة المجتمع بمؤسساته وهيئاته وأفراده، وقدرتهم على ممارسة الفعل السياسي والتأثير في القرارات العامة المتعلقة بالدولة، بل وقدرتهم على استخدام أدوات القوة السياسية ضد حكامهم إذا اقتضت الضرورة.

كذلك تراهن هذه النظرية على قدرة المجتمع على إدارة شئونه من خلال نظام جديد تلعب الدولة فيه دوراً دون أن تكون هي الفاعل الرئيس، وهذا هو الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه نشطاء اللاعنف في أرجاء العالم. تأسيس ذلك الواقع الجديد.

وبالتـالي فـإن حركـة اللاعنـف تقـوم بإعـادة تعريـف القـوة، للانتقـال مـن الأحاديـة إلـى التعددية، وهذا يقتضي عدم اهتمام الحركة التغييرية المقاومة بتقوية صفوفها ومؤسساتها فقط؛ بل لابد أن تكون تقوية مؤسسات وهيئات المجتمع المدني المختلفة ودعم استقلالها عن النظام في صدر قائمة الأولويات لديها، لأن تقوية المجتمع هي المعول الأكبر لهدم أسوار الديكتاتورية، وهي الصمام الرئيس الذي يحول دون تحول الأنظمة إلى الاستبداد والديكتاتورية مرة أخرى.

4. متطلبات التعامل مع الطبيعة الجديدة للقوة السياسية

إذا كانت الطبيعة الجماعية (غير الذاتية) للقوة السياسية هي نظرية البشرية المستقبلية المتطورة؛ فإن التعامل مع تلك النظرة الجديدة لطبيعة القوة السياسية يحتاج إلى ثلاثة أمور:

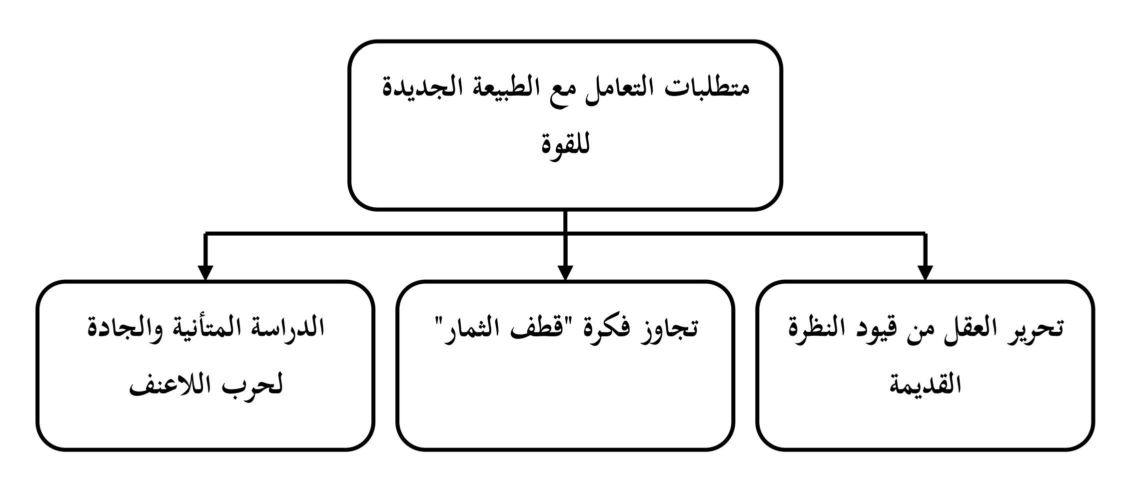
1. **تحرير العقل** من قيود وأسر النظرة القديمة وأشكال الفعل التي اعتادت حركات التغيير على ممارستها.

2. **تجاوز فكرة "قطف الثمار"**: إذ أن الغالب على أداء الحركات التغييرية في ظل النظرية الأحادية هو الانطلاق المباشر نحو القلة المسيطرة في محاولة انتزاع أدوات القوة منها، وبالتالي فإن الحركة تتحول – في حالة الانتصار – إلى القلة المسيطرة الجديدة، نتيجة حرص كل حركة على أن تقطف ثمرة الفعل، وتلك الثمرة هي القوة التنفيذية. وتتجسد الرغبة في حكم الشعب لا تحريره.

أما في حالة الطبيعة الجديدة للقوة فإن أداء المجتمع لابد أن يغلب عليه طابع الأداء الجماعي، بحيث تحرص الحركات التغييرية على تقوية الحركات والمؤسسات والهيئات المختلفة، وتحرص على دعم المشاريع الجديدة التي يطلقها الأفراد في المجتمع، وأن يكون الانتصار للمجتمع وليس لحركة بعينها، لأن في هذا دعم لثقة المجتمع بنفسه وقدراته، وتطوير إمكانياته،

مما يحول دون التحول نحو الديكتاتورية مرة ثانية. وبذلك يكون صلب فكرة الانطلاق من طبيعة القوة متعددة المصادر هو العمل من أجل تحرير الشعب لا حكمه والسيطرة عليه.

3. **الدراسة المتأنية والجادة لحرب اللاعنف:** التي تمثل التجسيد الحقيقي للفعل السياسي في ظل نظرية القوة متعددة المصادر.



شكل 28: متطلبات التعامل مع نظرية المصادر المتعددة للقوة

5. كيف تقيس الحركة قوتها إلى قوة الحاكم؟

إذا تعاملت حركات المقاومة بشكل صحيح مع الطبيعة الجديدة للقوة السياسية فبإمكانها قياس قوتها ومقارنتها بقوة الحاكم، بل إنه يجب على قادة الحركات التغييرية أن يدركوا أن المقياس الحقيقي للقوة يكمن في الأثر المترتب عليها، أي أن مقياس القوة في نتيجتها وليس في أدواتها.

فعلى سبيل المثال كانت القوة الأمريكية في فيتنام هي الأكبر، لكنها كانت قوة عقيمة غير منتجة، وهو ما ينسحب على القوة العسكرية السوفيتية في أفغانستان. فليست العبرة بمن يتحكم في أدوات القوة، وإنما في كيفية استخدامها للوصول إلى النتائج المرجوة.

فعلى الحركات التغييرية ألا تغتر بقوتها أو ترهب قوة خصومها، لأن كلتيْ القوتين قد تكونان سراباً ووهماً؛ وإنما يجب عليها الانتباه لكيفية استخدام الخصم لها، وكيفية استخدامها هي للقوة في مواجهة خصمها. ومن هنا فالمقياس الحقيقي للقوة هو كيفية استخدامها وليس في ماهيتها فحسب.

5. مصادر القوة السياسية

وفي إطار فهم حركة المقاومة لطبيعة القوة السياسية ومحاولة التحكم فيها فلا بد من إدراك مصادرها.[1]

- **شرعية السلطة[2]:** فإذا كانت القوة السياسية تعرف على أنها "القدرة على **التأثير** في سلوك الآخرين" أو "القدرة على العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة **لإخضاع** الآخرين"؛ فإن الشرعية تعني الحق في ممارسة أو استخدام هذه القدرة. فهي تعني حق الحاكم في العقاب والمكافأة. وتأتي أهمية الشرعية في كونها تدعم بقاء النظام من خلال الطاعة وليس الإجبار.
- **الموارد البشرية:** فالأفراد والجماعات التي تطيع أو تتعاون أو تساعد الحكام تمثل أحد مصادر قوته التي ينبغي حرمانه منها، أي حرمانه من تعاون وطاعة ومساندة المجتمع بأفراده وجماعاته ومؤسساته.
- **المهارات والمعرفة:** فالقوة السياسية تعتمد على المهارات والمعارف والقدرات التي يمده بها الأفراد والجماعات عبر تعاونهم معه.

[1] Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), p. 11-12.

[2] هناك ثلاثة أنواع رئيسة من الشرعية:

الشرعية التقليدية: وهي شرعية تاريخية، مثل شرعية الأمراء والملوك في الحكم.

الشرعية الزعامية: وتنبع من قوة شخصية الديكتاتور وقدراته الزعامية والقيادية.

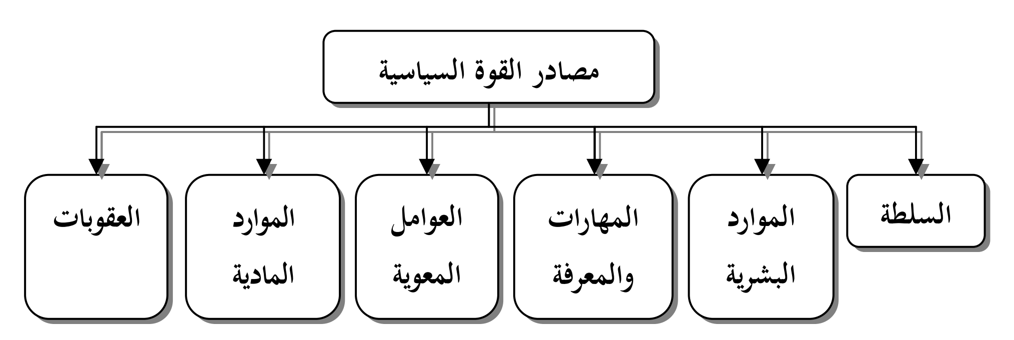
الشرعية القانونية: وتنبع من قواعد دستورية وقانونية، بغض النظر عن شخص الحاكم.

وبناء على طبيعة نوع الشرعية المكتسبة من قبل النظام تحدد الحركات التغييرية الآليات المناسبة لحجب تلك الشرعية عنه، وإسقاط حقه في استخدام أدوات القوة.

- **العوامل المعنوية:** وتشمل العوامل النفسية والعادات، والالتزام الأخلاقي، والأيديولوجيات التي تحث الناس على طاعة ومساعدة الحكام.
- **الموارد المادية:** وتشمل الممتلكات والموارد الطبيعية والمصادر المالية ووسائل الإعلام والنظام الاقتصادي ووسائل الاتصالات والمواصلات. وبقدر سيطرة الحاكم على هذه المصادر بقدر ما تزداد قوته.
- **العقوبات:** التي يستخدمها النظام أو يهدد باستخدامها، ليضمن قدراً مناسباً من الخضوع والتعاون اللازمين لاستمرار النظام وقدرته على تنفيذ سياساته. ويدخل تحت بند العقوبات المؤسسات الأمنية والقضائية. ولابد من اعتماد الاستراتيجيات الكفيلة بتجريده من فعالية تلك العقوبات.

وتتفاوت درجة اعتماد الحكام على هذه المصادر، فهم لا يعتمدون عليها كلها بنفس الدرجة، وسيطرتهم المتوهمة عليها نابعة من إذعان وخضوع الجماهير، وعلى تعاون عدد كبير من الأفراد والمؤسسات في المجتمع مع الحكام.

والحصول على مصادر القوة قد يكون من الداخل أو الخارج أو الاثنين معاً، فالكثير من الديكتاتوريات تعتمد في بقائها على الدعم الخارجي لها بأشكاله المتنوعة، الأمر الذي يجعلها تستأسد على شعوبها، وفي حالة توقف هذا الدعم، أو توجيهه إلى المعارضة – ليتحول إلى ضغط على الديكتاتوريات – يفقد النظام الديكتاتوري أحد روافد شرايين الحياة المهمة.



شكل 29: بعض المصادر الأساسية للقوة السياسية

وسوف نستعرض في الباب التالي وسائل تحويل مصادر القوة السياسية من القلة المتحكمة العنيفة إلى يد الكثرة الواعية المسالمة.

الخلاصات العملية

- أن تدرك المقاومة أن طبيعة القوة السياسية متغيرة غير ثابتة.
- أن تسعى إلى إدراك طبيعة القوة السياسية في العصر الذي تعيشه.
- تشكيل بنى الحركة بناءً على الإدراك الكامل لطبيعة القوة السياسية.
- تدريب الجماهير على العصيان والتمرد على أداء الحكومة.
- إيجاد استراتيجيات لاعنيفة للتعامل مع القمع الذي يحول دون مشاركة الجماهير.
- تقوية المجتمع بأفراده وهيئاته ومؤسساته.
- تحرير العقل من قيود وأسر النظرة القديمة وإعادة تعريف طبيعة القوة.
- تجاوز فكرة "قطف الثمار".
- الدراسة العميقة والجادة لحرب اللاعنف.
- الاستخدام الفعال والمؤثر لأدوات القوة المتوفرة.

مفاهيم

1. اختيار السياسة كقوة: تعرف السياسة كعلم ممارسة القوة، وكعملية توفيقية، وكعملية إدارة الشئون العامة، وكفن الحكم، وتعد أقرب التعريفات انسجاماً مع الصراع القائم بين الديكتاتوريات وبين حركات التغيير هو تعريفها كقوة:

فالسياسة كقوة:

- هي معتقد سياسي مشترك لدى القادة الناجحين وليست نتاج منهجية علمية مدروسة.
- أقل درجة من المثالية والنظرية. باعتبارها ممارسة عملية وليست عملاً أكاديمياً.
- روادها هم القادة السياسيون الناجحون الذين يستطيعون إيجاد روابط وعلاقات مشتركة بين برامجهم السياسية ومعتقدات وحاجات المواطنين، فيحركونهم بناء على هذه العلاقات والروابط. مثل ديجول، وماوتسي تونج.

بينما السياسة كعملية توفيقية وكعملية إدارة الشئون العامة:

- منهجية تجيب عن أسئلة تتعلق بالمثالية مثل: ما هو الشكل الأفضل للحكومة؟
- وكان روادها دارسين للسياسة بالدرجة الأولى ولم يكونوا فلاسفة. مثل ميكيافيللي، وجيمس ماديسون، والماوردي.

أما السياسة كفن الحكم:

- منهجية تطرح توصيات حول ما هو الوضع الأمثل وما الذي ينبغي تحقيقه. مثل أفلاطون ومدينته الفاضلة والمجتمع المثالي.
- غير موضوعية لأنها تطرح أسئلة قيمية، مثل: لماذا أطيع الدولة؟

▪ كان روادها فلاسفة بالدرجة الأولى ذوي خلفية سياسية. ومن هنا قامت أطروحاتهم على خلفية نظرة فلسفية للكون والمجتمع.

ويعتبر تعريف "السياسة" كقوة هو أقرب التعريفات إلى الجانب العملي والواقعي المتعلق بالصراع بين الأنظمة والحركات، ومن ثم كان اختيارنا له.

الفصل الرابع: أسلحة حرب اللاعنف

"شن الصراع الحاسم على الخصوم المعاندين من خلال التحكم المقصود والمخطط في أدوات القوة السياسية لتحطيم إرادة الخصم **باستخدام أسلحة لاعنيفة قوية التأثير**."

تختلف حرب اللاعنف كثيراً عن الاستجابات السلمية الهادئة للصراعات – مثل محاولة الاسترضاء الشفهي والتسوية والمفاوضات – فهي تعني الرد والمقاومة ولكن بأسلحة أخرى لا تعترف بتسول الحرية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية).

ولذلك تتشابه حرب اللاعنف مع الحرب العسكرية، من حيث أنها توحد القوى وتشعل المعارك، وتتطلب استراتيجية حكيمة وخطة محددة، وجنود يتميزون بالشجاعة والتضحية، وكذلك تدريب متواصل على تكتيكاتها.[1]

وأسلحة اللاعنف ليست حيلة العاجز، بل إنها نتاج حضاري لتفكير العقل السياسي الذكي، وفيها من القوة ما يجعلها قادرة على إحداث التحولات المطلوبة.

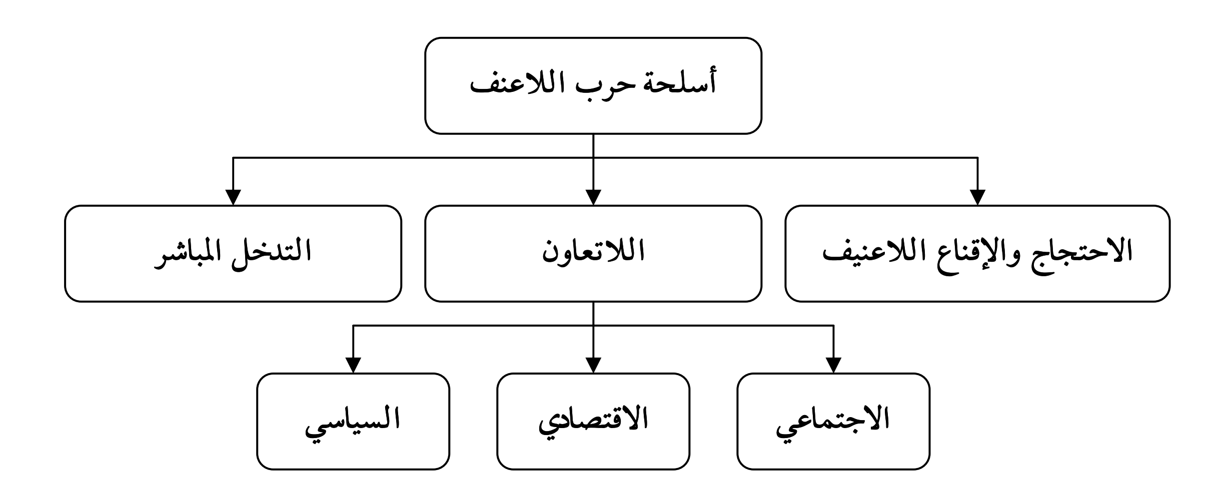
وتنقسم – بحسب تقسيم جين شارب– إلى ثلاث مجموعات أساسية:

أولاً: الاحتجاج والإقناع اللاعنيف.

ثانياً: اللاتعاون.

ثالثاً: التدخل المباشر.

[1] في تجربة حركة "أتبور" في صربيا للإطاحة بالرئيس ميلوسوفويتش في عام 2000م، رتب المعهد الجمهوري الدولي في واشنطن لقاء لكوادر الحركة مع ضابط عسكري متقاعد وهو الكولونيل روبرت هيلفي ليساعدهم في فهم واستيعاب طرق إدارة حرب اللاعنف.
وقد جاءت تسمية هذا الكتاب "حرب اللاعنف" تأكيداً على أن أسلوب اللاعنف ليس دفاعياً، وإنما يأخذ طابع الحرب الهجومي، وقد أكد الكولونيل روبرت لحركة "أتبور" أنها لا يمكن أن تنتصر إذا استمرت في موقف الدفاع، وأن لغة الحرب العسكرية ستكون حاضرة معها مع اختلاف الأدوات.



شكل 30: المجموعات الثلاث لأسلحة حرب اللاعنف، الاحتجاج، اللاتعاون، والتدخل المباشر

سنكتفي هنا بسرد أشكال أسلحة حرب اللاعنف المختلفة دون شرح أو تفصيل، لأنه سيكون موضوع كتاب آخر سنتعرض فيه لكل ما يتعلق بالسؤال "**كيف**".

وقد ذكر جين شارب في كتابه "**سياسات حرب اللاعنف، الجزء الثاني، وسائل الفعل اللاعنيف**" "*Politics of Nonviolent Action, vol II The Methods of Nonviolent Action*" 198 وسيلة استخدمت في تجارب الكفاح اللاعنيف التاريخية، ويمكن الرجوع لكتابنا "**أسلحة حرب اللاعنف**"، والذي يتضمن تعريفاً وشرحاً لهذه الوسائل مدعوماً بالأمثلة التوضيحية.

أولاً: وسائل الاحتجاج والإقناع اللاعنيف

التصريحات الرسمية:

1. خطابات عامة.
2. رسائل معارضة أو تأييد.
3. بيانات تصدر عن منظمات ومؤسسات.
4. تصريحات علنية موقعة.
5. بيانات عن المظالم والمطالب.
6. عرائض ومطالبات جماهيرية.

مخاطبة الجماهير العريضة:

7. شعارات ورسومات كاريكاتيرية ورموز.
8. لافتات وملصقات وإعلانات تظاهرية.
9. نشرات وكتيبات وكتب.
10. صحف ودوريات.
11. تسجيلات وإذاعة وتليفزيون.
12. كتابة في الجو وعلى الأرض. (كالكتابة بالطائرات النفاثة أو البالونات الطائرة، أو الكتابة على الأرض والمناطق الخضراء)

احتجاجات جماعية:

13. تكوين وفود مفوضة بالمطالبة نيابة عن الجماهير.
14. محاكمات صورية (هزلية).
15. جماعات الضغط (اللوبي).
16. اعتصامات.
17. انتخابات صورية (هزلية).

أعمال رمزية عامة:

18. رفع الأعلام وعرض الألوان الرمزية.
19. ارتداء الرموز الخاصة.
20. الصلاة والعبادة.
21. توزيع مواد تحتوي على رموز خاصة.
22. إتلاف الشخص لممتلكاته الخاصة. (مثل تصريح العمل)
23. استخدام أضواء ترمز إلى مغزى معين.
24. عرض اللوحات الفنية المعبرة.
25. استخدام الطلاء كنوع من الاحتجاج.
26. استخدام إشارات وأسماء جديدة.
27. استخدام الأصوات كرموز.
28. استصلاح رمزي للأراضي.

ممارسة الضغط على الأفراد:

29. ملازمة المسئولين.

30. توبيخ المسئولين.

31. المؤاخاة (مصادقة جنود الخصم).

32. الاعتكاف.

المسرح والموسيقى:

33. مشاهد مسرحية تهكمية.

34. تأليف المسرحيات وعزف الموسيقى.

35. الغناء.

المواكب:

36. مسيرات.

37. الاستعراضات.

38. مواكب دينية.

39. الحج الاحتجاجي (السير نحو نقطة معينة لها دلالتها بالنسبة للمنطلقات العقائدية التى هى أساس التحرك بالنسبة للقضية المطروحة).

40. قافلة سيارات.

تكريم الموتى:

41. الحداد السياسي.
42. الجنازات الرمزية.
43. الجنازات التظاهرية.
44. حفلات المبايعة وإعلان الولاء عند المقابر.

التجمعات الشعبية:

45. التجمع من أجل الاحتجاج أو التأييد.
46. لقاءات احتجاجية.
47. لقاءات احتجاجية مموهة (كأن تعقد الاجتماعات بشكل غير مباشر في المباريات الرياضية والحفلات العامة).
48. عقد الندوات.

انسحاب وتنصل:

49. الخروج من مكان معين (كالخروج الاحتجاجي من البرلمان).
50. الصمت.
51. رفض التشريفات.
52. إدارة الظهر.

ثانياً:أساليب عدم التعاون

أولاً: عدم التعاون الاجتماعي:

نبذ الأشخاص

53. المقاطعة الاجتماعية.
54. مقاطعة اجتماعية انتقائية (كمقاطعة بعض الأفراد دون غيرهم، مثل رفض أصحاب المحلات البيع للجنود).
55. حجب العواطف (عدم إظهار العواطف).
56. الحرمان.
57. التحريم (كأن تقرر بعض الرموز والكيانات الدينية الدعوة إلى عدم الصلاة وراء رمز معين).

عدم التعاون مع الأحداث الاجتماعية والتقاليد والمؤسسات:

58. تعليق الأنشطة الاجتماعية والرياضية.
59. مقاطعة الشئون الاجتماعية.
60. إضرابات الطلاب.
61. العصيان الاجتماعي.
62. الانسحاب من المؤسسات الاجتماعية.

الانسحاب من النظام الاجتماعي

63. البقاء في المنزل.

64. عدم التعاون الشخصي الشامل.

65. "هروب" العمال.

66. الملاذ (مجموعة من الشخصيات المطلوبة لدى النظام تنسحب لأماكن لا يتمكن الخصم من انتهاكها إلا بتكلفة عالية، مثل الملاذ بدور العبادة).

67. الاختفاء الجماعي.

68. الهجرات الاحتجاجية.

ثانياً: عدم التعاون الاقتصادي:

المقاطعات الاقتصادية:

أعمال يقوم بها المستهلكون:

69. مقاطعة المستهلكين.

70. عدم استهلاك المنتجات المقاطعة.

71. سياسة التقشف.

72. الامتناع عن دفع الأجور.

73. رفض الاستئجار.

74. مقاطعة المستهلكين الوطنية.

75. مقاطعة المستهلكين الدولية.

أعمال يقوم بها العمال والمنتجون:

76. مقاطعة عمالية.

77. مقاطعة المنتجين.

أعمال يقوم بها الوسطاء:

78. مقاطعة المزودين والوكلاء.

أعمال يقوم بها أصحاب الأملاك والمديرون:

79. مقاطعة التجار.

80. الامتناع عن تأجير أو بيع الممتلكات.

81. منع التوظيف وإغلاق المؤسسات.

82. رفض المساعدة الصناعية.

83. إضراب عام للتجار.

أعمال يقوم بها أصحاب المصادر المالية:

84. سحب الودائع البنكية.

85. الامتناع عن دفع الرسوم والمستحقات والضرائب.

86. الامتناع عن دفع الديون والفوائد.

87. قطع المخصصات والقروض.

88. الامتناع عن دفع العوائد الحكومية.

89. الامتناع عن قبول النقد الحكومي (رفض استخدام النقود المطبوعة بشكل كامل أو جزئي).

أعمال تقوم بها الحكومات:

90. الحصار الاقتصادي المحلي.

91. وضع تجار على القائمة السوداء.

92. حظر البيع دولياً.

93. حظر الشراء دولياً.

94. الحظر التجاري الدولي.

الإضرابات

الإضرابات الرمزية:

95. الإضراب الاحتجاجي.

96. المغادرة الفورية (الإضراب المفاجئ).

الإضرابات الزراعية:

97. إضرابات الفلاحين.

98. إضرابات عمال المزارع.

إضرابات مجموعات محددة:

99. رفض العمل الإلزامي.

100. إضراب المعتقلين.

101. إضراب أحد فروع الصناعة.

102. إضراب المهنيين.

الإضرابات الصناعية العادية:

103. إضراب منشأة صناعية.

104. إضراب الصناعة.

105. الإضراب التضامني.

الإضرابات الجزئية:

106. الإضراب التصاعدي.

107. إضراب الصدمة (يحدث مرة واحدة بدون تصعيد).

108. الإضراب التباطؤي.

109. إضراب التقيد بالأنظمة.

110. الإضراب بالغياب المرضي (تمارض).

111. الإضراب بالاستقالة.

112. الإضراب المحدود (كالقيام بالعمل الأساسي والامتناع عن القيام بأي أعمال إضافية، أو العمل خارج الأوقات الرسمية) .

113. الإضراب المحدد (كالامتناع عن القيام ببعض الأعمال بسبب دواعي سياسية، مثل إنتاج مادة قد تستخدم لاحقاً في تصنيع الأسلحة).

الإضرابات الصناعية المتعددة:

114. الإضراب المعمم (يكون في مجالات كثيرة، لكن يشارك فيه أقلية، ويؤدي إلى قلة الإنتاج فقط).

115. الإضراب العام (يشارك فيه الجميع، ويؤثر على الاقتصاد).

الجمع بين الإضراب والإغلاقات الاقتصادية:

116. هارتال (Hartal) إضراب مؤقت للتعبير عن الاحتجاج.

117. الإغلاق الاقتصادي.

ثالثاً: عدم التعاون السياسي:

نبذ السلطة:

118. سحب الولاء.

119. رفض التأييد العام.

120. خطابات وكتابات تدعو للمقاومة.

امتناع المواطنين عن التعاون مع الحكومة:

121. مقاطعة الهيئات التشريعية.
122. مقاطعة الانتخابات.
123. مقاطعة الوظائف والمراكز الحكومية.
124. مقاطعة الدوائر والوكالات والهيئات الحكومية الأخرى.
125. الانسحاب من المؤسسات التربوية الحكومية.
126. مقاطعة المنظمات التي تدعمها الحكومة.
127. رفض مساعدة الجهات التنفيذية.
128. إزالة إشارات وعلامات المكان الخاص.
129. رفض الموظفين المعينين.
130. رفض حل المؤسسات القائمة.

بدائل الجمهور للطاعة:

131. المعارضة والامتثال البطيء.
132. العصيان في حالة غياب الإشراف المباشر.
133. العصيان الجماهيري.
134. العصيان المُقنَّع. (كأن تعاود الصحف الملغاة الصدور بأسماء جديدة)
135. رفض تفريق الحشود.
136. الاعتصام.
137. رفض التجنيد الإجباري والإبعاد.

138. الاختباء والهروب واستخدام الهويات الزائفة.

139. عصيان مدني للقوانين غير الشرعية.

أعمال يقوم بها موظفو الحكومة:

140. امتناع محدد عن المساعدة من قبل أركان الحكومة.

141. قطع خطوط اتصال الأوامر والمعلومات.

142. المماطلة والإعاقة.

143. عدم التعاون الإداري العام.

144. عدم التعاون القضائي.

145. عدم فعالية مقصود وعدم تعاون انتقائي مع جهات السلطة التنفيذية.

146. التمرد (خاصة بالتمرد في القطاع الأمني والعسكري).

أعمال تقوم بها الحكومات المحلية:

147. مراوغات وتأخير شبه قانونية.

148. عدم تعاون وحدات حكومية ذات صلاحية.

أعمال حكومية دولية:

149. تغيير في العلاقات الدبلوماسية وأشكال التمثيل الأخرى.

150. تأخير وإلغاء الأحداث الدبلوماسية.

151. سحب الاعتراف الدبلوماسي.

152. قطع العلاقات الدبلوماسية.

153. الانسحاب من المنظمات الدولية.

154. رفض العضوية في الهيئات الدولية.

155. الطرد من المنظمات الدولية.

ثالثاً: أساليب التدخل المباشر

التدخل النفسي:

156. الانكشاف أمام العناصر الطبيعية (كالشمس).

157. الصيام.

أ) صيام الضغط المعنوي.

ب) الإضراب عن الطعام.

ج) صيام الساتياجراها (غالباً يكون موجهاً للمقربين لتغيير موقفهم وليس الخصوم).

158. المحاكمة المعكوسة.

159. التحرش باستخدام اللاعنف (ممارسة نوع من الضغط النفسي على الخصوم، عبر إطلاق ألقاب وعبارات لاذعة ومواجهة بالتهم في كل مكان يذهبون إليه).

التدخل الجسدي:

160. الاعتصام.

161. الاعتصام وقوفاً.

162. الاعتصام ركوباً.

163. الاعتصام اقتحاماً.

164. الاعتصام طوافاً.

165. الاعتصام صلاةً.

166. غارة اللاعنف.

167. غارات اللاعنف الجوية. (كاستخدام المناطيد)

168. غزو اللاعنف.

169. الاعتراض اللاعنيف.

170. الحاجز اللاعنيف.

171. الاحتلال اللاعنيف.

التدخل الاجتماعي:

172. تأسيس أنماط وأساليب اجتماعية جديدة.

173. إرهاق التسهيلات.

174. المماطلة.

175. المقاطعة الكلامية.

176. مسرح المغاوير (كاعتراض عرض مسرحي معين، وتقديم عرض هزلي أو درامي بدلاً منه).

177. مؤسسات اجتماعية بديلة.

178. نظام اتصالات بديل.

التدخل الاقتصادي:

179. قلب الإضراب.

180. الإضراب الاعتصامي (الإضراب عن العمل مع الاعتصام في مكان العمل).

181. استيلاء على الأراضي باستخدام اللاعنف.

182. تحدي الحصار.

183. تزوير بدافع سياسي.

184. الشراء الوقائي الاحتكاري.

185. حجز الموجودات (الأصول).

186. إغراق الاسواق بالسلع.

187. حماية محددة (وهي عكس المقاطعة الاقتصادية، حيث تتم الدعوة إلى دعم بعض الشركات والمنتجات).

188. أسواق بديلة.

189. أنظمة مواصلات بديلة.

190. مؤسسات اقتصادية بديلة.

التدخل السياسي:

191. إرهاق الأنظمة الإدارية.

192. كشف هويات العملاء السريين.

193. الرغبة في السجن.

194. العصيان المدني للقوانين المحايدة.

195. العمل بدون تواطؤ (الإصرار على تطبيق السياسات والبرامج السليمة داخل المؤسسات، وهو عكس مقاطعة العمل بسبب الفساد).

196. ازدواجية السلطة والحكومة الموازية.

وقد استبعدنا من هذه الوسائل الـ 198 التي ذكرها جين شارب وسيلتين لعدم اتفاقهما مع تقاليد وثقافة وأديان مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهاتان الوسيلتان اللتان ذكرهما هما: التعري تعبيراً عن الاحتجاج، والإيماءات البذيئة. وقد شرحنا معظم هذه الوسائل في كتابنا "أسلحة حرب اللاعنف".

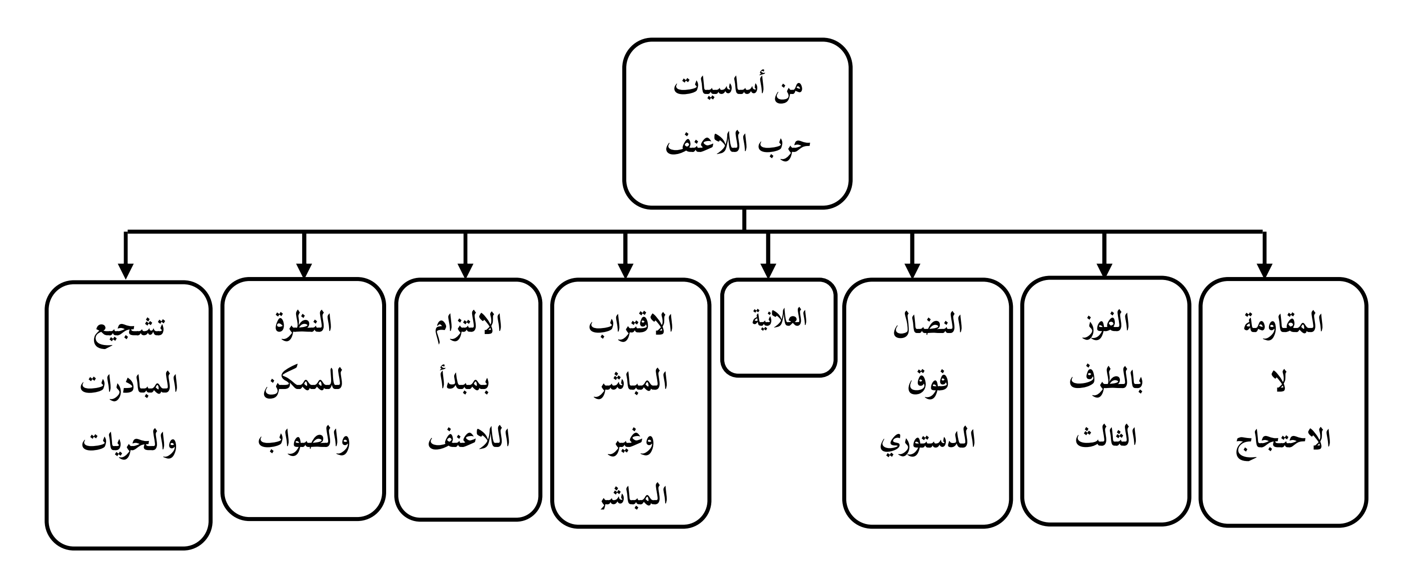
ومما لا شك فيه أن هناك عدداً ضخماً من الوسائل الأخرى التي استخدمت بالفعل في تاريخ الصراع والكفاح اللاعنيف إلا أنها لم تصنف، كما أن هناك العديد من الوسائل الأخرى التي سيتم استحداثها في المستقبل والتي قد تندرج تحت أحد هذه الأصناف الثلاثة: الاحتجاج والإقناع اللاعنيف، وعدم التعاون، والتدخل اللاعنيف.

ويجب أن ندرك بوضوح أن التأثير الأكبر لهذه الوسائل سيكون ممكناً إذا ما كانت الحركات التغييرية على دراية بنوعية الضغط الذي تريد فرضه على الخصم، قبل أن تقدم على اختيار أشكال الفعل التي ستتيح لها فرض هذا الضغط بشكل أفضل.

الباب الرابع: حول أساسيات حرب اللاعنف

تعرفنا في الباب الأول على جانب من تاريخ حرب اللاعنف، واستعرضنا في الباب الثاني مفهوم حرب اللاعنف ومكانها من أنواع الصراع ونظرتها إلى طبيعة القوة السياسية، وتعرفنا على دوافع أطراف الصراع المختلفة، ثم سردنا نماذج لأسلحة حرب اللاعنف.

وفي هذا الباب الرابع والأخير سنستعرض مجموعة من الأسس والركائز الأساسية التي تقوم عليها حرب اللاعنف، والتي لابد من الإحاطة بها، كما سنستعرض مجموعة من المفاهيم الخاطئة الشائعة لتصويب النظر وترشيد الفعل، وتعميق الوعي حول مدى إمكان استخدام حرب اللاعنف.



شكل 31: من أساسيات حرب اللاعنف

الأساس الأول: حرب اللاعنف.. مقاومة لا احتجاج

لما كانت حرب اللاعنف تمثل التجسيد الحقيقي للفعل السياسي في ظل نظرية القوة متعددة المصادر، فإن هذا يعني أنها تقوم على العصيان والتمرد لا على الطاعة والإذعان، هذا العصيان الذي لا يكتفي بالاحتجاج ولكن بالمقاومة.

وتستلزم الدراسة المتأنية لقضايا الصراع التمييز بين مصطلحي المقاومة والاحتجاج، حيث يشيع الخلط بين الكلمتين في كثير من الأحيان، ولتوضيح الفارق بين المصطلحين نعرض القصة التي ذكرها **بير هيرنجرين في كتابه "طريق المقاومة" حيث كتب:** (ارتبط درسي الأول الذي تعلمته عن العصيان المدني بولادة أخي، حيث كنت مفتوناً بإصراره البريء على تنفيذ ما يشاء وبالطريقة التي يشاء، وعندما لا يرغب في عمل شئ فإنه ببساطة يرفض ولا يساوم على هذا الرفض، وهو ما كان مغايراً تماماً لما كنت عليه، حيث إنني كنت ابناً مطيعاً جداً. ولا أقصد بهذا أنني لم أكن أعترض، فلقد كنت أصيح بشكل عنيف وأصرخ وأجادل، ولكن عندما ينتهي هذا الاحتجاج والصراخ فإنني أنصاع للأمر في نهاية المطاف. وقد ساعدني هذا التباين بيني وبين أخي كثيراً في فهم الفارق بين مفهوم المقاومة Resistance والاحتجاج Protest. إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، وتحدي القانون. إنها ترفض الإذعان والطاعة. إن المقاومة في جوهرها هي العصيان.)[1]

والهدف من التمييز بين المقاومة والاحتجاج أن يدرك النشطاء الدرجة التي يقفون عليها من الصراع، ويحسنون اختيار الوسائل المناسبة لتحقيق أهدافهم، فعن وعي وإدراك قد

1أحمد عادل عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م/ وائل عادل، حلقات العصيان المدني، الدار العربية للعلوم ناشرون، أكاديمية التغيير، بيروت، 2007، ط1، ص 13-14.

يكتفون بالاحتجاج، أو يقررون التصعيد وشن حملات المقاومة، وعلى صعيد آخر فإن هذا التمييز يمثل للدارسين معياراً للحكم على طبيعة المقاومة وتطور أدائها خلال المراحل المختلفة للصراع.

مسطرة المقاومة والاحتجاج

ومن هنا تأتي أهمية وجود المعايير العلمية لتصنيف الأنشطة، باعتبارها مقاومة أو احتجاجاً أو استسلاماً، ولا يمكن لهذا التصنيف أن يكون حدياً – أسود أو أبيض؛ بل هناك دائماً طيف من ألوان الفعل يتجاوز مصطلحات "المقاومة" و"الاحتجاج" و"الاستسلام".

لذلك يمكن تخيل مسطرة الفعل، تشير درجة "صفر" فيها إلى "الاستسلام التام"، وتشير الدرجة "عشرة" إلى "المقاومة الواعية"، ويمثل تدرج المسطرة – ما بين الصفر والعشرة – طيفاً يحوي في طياته الاحتجاج، والذي يقترب من الاستسلام أو المقاومة بحسب قرار المجتمع وأدائه.

فقد يلجأ المرء في المجتمع إلى الإنكار القلبي، أو التعاطف مع المقاومة، لكنه لا يترجم هذه العاطفة إلى فعل احتجاجي، حينها تكون أفعاله التي يمارسها بشكل يومي في حياته الطبيعية أقرب إلى الاستسلام. إذ الطاعة في حد ذاتها والمساهمة في تسيير الحياة بالشكل الطبيعي المعتاد يعتبر سلوكاً داعماً للنظام. أما إذا استوعب الفرد إمكانية تحكمه في الحياة اليومية للمجتمع، وأدرك مدى قوة تأثير تعاونه من خلال ممارسة الأعمال اليومية، وقرر توظيف هذه القوة في دعم أو معارضة أو تغيير النظام الحاكم؛ فقد ارتقى في سلم "المقاومة الواعية".

وللتعرف على مدى كون النشاط نوعاً من الاحتجاج أو المقاومة فقد وضعنا هذه المنظومة السداسية التي تستخدم لتقييم مدى سخونة النشاط واقترابه من تصنيف المقاومة، أو برودته فلا يغادر مستوى الاحتجاج.

المنظومة السداسية لتقييم مستوى المقاومة

تحتوي هذه المنظومة على ست نقاط أساسية للحكم على النشاط من حيث كونه مقاومة أو احتجاجاً:

1- **النتيجة المتوقعة من الفعل:** هل سيؤدي النشاط إن تم بنجاح إلى تغيير الأوضاع أم أنه مجرد صرخة وعمل رمزي؟ وهل هدف الفعل الابتدائي الذي اختير النشاط من أجله تسجيل حضور أم تغيير وضع؟

2- **الإرادة والوعي:** هل النشاط نابع عن وعي بخارطة الصراع، وأطرافها، ومراحلها، أم أنه عفوي وليد الحظة؟

3- **الاستمرار:** هل النشاط الحالي حلقة ضمن حلقات حملة المقاومة، فيُنظر إليه كسلوك مستمر متصاعد في مسار واضح ينتهي إلى تحقيق هدف المرحلة الحالية من الصراع؟ أم أنه سلوك عرضي، مآله الإذعان لسلطة النظام وضغطه في نهاية المطاف؟[1]

4- **الرؤية الاستراتيجية:** والتي تجيب على سؤال: وماذا بعد؟؟ فالفعل المقاوم يُشيَّد على رؤية استراتيجية تحدد مراحله وبدائله. فإن لم يفلح النشاط (س)، سيُستعمل النشاط (ص)، وهكذا..

وهنا يظهر طَيْف الخيارات، ويُنصبْ سلم التصعيد الذي ترتقي عليه الحركة، لتحقق أهدافها الاستراتيجية المرحلية والنهائية، كما تتحكم الرؤية الإستراتيجية للصراع فى تحديد إمكانية المزج بين الاحتجاج والمقاومة بما يخدم المرحلة. فالنشاط الاحتجاجي التقليدي قد

---

[1] الاستمرار في النشاط بحد ذاته لا يعبر عن فعل مقاوم، فالمسيرات والإضرابات المنتظمة تظل أعمالاً معزولة لا تكتسب معنى العمل التغييري المقاوم حتى تدرج ضمن رؤية استراتيجية واضحة. فهي أشبه بأعمال الخير والإحسان ولكن في ثوب جديد. فإعطاء بعض الفقراء صدقات بشكل مستمر لا يعني حل الأزمة الاقتصادية.

يصنف كنشاط مقاوم إن أُدرج في خطة تبدأ بالاحتجاج ثم التصعيد المتوالي، حينها تعتبر الخطة الكلية خطة مقاومة لا احتجاج، رغم أنها استخدمت أساليب الاحتجاج. وبذلك يمكن النظر إلى حرب اللاعنف كسلسلة من جولات الكر والفر والمقاومة والاحتجاج.

5- **فعل أو رد فعل:** من الطبيعي أن تبدأ المقاومة كرد فعل على قضية كبرى كالاحتلال مثلاً، لكن هل العمليات في معركة طرد المحتل استباقية أم دفاعية؟ إذ قد تكون الشرارة الباعثة للمقاومة ردة فعل إزاء حدث ما، وتبقى وظيفة قوى التغيير في المجتمع صناعة الفعل وإبقاء الخصم في خانة رد الفعل، وألا تنجر إلى خانة رد الفعل التي سيحاول الخصم جاهداً دفعها إليها. فالسلوك المقاوم يقوم على الإمساك بزمام المبادرة والفعل، والسيطرة على مسرح الأحداث وفرض إيقاع التحركات عليه.

لذلك يمكن تقييم أي نشاط من حيث : هل يُستدرج المجتمع إلى ردود أفعال أم أنه صانع الأفعال؟ وما هو رصيد النشاط من العمل الاستباقي والاستئثار بعنصر المفاجأة؟

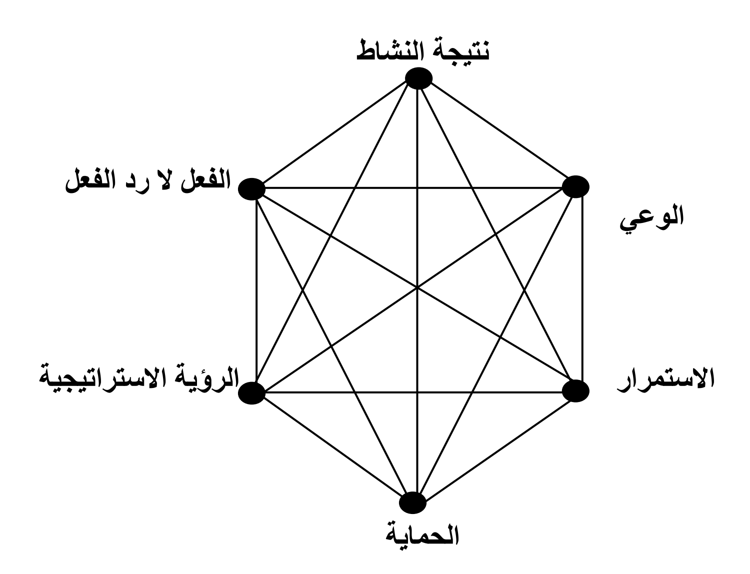
6- **مدى حماية النشاط:** كلما ازدادت خطوط الحماية التى أعدتها المقاومة لحماية أنشطتها كلما كانت أقدر على الإعلان عن نشاطاتها وأكثر جاهزية لاستثمار عواقب النشاط التى سيلجأ إليها الخصم، دون الإستدراج إلى منزلق ردود الأفعال. من هنا كان سعي الفعل المقاوم إلى حماية أنشطته حتى يحقق أهدافه، لذلك فإن من أهم الأسئلة التي تطرح لتصنيف النشاط.. ماذا أعد النشطاء لحماية الأنشطة المقررة خلال حملة المقاومة؟ وكيف ستتصدى للتصعيدات التي سيلجأ إليها النظام المتعسف؟ فالتخطيط لحماية النشاط جزء لا يتجزأ من التخطيط للنشاط.

يمكن بهذه العوامل الستة خلق مسطرة لتقييم أي نشاط والتعرف على مدى قربه من المقاومة أو الاحتجاج. فكلما استوفى النقاط السابقة كان أقرب إلى المقاومة.

المقاومة	الإحتجاج
عمل قادر على إحداث التغيير.	عمل رمزي لا ينتهي بالتغيير.
فعل	رد فعل.
خطوط حماية فعالة.	حماية عفوية غير مخططة.
إرادة ووعى بالأهداف.	عفوية
تصميم على الاستمرار حتى تتحقق مكاسب حقيقية.	تسجيل حضور والتعبير عن موقف ثم الإذعان.
قائمة على تصور استراتيجي بعيد المدى.	لا تعتمد بشكل كبير على تصور استراتيجي بعيد المدى.

جدول 4: المنظومة السداسية للتمييز بين المقاومة والاحتجاج، حيث تتسم أعمال المقاومة بأنها أفعال تدفع الخصم إلى موقع رد الفعل، وتكون هذه الأفعال علنية تتحدى الخصم، وتسعى لفرض قوانين صراع جديدة تمكن المجتمع من حماية أنشطته والاستمرار التصعيدي فيها حتى يصل إلى مبتغاه بشكل واع استراتيجي رغم أنف النظام الديكتاتوري القمعي

ويجدر بالذكر أن هذه النقاط الست مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً ، والعلاقة بينها متبادلة وديناميكية كما يبين الشكل التالي:



شكل 32: منظومة الأكاديمية السداسية تبين مدى ارتباط النقاط الست ببعضها والعلاقة المتبادلة بين كل نقطة وأخرى

وهنا ينبغي التذكير بأن المقاومة ليست شعاراً يعلنه النشطاء "نحن مقاومون"، ولكنها فلسفة وثقافة تحكم نمط التفكير، وطريقة في الفعل والحركة تعكس الأداء المقاوم، وإعداد جاد من أجل الانتصار، لا الاكتفاء بتسجيل الحضور.

وليس من الصواب أن نسأل أيهما أفضل؟ المقاومة أم الاحتجاج أم الدمج بينهما؟ فالهدف هو الذي يملي على النشطاء أيهما أصلح، وإمكانياتهم وقدراتهم لها قول كذلك يجب الإصغاء إليه.

الأساس الثاني: الفوز بالطرف الثالث

ليست حرب اللاعنف حرباً محدودة قائمة بين حركة التغيير والنظام المستبد؛ ولكنها حرب شاملة، لابد فيها من تعبئة جميع مصادر قوة المجتمع بهيئاته ومؤسساته وأفراده ضد الأنظمة المستبدة وبنيتها التحتية ومصادر وأدوات قوتها.

ومن هذا المنطلق فإن حرب اللاعنف لا يحسمها عادةً أي من طرفي الصراع المباشرين – النظام والحركة المقاومة، بل إن عنصر الحسم هو قدرة أحد الطرفين على الفوز بالطرف الثالث في الصراع والتأثير فيه، هذا الطرف الثالث هو المجتمع.

فلا سبيل أمام حركة المقاومة لعزل الحاكم عن مصادر قوته وإصابته بالمجاعة السياسية إلا عبر التأثير في الجماهير والمؤسسات والقوى الداعمة وإقناعها بسحب تعاونها معه. ولا سبيل أمام النظام لكسب تأييد الجماهير في حملته ضد المقاومة إلا بالتأثير فيها عبر صياغة المبررات الأخلاقية والقانونية لضرباته الموجهة إلى الحركة التغييرية، أو عبر الترهيب من عواقب الانخراط في صفوف المقاومة.

وتأتي أهمية هذا الأساس في ظل زهد بعض الحركات التغييرية في الجماهير، حيث تردد الكثير من المقولات من قبيل "الجماهير سلبية ... الجماهير لن تتحرك .... الجماهير لا تستحق الحرية ... الحركات تبذل أقصى ما في وسعها بينما الجماهير في سبات عميق.."، والحقيقة أن اتهام شعب ما بالسلبية تعميم يفتقر إلى الدقة والموضوعية، فحتى نقول بسلبية أو إيجابية الجمهور يجب أولاً أن ندرس كيف يعمل العقل الجمعي للجمهور.

الحاسة السادسة

إن الجمهور يتميز بحاسة سادسة يستطيع أن يحدد من خلالها دوره، ومدى تجاوبه مع قضية ما. فالجمهور لا تعنيه الأيديولوجيات والأفكار المركبة، ولا يتعامل بعاطفية مع قوى التغيير فيجاملها ويتحرك معها استحياء من خطابها، وإنما هناك ثلاثة عناصر أساسية[1] تحكم قراره الجمعي:

1- **العائد:** ما العائد الذي سيحصل عليه إذا تحرك؟

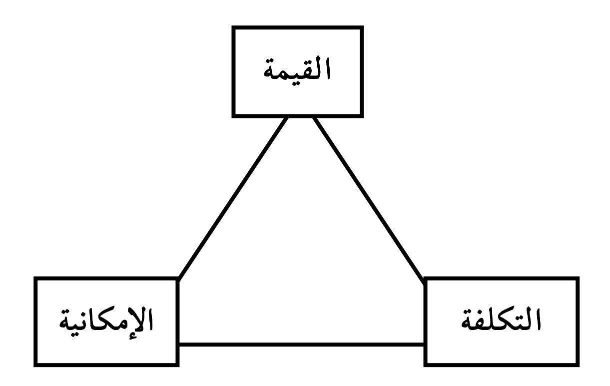
2- **التكلفة:** ما حجم التكلفة التي لابد أن يدفعها ليحصل على العائد؟

3- **الإمكانية:** ما إمكانية الانتصار وتحصيل العائد في حالة دفعه للتكلفة التي تطلبها منه الحركات التغييرية؟ أي هل لدى الحركات التغييرية أسباب الانتصار في حالة تجاوب معها الجماهير أم أنها لا تملك خطة وأدوات محكمة؟

ويأتي دور الحركات التغييرية للفوز بالطرف الثالث، بإظهار مدى أهمية فكرة التغيير، والتبشير بالمستقبل الجديد، واختيار الفكرة الحاشدة الملامسة لآمال الجمهور، والتقليل من شأن التكلفة في مقابل العائد، ورفع الحالة المعنوية والتأكيد على إمكانية النصر – خاصة بالمبادرات العملية الجريئة– في حالة ممارسة الجماهير للفعل السياسي المطلوب. أما عندما يرى الجمهور حركات التغيير مترددة، فإنها ترسخ عنده الشعور بعدم إمكانية الفعل، ويختل أحد أضلاع مثلث تحريك الجماهير.

فالرسائل السياسية المؤثرة والحقيقية ليست تلك الموجهة من حركة التغيير إلى النظام؛ وإنما تلك الموجهة إلى الجماهير.. وهو ما نعنيه بالطرف الثالث.

[1] د. جاسم سلطان، التفكير الاستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ط1، المنصورة، 2006، ص 216: 218.



شكل 33: الحاسة السادسة للجماهير، والتي يمكن استخدامها لدعوتهم إلى المشاركة في الصراع

إعادة تعريف الشعب

كذلك يمكن فهم أسباب عدم حركة عامة الناس من مدخل إعادة تشريح الشعب، وفهم كل شريحة وطبيعة حركتها. فعدم شعورنا بحركة دوران الأرض لا يعني أنها ساكنة!!

يتكون الشعب – بالنظر إليه من زاوية الحراك السياسي – من ثلاث شرائح:

قلة مبدعة: من المؤسسات والأفراد، تبدع مسارات يسلكها الشعب ووسائل يستخدمها.

مجموعات نشطة جريئة: (مؤسسات وأفراد وحركات) تتسم بالجرأة، مهمتها تجريب ما توصلت إليه القلة المبدعة وتطويره وصقله.

عموم الجماهير: وهم المستهلك النهائي للوسيلة الفعالة والمسار الموصل. وهذه هي الشريحة الأكبر، وهي لا تتحرك إلا عندما تتوفر الوسيلة بتكلفة لا تفوق طاقاتها، وعندما تتأكد من جدواها.

والقلة المبدعة هي قلة ذكية جريئة، تقذف بها الأقدار ليتغير المشهد، تعكف على اكتشاف مسارات فعل جديدة، وتبتكر استراتيجيات ووسائل من طراز مختلف.. هم مهندسو

مشروع التغيير وعقله المتقد، هم الذين يرشدون الناس إلى الطريق ويذللون لهم وسائل اجتيازه. وهم حملة البشارة بأن اليوم المشهود قد دنا.. يوم يصيحون مبتهجين بعد عناء.. وجدتُها!![1]

وكأي وسيلة جديدة، قد لا يثق الجمهور فيها في البداية، إما للشائعات التي تروج حولها، أو لارتفاع تكلفتها، أو لنزعة الخوف من الجديد عند البعض؛ فإن وسائل التغيير لا يُكتب لها القبول مباشرة لمجرد أن القلة توصلت إليها، سيقترب الجمهور منها بحذر.. ثم يستعملها.. ثم يعمل على تطويرها.

وعندما تتكشف المسارات المذهلة والوسائل الناجعة للتغيير في المجتمعات، يبدأ الشعب في المشاركة في صناعة التغيير من خلال شريحة المجموعات النشطة الجريئة، فتبدأ محاولات شق المسار على الأرض، وتنشأ مراكز تدريب، وتنتشر المعامل ومختبرات الأبحاث، وتُشيد في المجتمع صروح صناعة جديدة تُدعى "صناعة التغيير".

أي أن حركة الشعوب تمر بثلاثة أطوار، طور القلة المبدعة، ثم المجموعات النشطة، ثم عموم الجماهير، ونستطيع أن نصف أي شعب بأنه تحرك إذا ما بدأ الطور الأول. ويكون هنا السؤال.. هل اكتملت الحركة؟ هل نمت أطوارها؟ هل بلغت مداها؟

[1] تنتظر الناس القلة المبدعة حتى في أمورها الخاصة، فمَن منا لم يكن يريد الاتصال بمن يشاء في أي وقت ومن أي مكان؟! لكنها كانت رغبة أقوى من إمكانات الجماهير حتى أواخر القرن العشرين، سيظل الجميع إذن يستخدم الهاتف الأرضي ووسائل البريد والتلغراف، حتى تقوم القلة المبدعة بدورها، لتبتكر الهاتف الخلوي "المحمول"، حينها ستستخدم الجماهير تلك الوسيلة، حتى إنك لتراها في يد الصغير والكبير، لكن مُطالبة الجمهور بأن يبدعها أمر مبالغ فيه يفوق طاقاته. لا يمكن أن نلوم الجمهور كونه لم يخترع الهاتف الخلوي، لكن بإمكاننا أن نوجه العتاب للقلة المبدعة إذ تأخر إبداعها للوسيلة الجديدة.

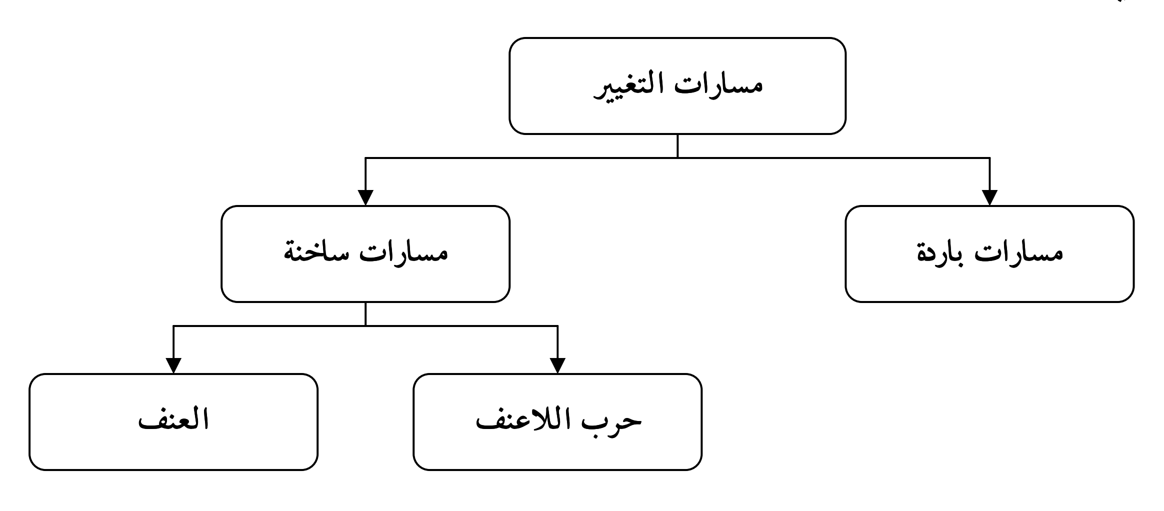
كذلك يمكن اعتبار الحركة الطبيعية للشعوب أشبه بحركة البشر عند إنشاء طريق مروري جديد!! فكما أن الجمهور لا يبتكر الهاتف الخلوي فهو كذلك لا يبتكر الطريق، هنا قلة مبدعة تصمم الهاتف، وهناك قلة تصمم الطريق، مجموعات نشطة من العمال في المصنع يحولون التصميم إلى منتج، ومجموعات على الطريق يحفرونه ويختبرونه، عموم الجمهور مستاء من الحفر ويعتبره تعطيلاً، كما أنه متخوف من ذلك الاختراع الجديد، تتفهم المجموعات النشطة هذا الأمر ولا تتهم عموم الجماهير، بل يستمر العمل.. فها هي مجموعات نشطة تؤسس على جانبي الطريق الخدمات المتنوعة من خرائط، وتأمين، وإسعافات أولية، ومجموعات على الجانب الآخر توفر الاكسسوارات والبرامج الخاصة بالهاتف، يُعلَن نبأ افتتاح الطريق وتوفر وسيلة اتصالات فعالة في الأسواق، يبدأ الناس في تجريب الطريق، يكلم بعضهم بعضاً عبر الهاتف: ألو.. نعم تعال.. سنسلك الطريق الجديد.. فيتوافد الناس أفواجاً.

إن الشعوب تتحرك لكننا قد لا نبصر الحركة، لأننا نبحث عن أماراتها أحياناً في المكان الخطأ، نتطلع لحركة الشريحة الثالثة قبل أن تقدم الشريحة الأولى حركة إبداعية مقنعة، ففي حركة الشعوب نجد كل طور مسئول عن تخليق الطور الذي يليه، فالقلة المبدعة مسئولة عن خلق المسارات المقنعة للمجموعات النشطة، والمجموعات النشطة مسئولة عن حفر هذه المسارات وتأكيد فاعليتها وتمهيد السير فيها للجماهير.

ولا ينبغي استعجال الطور الأخير، فالانتباه لاتجاه الحركة أمر بالغ الأهمية، إذا بدأت الحركة في حالات الانسداد وغياب المسارات من الطور الأخير (عموم الجماهير)، أي بدأت بشكل عكسي؛ فهذا يعني فوضى ستحاول القلة المبدعة لاحقاً إيجاد حلول لها، كأن تبدأ حركة عفوية عنيفة تدمر كل شيء، في هذه الحالة ستنشغل القلة المبدعة بكيفية السيطرة على هذه الحالة وهو أمر شديد الصعوبة، أما إن تمت الحركة بشكل طبيعي من الطور الأول، حيث تبدع القلة مسار اللاعنف وتجيب على أهم أسئلته، فهذا يعني تغييراً يتمشى مع الطبيعة، مسارات ممهدة يسلكها الناس بدلاً من أن يموتوا في صحراء التغيير حيث لا توجد طرق.. فقط رمال ملتهبة.

الأساس الثالث: حرب اللاعنف والنضال فوق الدستوري

أشرنا من قبل في الفصل الأول من الباب الثالث (طبيعة الصراع) إلى وجود مسارين رئيسين لحسم الصراع: المسار الأول هو المسار البارد، الذي تستخدم فيه آليات الحوار والتفاوض والانتخابات والاستفتاءات الجماهيرية وغيرها. أما المسار الثاني فهو المسار الساخن، الذي يتضمن كلاً من العنف وحرب اللاعنف.



شكل 34: مسارات التغيير

والوسائل أو المسارات الباردة تسلك في مجملها مسارات دستورية، ومن ثم يحرص من ينتهجون تلك المسارات أو يعتمدون نهج النضال الدستوري على عدم مخالفة الدستور أو انتهاك القوانين، وهو ما نراه واضحاً في الأحزاب والهيئات والمؤسسات في المنظومة الغربية الديمقراطية.

أما المسارات الساخنة فتلجأ إليها الأحزاب والحركات في الصراعات الصفرية، حين تكون المسارات الدستورية خاضعة لسيطرة الخصوم المعاندين وللأنظمة الديكتاتورية بشكل كامل. فعندما تكون الأنظمة المستبدة قادرة على لي عنق الدستور والقوانين أو عدم تطبيقهما، وصياغة

ما يناسبها من قوانين، وإلغاء وتجاهل ما يهدد وجودها واستقرارها من الدساتير؛ تصبح المسارات الدستورية غير مجدية، وحينها تلجأ قوى التغيير إلى المسارات الساخنة "فوق الدستورية".

ففي المسار الساخن العنيف كالانقلابات العسكرية وحروب العصابات لا شك أن الحركات المقاومة تنتهك القوانين، وفي المسار الساخن اللاعنيف "حرب اللاعنف" تعمد الحركات إلى تغيير قواعد اللعبة السياسية عبر انتهاك القوانين الجائرة والظالمة، ومحاولة نزع الشرعية عن النظام المستبد. فحرب اللاعنف يمكن نعتها بأنها نضال فوق دستوري.

وهذا التقسيم يفيدنا في الفصل بين المسار الساخن والمسار البارد، حيث تعتقد أحياناً حركات التغيير أن النضال الدستوري والدخول في الانتخابات البرلمانية يمكنها من أن تحدث التغييرات المطلوبة، بينما حرب اللاعنف لا تسلك عادة النضال الدستوري، ولا تعتمد على الإجراءات القانونية القائمة، لذلك لا تصنف الانتخابات من وسائل حركة اللاعنف[1]، فالانتخابات وسيلة باردة تستخدم في النظم المتحضرة، وهي السبيل إلى التنافس على السلطة حين يضمن الناخب ألا يُسرق صوته.

وقد تكون الانتخابات أحياناً ثمرة لحرب اللاعنف، أو مناسبة لشن حرب اللاعنف، حيث تخطط حركات اللاعنف لشن حملات لاعنيفة تكون في نهايتها فرصة للدخول في معركة

---

[1] بمراجعة وسائل وأسلحة حرب اللاعنف في الفصل الرابع من الباب الثاني لن نجد الانتخابات مدرجة كوسيلة من وسائل حرب اللاعنف، لأنها بوابة مرور مفتاحها بيد النظام الديكتاتوري، وتمثل أداة من أدوات النضال الدستوري في الدول الديمقراطية، بينما حرب اللاعنف قائمة على النضال فوق الدستوري.

أما ما طرحه جين شارب في الوسيلة الخامسة عشر من تكوين "اللوبي" والضغط من داخل البرلمان، فهو صالح في الدول الديمقراطية، حين تستطيع المعارضة في البرلمانات أن تعرقل قراراً، أو تمنعه، وقد يصلح في الأنظمة الديكتاتورية التي تتجمل ببعض المجموعات المعارضة مع القضايا غير المصيرية، فتستجيب للضغوط، أما إن كانت القضية مصيرية وعلى المحك، ويتجسد فيها الصراع الصفري، فحينها يصعب أن يمارس اللوبي ضغطاً حقيقاً، وأقصى ما يستطيعه هو الاحتجاج.

الانتخابات، بعد أن يتم تهديد قبضة الديكتاتور على السلطة. وضمان حرمانه من سرقة الأصوات.

هذا التمييز بين الوسائل الباردة والساخنة والنضال الدستوري وفوق الدستوري في غاية الأهمية، حيث يؤدي اللبس بينهما إلى استخدام وسيلة في غير موضعها وفي غير ميدان فاعليتها.

الأساس الرابع: حرب اللاعنف علنية لا تعرف السرية[1]

إذا كان جوهر حرب اللاعنف هو العصيان، وكانت الحركات التغييرية تسعى للفوز بالطرف الثالث (الجماهير)؛ فإن المقاومة ينبغي ألا تعرف السرية. فلكونها تسعى إلى أن تُعَلِّم الناس التمرد والعصيان؛ فإنها لا تتخفى عن أعين الناس، والمشاركون لا يتعمدون إخفاء أنشطتهم عن السلطة. فالهدف هو حشد أكبر عدد ممكن من الجماهير للمشاركة في الأنشطة، والجمهور بصفة عامة لا ينخرط في أعمال سرية، لذلك فالعلانية تعد إحدى الركائز المهمة في أسلحة اللاعنف، التي تسعى إلى خلق حوار مع الجمهور. ولذا فإن كتابة شعار سياسي أو رسالة ما على حائط أو جدار ما تحت جنح الظلام يعتبر نوعاً من أنواع الاحتجاج وليس المقاومة، حتى لو جاء بنتائج سياسية مرضية.

ولذلك ينبغي لحركات اللاعنف أن تعي جيداً أن المواطنين هم المستهدف الرئيس للعصيان، وأنه لابد أن يرى الناس أفراداً من الشعب يمارسون العصيان جهاراً ويتحملون عواقبه. وأن الأعمال التي تتم في جنح الظلام لا تشجع الآخرين على أن يمارسوا العصيان. لذلك فالأعمال المتخفية المعزولة عن الجمهور لا تعد عصياناً.. فالعصيان يعني الرفض، رفض للنظام وكسر لقانون أو وضع جائر دون تخف.

وعلى حركات المقاومة أن تقنع الجماهير بأن ممارسة العصيان والمقاومة لا تتطلب قدرات خاصة. وأن كل الشعب بإمكانه أن يشارك في أنشطة العصيان.

وقد دافع مارتن لوثر كينج عن مفهوم العلانية عندما كان يخطط لتعطيل العمل في المؤسسات الأمريكية من خلال حملات العصيان المدني قائلاً: "هذه المقاطعة يجب ألا

1قد تلجأ حركة العصيان إلى السرية على مستوى بعض التكتيكات التي تقتضي ذلك، وليس على مستوى الاستراتيجية العامة. أي أن الأصل هو العلانية.

تكون سرية أو في الخفاء، وليس ضرورياً أن نلبسها ثوب حرب العصابات، بل يجب أن تكون علنية وأن تقوم بها جماهير كثيرة دون لجوء لأي عنف"[1].

كما أن نشطاء اللاعنف وهم يقومون بأنشطتهم في وضح النهار، فإنهم يسعون إلى إيقاظ ضمائر جموع المتفرجين، وانتزاع سكينة المجتمع المتوهمة، خاصة عندما تراهم وهم يواجهون عواقب أعمالهم على مرأى ومسمع من الجميع، وبنفس راضية. فبانتهاك قانون الصمت الجماعي يعكر المقاومون صفو الطمأنينة الاجتماعية ويثيرون الاستياء العام.[2]

وتكون مهارة الحركة في أن يستثمر جهازها الإعلامي هذه الأنشطة، وكلما زاد القمع وبدأ التعرض للمشاركين؛ كان ذلك مؤشراً على نجاح العصيان. ويجب أن يستفيد الجهاز الإعلامي المقاوم من كل تحرش، أو صدام، أو كلمة نابية، أو فلتة لسان، أو عمل لا أخلاقي، أو مقتل لأحد المقاومين ليمتلك ورقة رابحة ودليلاً دامغاً على أن الشعب قرر العصيان. وإذا فوت الجهاز الإعلامي هذه الأحداث يكون قد فرط في أداة قوية من أدوات نجاح العصيان. إن قوة النشاط في فقه العصيان قد تكمن في العقوبة التي ستوجه إلى المقاومين، والتي سيستثمرها إعلام المقاومة.

وعندما نتحدث عن علنية حركة التغيير لا نقصد بذلك العلنية على مستوى الحركة فقط (بمعني أن الحركة علنية وليست سرية)؛ وإنما نقصد أيضاً العلنية على مستوى الأنشطة المختلفة.[3]

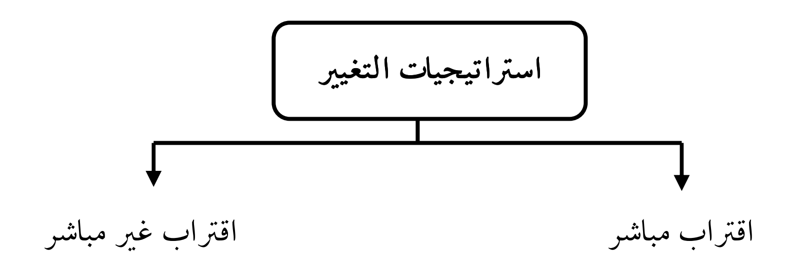
1جان –ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوف الناس، بيروت، 1999،ط1، ص89.

2 نفس المرجع السابق، ص75.

[3] قد تلجأ حركات العصيان أحياناً إلى السرية على مستوى التكتيك وليس على مستوى الاستراتيجية، كإخفاء بعض القادة عن أعين آلة القمع، ولا تنسحب مقولة "لا تعرف السرية" بالضرورة على تفسير المسار التاريخي الكلي للحركة. فقد تبدأ حركة المقاومة كحركة معارضة لا تعتمد العصيان، ثم تتطور إلى حركة عصيان. ومن ثم فإن حديثنا عن العلانية يفهم في إطار شرح الاستراتيجية العامة للحركة المقاومة في مرحلة العصيان. كما يجب التمييز بين حفاظ الحركة على بعض أسرارها، أو عدم الإعلان عن بعض الأنشطة من قبيل الحفاظ على عنصر المفاجأة والتضليل الاستراتيجي، وبين أن تكون الحركة قائمة على السرية.

الأساس الخامس: الاقتراب المباشر وغير المباشر

هناك استراتيجيتان أساسيتان للتغيير، سواء كان تغييراً عنيفاً أو غير عنيف:



شكل 35: استراتيجيات التغيير

أولاً: استراتيجية الاقتراب المباشر

وتعتمد هذه الاستراتيجية على إمساك الثور من قرنيه، والاصطدام المباشر. بمعنى أنها تقوم على حشد قوى الحركة التغييرية في مواجهة نقاط قوة الخصم، ومن ثم الدخول في مواجهة حاسمة تنتهي بالقضاء على قوة أحد الطرفين.

والعمل المباشر يأخذ أحياناً طابعاً رمزياً، ومن الأمثلة على الفعل المباشر الرمزي ما قامت به حركة السلام في السويد، عندما قامت بإعاقة صفقة حكومية لتصدير السلاح في عام 1983، حيث تمكنت مجموعة من النشطاء – رغم ضعفها التنظيمي – من تعطيل سفينة محملة بالسلاح لمدة ساعة، مرسلة برسالة رمزية بضرورة وقف تصدير السلاح كليةً، وفي نفس الوقت فقد حققت هدفها بشكل رمزي ومنعت تصدير السلاح فعلاً.

وعندما تقوم حركة بإيواء مجموعة من المشردين ممن لا مأوى لهم؛ فإنها بذلك تسلط الضوء على قضية المشردين، وفي نفس الوقت تحقق هدفاً من أهدافها، وهو إيجاد مأوى لهؤلاء المشردين.

وعندما ينام عدد من النشطاء على شريط سكة حديد، أو يستخدمون الحواجز المعدنية معترضين سير قطار ينقل سجناء الرأي والسجناء السياسيين، فهم يمنعون ذلك بأجسادهم، كما يعبرون عن رفضهم تقييد حرية أصحاب الرأي.

ويجب أن نشير إلى أن العمل المباشر لا يحظر الاستعمال الرمزي للقوة. فعندما قررت حركات المقاومة في صربيا عام 2000 في ساعة الحسم اقتحام البرلمان، فإنها أحضرت الجرارات معها لإزالة الحواجز والمتاريس الموضوعة على الطريق لتحول دون وصولهم إلى العاصمة بلجراد. ولم تشتبك مع الشرطة في صراع عنيف دام، بل أزالت الشاحنات، حتى أصبحت الشرطة في النهاية تقيم الحواجز ولا تدافع عنها.

إن اللاعنف ليس مبنياً على الاستسلام، وإنما على القدرة على المواجهة والعناد ومقاومة الخصوم الأقوياء.

ولا يمكن أن تلجأ الحركة التغييرية المقاومة إلى هذه الاستراتيجية إلا إذا كانت كفة ميزان القوى تميل لصالحها، أو في أقل الأحوال توازن ميزان القوى بينها وبين قوة الديكتاتور.

ثانياً: استراتيجية الاقتراب غير المباشر

أما عندما لا تمتلك المقاومة القدرات على الدخول مع الخصم في معركة مباشرة، فإنها تلجأ إلى الالتفاف حوله، بإبداع استراتيجية مصممة لمواجهة النظم الديكتاتورية، ومتفوقة على استراتيجية الخصم، فتتجنب الالتحام معه في معركة مباشرة، "فعضلات الدولة أقوى من عضلات أي حزب سياسي"، لذلك تعتمد الحركات في مواجهة قوة الديكتاتوريات أسلوباً يتميز بمرونة شديدة في الحركة، وقدرة على المبادرة والكر والفر، وعدم التحول إلى رد الفعل.

وتعتمد استراتيجية الاقتراب غير المباشر على المناورة وعدم الاصطدام المباشر "عدم إمساك الثور من قرنيه"، بمعنى أنها تقوم على حشد قوى الحركة التغييرية في مواجهة نقاط ضعف الخصم، وإحداث فجوات في بنيان الخصم يمكن منها الولوج إلى نقاط قوته. أي أنها تعني عدم اختبار العدو في امتحان مباشر للقوة.

وهذه الاستراتيجية تتضمن عدم الاقتراب من الخصم إلا بعد أخذ الاحتياطات اللازمة لإزعاجه ومفاجأته بهدف زعزعة توازنه بهجوم غير متوقع تقوم به من اتجاهات متعددة. والواقع أن تكتيكات الاقتراب غير المباشر تفرض نفسها على أحد الخصمين المتنازعين إذا كان لا يثق ثقة تامة بأنه من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه في معركة تنشب على أرض يختارها عدوه.

ويقترح ليدل هارت الاستخدام المنهجي للاقتراب غير المباشر، بمعنى التقدم نحو الخصم من اتجاهات غير متوقعة، ثم التقدم في اتجاهات متعددة والقيام بتغييرها بحيث تصرف تفكير الخصم عن الأهداف الحقيقة للهجوم.[1]

ومن الأخطاء التي تقع فيها الحركات التغييرية الشابة والفتية استخدامها لاستراتيجية الاقتراب المباشر قبل أن تستكمل عدتها، وهو ما يؤدي إلى وأدها وهي لا تزال تحبو.

وعلى النقيض من ذلك، غالباً ما تمارس الحركات التغييرية العريقة والتاريخية – والتي مرت بالكثير من التجارب المريرة نتاج صداماتها المختلفة مع النظام – استراتيجية الاقتراب غير المباشر حتى في اللحظات المفصلية والتاريخية، والتي تحتاج إلى جرأة على اتخاذ قرار المواجهة المباشرة.

[1] صلاح أحمد زكي، تجديد الفكر المقاوم.. نحو نظرية للأمن العربي، دار الفكرالعربي، ط1، 1987.

وفي الواقع فإن حرب اللاعنف تعتمد على الدمج بين الاستراتيجتين، وما يمكن أن ينتج عن الدمج بينهما لا حدود له. وعادة ما يستخدم الاقتراب المباشر بشكل رمزي أو في الحملات النهائية الحاسمة، بعد أن يكون الاقتراب غير المباشر قد تمكن من تقويض مصادر القوة التي ترتكز عليها الديكتاتوريات.

الأساس السادس: الالتزام بمبدأ اللاعنف

إن الصراع السياسي الصفري لابد وأن يمر في أحد أطواره بمرحلة القمع، خاصة عندما يستشعر النظام خطر قوى التغيير، فلا يجد بداً من اللجوء إلى القمع لإجبار المجتمع على القبول ببقائه وشرعيته.

وفي مرحلة القمع يحتاج النظام في صراعه مع القوى الوطنية – وهو صراع يفترض أن يكون مدنيًا دستوريًا – إلى المبررات التي تسوغ لجوءه للقوة لإقناع المجتمع الدولي والمواطنين، وهذه المبررات تنقسم إلى نوعين:

1. **مبرر أو غطاء أخلاقي**، وهو ضرورة إنسانية **(ضرورة ضميرية)**: مثل التبرير بحماية الشباب من التغرير بهم، وغسل عقولهم ،وحماية المجتمع من الحركات المشبوهة التي تستعين بالجهات الخارجية وبالتمويل الأجنبي لتدمير المجتمع وإضعافه.

2. **مسوغات قانونية** أو غطاء عقلي، وهي ضرورة للتقبل العقلي **(ضرورة عقلية)**: من قبيل مخالفة القوانين، والاعتداء على الممتلكات العامة، وتعطيل مصالح الجماهير ،والانتماء لتنظيمات محظورة.

وفي إطار مواجهة الهجمة الشرسة للأنظمة المستبدة تجد الحركات التغييرية نفسها أمام خيارين:

الأول: الاستمرار في شن الحملات اللاعنيفة على النظام الديكتاتوري.

الثاني: اللجوء إلى العنف اعتقاداً بأنه السبيل الوحيد المناسب للتعامل مع تلك الأنظمة العنيفة.

ومن أسس حرب اللاعنف الالتزام بالمسار اللاعنيف، وعدم اللجوء إلى البدائل العنيفة، لعدة أسباب أهمها:

• أن المنتج النهائي لحرب اللاعنف يصعب تحقيقه من خلال العنف، هذا المنتج هو المجتمع الحر صاحب الرسالة الحضارية. الذي تعاد فيه توزيع القوة، ليصبح للشعب دوراً فاعلاً في اتخاذ القرار، الأمر الذي يصعب تحقيقه بقلة تمكنت من السيطرة على الحكم.

- المجتمع القوي يدار فيه الصراع بشكل مدني بعيداً عن العسكرة، فلا ينتصر فيه من يملك قدراً أكبر من الأسلحة، وإن تم التغيير بقوة السلاح فإن هذا المنهج سيصبح مشروعاً لكل راغب في التغيير. فالمسار التغييري يشكل الذاكرة السياسية للمجتمع، ويصبح مرجعية تاريخية وشرعية له، يستند إليها وقت الأزمات. كما أن إبداع المسار أقرب بشق طريق في المجتمع، إما أن يقسم هذا الطريق المجتمع نصفين، أو يحشدهم جميعاً للسير فيه. لذلك فالصبر على المسار اللاعنيف يهدف إلى تحقيق الهدف البعيد.. "**تمدين الصراع السياسي**".

• تكلفة العنف عالية في الأرواح، ويخلق نتوءات في المجتمع، وجراحات وثارات يصعب التحكم فيها إلا بعد حين، وبذلك يؤثر العنف في البنية الاجتماعية تأثيراً سلبياً، بينما اللاعنف يخلق مجتمعاً متماسكاً حتى وإن اختلف سياسياً.

• العنف قلما يأتي بحكم ديمقراطي، بل يزيد الديكتاتورية، حيث إن العنف يعتمد على استبدال مولد الطاقة في المجتمع بآخر، وقلما نجحت التجارب العنيفة في إقامة حكم ديمقراطي. حيث يدَّعي دائماً حملة السلاح أحقيتهم بالحكم، فهم من ضحوا وبذلوا وناضلوا نيابة عن الشعب، بينما اللاعنف يعتمد على إعادة تعريف القوة وردها إلى الشعب. فيصبح كل شخص مشارك في التغيير، وبالتالي يشعر بحقه في المشاركة في اتخاذ القرار في مرحلة ما بعد التغيير.

• عموم الناس لا تتعاطف أو تتجاوب أو تدعم فكرة العنف في التعامل مع قضايا الاستبداد الداخلي.

• العنف لا يقابل بدعم معنوي أو مادي دولي، بل يتم محاربته كإرهاب، خاصة إن لم يكن التغيير على هوى النظام الدولي، وهو ما يعطي الحكومة شرعية وأد الحركات العنيفة. وانطلاقاً من نظرية تعدد مصادر القوة فإن الدعم الخارجي للديكتاتوريات يعد شريان حياة أساسياً لتغذية النظام، واستخدام العنف يضمن ديمومة تدفق هذا الشريان، بينما حركة اللاعنف تسعى لأن تخفف أو تعزل الدعم الخارجي عن النظام، لذلك تهتم بأن تظهر أمام العالم كحركة متحضرة.[1]

• يمثل العنف الملعب الأفضل للخصم حيث تتوافر فيه كل إمكانياته، فالنظام يعتمد على المركزية وعلى طاعة الجمهور، وعلى استخدام القمع، ويلعب وفق قواعد تتيح له استخدام هذه الأدوات، ومن ثم فإن الدخول إلى مسرح العنف يعني تفوق الخصم في الإمكانيات وشرعية مقاومة المتمردين، لذلك يعتمد اللاعنف على إجبار الخصم على الدخول في لعبة جديدة وفق قواعد جديدة لا يتقنها، هذه اللعبة هي لعبة اللاعنف. التي تعتمد استراتيجية الجيوجيتسو.[2]

---

[1] تعريف العصيان المدني عند الأكاديمية أنه نشاط شعبي متحضر، يعتمد أساساً على مبدأ اللاعنف وسحب الطاعة، فكلمة مدني ترجمة لكلمة civil، والحضارة civilization، وهو عكس ما يتبادر إلى الذهن أن المدني فقط يعني أنه عكس العسكري. والعصيان المدني هو أحد وسائل حرب اللاعنف.

[2] يخلق الصراع السياسي باستخدام وسائل الكفاح اللاعنيف في مواجهة القمع العنيف وضعاً خاصاً يتسم فيه الصراع بعدم التناسق، وبالتالي يستخدم مقاومو حركة اللاعنف هذا اللاتناسق بين وسائل اللاعنف في مواجهة الفعل العنيف في وضع خصومهم في وضع سياسي مشابه لما يحدث في المصارعة اليابانية، فهذا التفاوت بين أسلوبي الفعل – اللاعنف في مواجهة العنف – يفقد الخصم توازنه السياسي مما يجعل آلية القمع ترتد عليه وتضعف قوته. وبالحفاظ على المسار اللاعنيف خلال المضي قدماً في الكفاح تزداد قوة المقاومين، هذه العملية تسمى "سياسة جيو-جيتسو".

وتتسبب سياسة المصارعة اليابانية في زيادة عزلة النظام على مستويات ثلاثة:

– حيث تزيد عزلته عن أعضائه،

– وعن أفراد الشعب المتضررين مباشرة من القضايا التي يدور حولها الصراع،

– وعن الأطراف الثالثة (عموم الناس والمجتمع العالمي) التي لم تتورط بشكل مباشر في الصراع، وقد تؤدي هذه العزلة إلى زيادة المعارضة الداخلية في معسكر الخصم، كما أنها قد تزيد من عدد المقاومين بما يضمن بقاء المقاومة، كما أنها غالباً ما تؤدي إلى تحول الأطراف الثالثة إلى مواجهة الخصم وتأييد المقاومين.

ومصطلح لـ "جيو-جيتسو" (Jiu Jitsu) مفهوم ياباني يعني "الفن الناعم"، وهو طريقة للدفاع عن النفس نقلها البحارون منذ قرن تقريباً إلى أوروبا، وتعتمد أساساً على مبدأ الانتصار عن طريق التراجع والتخلي التكتيكي "Siegen durch Nachgeben" حيث يتم من خلال ذلك استغلال هجوم الخصم واندفاعه وطاقته التي استنفذها واستعملها لتوظيفها ضده.

سؤال مهم: هل يمكن استخدام القوة البدنية في إطار اللاعنف؟

يفضل عدم استخدام القوة البدنية (على المستوى الاستراتيجي حيث قد تتطلبها الضرورة التكتيكية أحياناً) في أنشطة حرب اللاعنف للأسباب التالية:

- أنها تعزل قطاعات كبيرة من المجتمع، كأولئك الذين لا يتمتعون بقدرات بدنية، وبذلك يتحول النضال إلى صراع محترفين ذوي قدرات خاصة، وليس صراعاً شعبياً، يستطيع الكل المشاركة فيه.
- يعزل النساء والأطفال والعجائز عن المشاركة، وبذلك تخصم حركة اللاعنف من رصيد المقاومين.

الأساس السابع: النظرة للممكن والصواب

أولاً: النظرة للممكن وغير الممكن

وتتطلب هذه النظرة تحريراً للعقول، وإعادة التفكير فيما اعتادت أن تعرفه بالممكن وما ألفت أن تسميه مستحيلاً، لأن مسئولية الفرد تجاه مجتمعه ومطالبته بحقه الطبيعي في تلبية نداء الضمير يؤكد على وجوب مقاومة النظم الديكتاتورية، وعدم السماح لها بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا، أو أن تملي علينا ما الذي يمكننا أو لا يمكننا عمله.

إننا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال ما نتصوره ممكناً أو غير ممكن، غير أنه من خلال **أنشطتنا فقط** تتأكد لدينا إمكانية الفعل أو استحالته. فعلى سبيل المثال من المنطقي والطبيعي أن تكون السلطة أو الحكومة وحدها هي القادرة على تحديد أي الأسلحة تنزع وأيها يدمر في مفاوضات نزع السلاح، ولكن عندما يقوم عمال مصانع الأسلحة

ولا يعتمد فن "الجيو-جيتسو" على القوة للسيطرة على الخصم وضربه حتى الموت أو الاستسلام؛ بل إنه صُمم لمواجهة الخصم الذي يفوقك في القوة البدنية والعضلية.

من نشطاء العصيان المدني بإبطال فعالية هذه الأسلحة أو نزعها بأنفسهم تتغير حينها قناعاتنا حول من بإمكانه أيضاً أن يقوم بالعمل الذي ترفض الحكومة القيام به. فأشياء تبدو لأول وهلة أنها مستحيلة لكنها تحدث، وأمور تبدو في يد النظام وحده، لكن مجموعة بسيطة تستطيع أن تثبت عكس ذلك. كذلك عندما قررت مجموعة من القضاة في مصر في الانتخابات البرلمانية 2005 الحيلولة دون تزوير الانتخابات، فإنها غيرت نظرة المعارضة للممكن وغير الممكن، حيث إن قرار منع التزوير كان يُعتقد أنه منحة من الحاكم، لكن مجموعة من القضاة الذين يشرفون على الانتخابات، يثبتون أن القوة موزعة في أماكن متعددة، وأنهم قادرون على توصيل رسالة "إننا قادرون على الفعل".

إن واجب حركات اللاعنف أن تعيد تعريف القوة، وهذا لا يتم بنشر الأفكار والكلمات فحسب، بل بالأفعال الجريئة التي تثبت عملياً أن القوة موزعة في المجتمع، مما يزيل الغشاوة من أعين الناس، ويبطل فعل برنامج سلب العقول الذي يسيطر على الأذهان، ويحجب الرؤية عن الأبصار.

ولكي نتمكن من رؤية الواقع أقرب ما يكون للحقيقة، وتصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما؛ فلابد من إخضاعه للتجربة، وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عدمها. ولا ينبغي أن تكتفي حركات التغيير بانهزام الإرادة والتسليم لإيهامات الخصم بأن كل شيء في قبضته وأنها يجب ألا تتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها أو توهمت وجودها.

ثانياً: النظرة للصواب والخطأ

وبالمثل فإن رؤيتنا التقليدية لما هو صحيح وما هو خطأ تتحكم بسلوكنا إلى حد كبير، فطاعة القانون مثلاً وعدم تخريب الممتلكات مبدآن أخلاقيان متجذران في ثقافة المجتمع، ولكن

حين يقوم نشطاء البيئة في أوروبا بتفكيك الآلات المضرة بالبيئة والتي يحميها القانون – أي يحمي الإضرار بالبيئة وتخريب الطبيعة – سيكون من المعقد جداً أن نفهم هذا التعارض بين القضيتين. ماهو الصواب وما هو الخطأ. وعندما تقوم حركة العصيان المدني بالدعوة إلى الامتناع عن دفع الضرائب، فإنها لا تدعو لعمل غير أخلاقي – رغم أن ظاهره قد يبدو كذلك، فقد يكون الهدف من وراء هذا الامتناع هو إيقاف عمليات الرشاوى والفساد التي تتم تحت مظلة "الضرائب".

قد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات حرب اللاعنف، لكن هذه الأخلاقيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير ممكن، وما هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقناعات للتجربة بالحوار مع الخصم، ومن ثم كل المجتمع، عن طريق أنشطة واستراتيجيات حرب اللاعنف.

الأساس الثامن: تشجيع المبادرات وحرية الاختيار

لطالما تمكنت قلة لم يكن أحد يعبأ بها من تغيير وجه العالم، لم يكن كثيرون يتوقعون أنها قادرة على إطلاق شرارة التغيير. لذلك تؤمن حرب اللاعنف بدور القلة في إطلاق مشروع التغيير، وأهمية تشجع المبادرات، كما أنها تؤمن بالتجربة كخير لغة لاستنطاق الواقع واكتشاف مساراته الفعالة. لكن ما الذي يجعل هذه القلة لا تقود التغيير بروح المستبد الذي يقيد حريات الآخرين، ويدفعهم قهراً لتبني مبادرته. هنا تأتي فكرة المجتمع الحر لتضبط فكرة القلة الجامحة.

إن حرب اللاعنف تؤسس للمجتمع الحر، من خلال أنشطتها المتنوعة، فهي تخلق هذا المجتمع – على مستوى صغير– قبل أن يحدث التغيير، من خلال فهمها لفكرة الحرية، التي تتشكل مع كل ممارسة على مسار التغيير.

فالقلة المبادرة تدعو ولا تُكره، تدعو الناس إلى فكرتها، ولا تكرهها عليه، والإكراه قد يكون من أجل تبني قضية بعينها، أو اعتماد وسيلة ترفضها الغالبية، هنا تتحول هذه القلة إلى آلة استبداد تقول للناس "إما معي أو ضدي"، و"إما معي بالطريقة التي نريد أولا ".. وهذا نوع من القهر واستباحة الإنسان لا يصح لدي من يبشر بالحرية، فهل نبشر لحرية بشروط؟! أن تخدم أغراضنا نحن؟!

التصويت الميداني

لذلك تعتمد حرب اللاعنف على التصويت الشعبي الميداني للوسيلة. فهي تشجع القلة على المبادرة، لكنها تحترم القبول الشعبي لمبادرتها. فإن استجاب الناس لها ودعموها ولو معنوياً بوركت الوسيلة، وإن لفظها المجتمع وأنكرها تم استبعادها، هذا هو التصويت الميداني.. وهو يضمن ألا تقوم قلة بقهر الناس على شيء، فالإكراه مرفوض سواء كان من قبل السلطة أو قلة

مقاومة تحاول أن تجبر الناس على نمط معين من الحركة... فهذا يضرب فكرية الحرية في مقتل... حرية الاختيار.

مفاهيم خاطئة

هناك سلسلة واسعة الانتشار من المفاهيم الخاطئة والوعي المغلوط بطبيعة الكفاح اللاعنيف، وقد أدى ذلك إلى تشويه فهم هذا النوع من الكفاح، وسنحاول معالجة بعض هذه المفاهيم في النقاط التالية:

- هناك اعتقاد شائع بأن العنف هو الطريق الأسرع لتحقيق النجاح، واعتقاد آخر بأن الكفاح اللاعنيف يستغرق وقتاً أطول، وكلا الاعتقادين غير صحيح على إطلاقه. فالعنف لم يحقق دائماً نتائج سريعة، وتجربة مقاومة التمييز العنصري المسلحة في جنوب أفريقيا خير شاهد. وكما أن العنف قد يحدث أحياناً نتائج أسرع، إلا أن اللاعنف كذلك حقق نجاحات سريعة في أحيان كثيرة. ففي خلال شهور تمكن المعلمون النرويجيون في عام 1942 من إجهاض أول محاولة لنظام "الكويسلينغ" لإقامة دولة فاشية، وطُرد ديكتاتوريو "سلفادور وجواتيمالا" في عدة أيام، ونجحت المقاومة الاقتصادية في المدن الأمريكية بشكل سريع في تقليل استئجار الأمريكيين من الأصل الأفريقي. وتعتمد سرعة تحقيق الإنجازات على عدة عوامل منها قوة القائمين على حركة اللاعنف. ويظل السؤال ما هو هذا المنتج المطلوب؟ وما هي هذه النتيجة المرجوة؟ وهل العنف هو الكفيل بتحقيقها أم اللاعنف؟
- يغلب الاعتقاد بأن الكفاح اللاعنيف يعبر عن الضعف، وأنه حيلة العاجز، وأنه يعني الخضوع والانبطاح واللاصراع، والحقيقة أن حرب اللاعنف ليست سلبية، وليست تراخياً أو لاحركة، كما أنها لا تتجاهل وجود الصراع، أو تحاول تجنبه؛ بل تسعى لإيجاد حلول فاعلة، وتركز على تهديد قبضة الديكتاتور على مصادر القوة، عبر استخدام أسلحتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية.

• لا يحتاج الكفاح اللاعنيف إلى قائد يسحر الجماهير. وإن كان غاندي يمثل القائد الكاريزمي؛ فإن حركة اللاعنف تطورت عبر التاريخ لنشهد تجلياتها في حركة "أتبور" في صربيا في عام 2000، حيث لا توجد قيادة مركزية، ويتم الاعتماد على مجموعات العمل. لذلك لا يشترط أن تقود هذه الحركات مجموعة من القديسين أو الفاشيين أو القادة الكاريزميين.

• لا يشترط التغيير اللاعنف وجود قيادة مركزية تخطط وتقود الحراك التغييري، فحرب اللاعنف انتصرت تاريخياً بالمركزية واللامركزية، ولكل منهما إيجابياته وسلبياته. اللامركزية تخلق مجتمعاً متمرداً يصعب بسهولة أن يسحره لاحقاً قائداً جماهيرياً، فقد اعتاد المجتمع أن يقود نفسه، وأصبح على ثقة بأ، المبادرات الحرة هي التي تدفع عجلة التغيير. لكن اللامركزية في ذات الوقت قد تضيع بعض الفرص، وقد تطيل أمد الصراع وتؤخر الانتصار. على العكس نجد المركزية يمكن أن تقلل في وقت الصراع، لكنها قد تكرس السلطة في أيد القيادة الجديدة برضا جماهيري. إذ يعتبرون تلك القوى هي المنقذ الذي أدار لهم المعركة. كما يمكن خفض سقف أهداف مشروع التغيير من خلال تفاوض الخصوم مع القيادة المركزية.

• ظاهرة الكفاح اللاعنيف عابرة للثقافات. فهي وإن كانت أكثر استخداماً في الغرب، إلا أننا سنلحظ وجودها على امتداد الخارطة لتشمل قارات العالم.

• لا يتطلب الكفاح اللاعنيف معتقدات دينية محددة، على الرغم من أنه قد يُمارس في بعض الأحيان بدوافع دينية.

• يظن البعض أن اللاعنف معتقد ديني، وهو يمثل في الواقع ظاهرة مختلفة تمام الاختلاف عن مبادئ اللاعنف الديني أو الأخلاقي، فهو لا يعني التسامح، ولا يعني أن من يضربك على خدك الأيمن تدير له خدك الأيسر، إنه استراتيجية صراع، تتعامل مع الخصم الأقوى، وتسعى

للإطاحة به عبر عزل مصادر القوة عنه. وإدراك هذا الاختلاف لابد أن يكون واضحاً ولا يُستهان به.

- يستخدم اللاعنف في الصراع بين الدول، وداخل النقابات، وفي حسم الصراعات داخل الأعمال والمطالبة بالحقوق، ولا يشترط دائماً أن تكون الحكومة طرفاً فيه.
- على الرغم من شيوع الاعتقاد بأن نجاح الكفاح اللاعنيف مرهون باستخدامه ضد الخصوم الذين يؤمنون بحقوق الإنسان والديمقراطية؛ فقد نجح هذا الأسلوب في مواجهة الأنظمة الوحشية والديكتاتورية مثل الأنظمة النازية والشيوعية.
- يعتقد بعض الأفراد والجماعات أن نجاح الكفاح اللاعنيف مرهون بتعاطف الأنظمة القمعية، ولكن الواقع يؤكد أن هذا الأسلوب استطاع أن يقهر ويدمر أقوى الديكتاتوريات.
- **الحركة واللاحركة[1]**

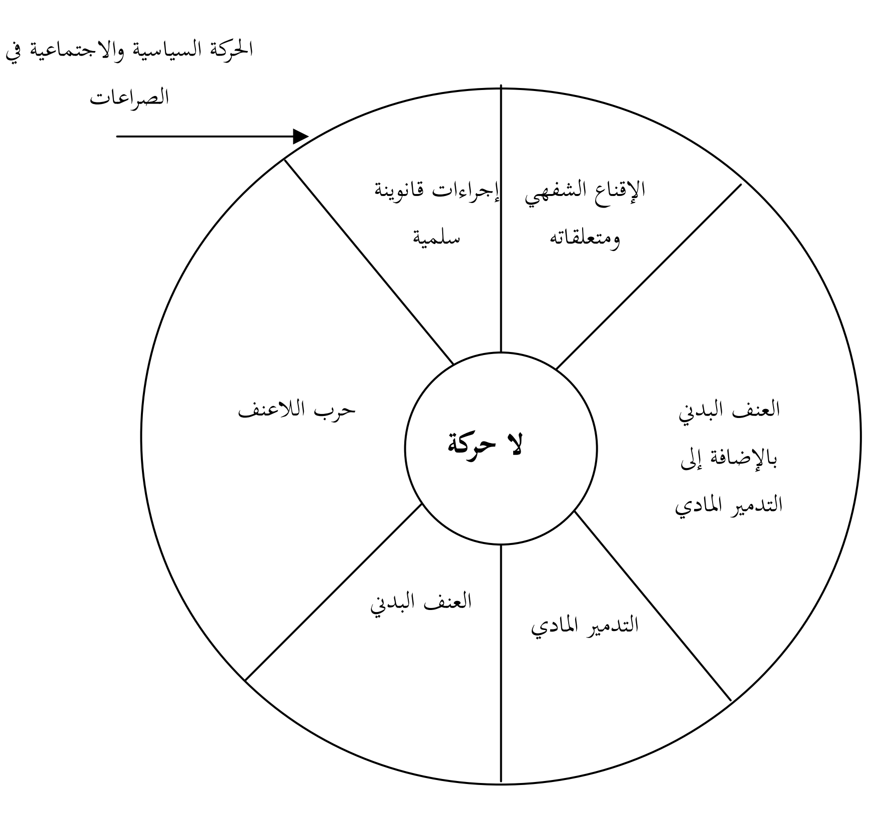
يحول اللبس بين معنى "العنف" و"اللاعنف" و"الحركة" و"اللاحركة" دون قبول الشعوب لحرب اللاعنف في الصراع السياسي مع الديكتاتوريات، وسبب الإشكالية أن الناس تطلق كلمة "العنف" على ما تكره، وكلمة "اللاعنف" على ما هو خَيِّر، الأمر الذي جعل "اللاعنف" مرتبطاً عند كثير من الشعوب بالخنوع والسلبية، ولذلك يجب ألا تقسم الحركات بحسب افتقارها للعنف، بل تقسم بين "الحركة" و"اللاحركة"، فتقسيم الحركات إلى "عنف" و"لاعنف" تقسيم تبسيطي.[2]

---

[1] Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), pp. 64-66.

[2] هناك ستة أصناف أساسية لأشكال الحركة ذكرها جين شارب في كتابه عن اللاعنف:

1. الإقناع الشفهي البسيط والسلوك المتعلق به مثل محاولة الاسترضاء والاستمالة.
2. الإجراءات السلمية القانونية عن طريق التهديد أو استخدام العقوبات.
3. العنف البدني ضد الأشخاص.
4. العنف البدني ضد الأشخاص بالإضافة إلى التدمير المادي.
5. التدمير المادي فقط.
6. أسلوب حرب اللاعنف.



شكل 36: الحركات التغييرية بين الحركة واللاحركة

والنموذج السابق يبين الفارق بين الحركة و اللاحركة، حيث تمثل الدائرة الكبرى الحركة السياسية والاجتماعية، بينما الدائرة الصغرى تمثل اللاحركة، وهنا يظهر جلياً مدى الخيارات الموجودة بين الحركة واللاحركة، والشعب قد يتحرك أماماً أو خلفاً بين أصناف الحركات، ويخلط بين أصنافها الستة بدرجة من الدرجات في الفعل السياسي، لذلك فتصنيف الحراك السياسي والاجتماعي يقع بين "الحركة" و"اللاحركة" ولا يختزل في "عنف" أو"لاعنف".

الخلاصات العملية

- أن تدرك حركات المقاومة الفارق بين المقاومة والاحتجاج.
- أن تستخدم الأساليب المناسبة للخيار الذي اتخذته. سواء كان قراراً بالمقاومة أو الاحتجاج.
- أن تصوغ فكرتها ورؤيتها للمستقبل بما يلهب عواطف الجماهير.
- إقناع الجماهير بأن التكلفة المطلوبة قليلة جداً مقارنةً بالعوائد المتوقعة.
- إقناع الجماهير بقدراتها وإمكانياتها. وإقناعها بقدرة حركة التغيير على قيادة المسار عبر خطة فعالة.
- أن تهتم الحركات المقاومة بتوجيه رسائلها للجماهير.. فهي أداة الحسم الأساسية في حرب اللاعنف.
- أن تقوم القلة لمبدعة بدورها في إبداع المسار وتوفير الأجوبة العلمية.
- أن تقوم المجموعات الجريئة النشطة باختبار المسار وشق الطريق الجديد.
- أن تبتعد المقاومة عن العمل السري، حتى على مستوى الأنشطة.
- أن يكون المسار العام لقوى التغيير يتميز بالابتعاد عن العمل السري، حتى على مستوى الأنشطة.
- ممارسة الفعل المباشر المؤثر.
- استخدام استراتيجية الاقتراب غير المباشر في المراحل الأولى لمفاجأة الخصم من حيث لا يحتسب.
- استخدام استراتيجية الاقتراب المباشر بشكل رمزي وفي الحملات والمراحل الحاسمة.
- أن تضبط الحركات التغييرية حركتها، فلا تنجر وراء دواعي العنف.
- تشجيع المبادرات وإطلاق الحريات.

- الاعتراف بحرية الآخرين في تحديد توقيت وشكل مشاركتهم.

الخاتمة

إننا نسعى بطرحنا في هذا الكتاب "حرب اللاعنف ...الخيار الثالث" إلى فتح آفاق جديدة على بدائل واقعية يمكن استخدامها في معركة التغيير، فلا يكفي للانتصار في معركة الحرية مجرد الدفاع عن الأهداف بقوة وصلابة لفترة طويلة دون تحويلها إلى واقع عملي، فترديد الأهداف لا يعني تغيير الأوضاع القائمة، بل لابد من وجود مسار واضح وفعال.

ولا تعتبر حرب اللاعنف ضماناً للنجاح، بالضبط مثلما لا يعد استخدام العنف ضماناً له، فحرب اللاعنف ليست طقوساً أو تعاويذ تتلى، بل تتشابه مع الحروب العسكرية في احتياجها إلى استراتيجيات وتكتيكات وحسن إدارة للصراع وحشد للموارد، ولا توجد ضمانات بنصر محقق قصير الأجل، لأنها لا تختلف عن الحروب العسكرية التي بدورها لا تضمن النصر المحقق. "فهناك مستلزمات يحتاجها هذا الأسلوب لتحقيق النجاح، كما أن هناك مستلزمات يحتاجها أسلوب العنف لتحقيق النجاح، ومجرد الإحجام عن استخدام العنف وترديد كلمة "اللاعنف" **لا يكفي لتحقيق النتائج المرجوة.**"[1] فإذا لم تهتم حركة اللاعنف بالتدريب واختيار الاستراتيجيات المناسبة، فإن انتصارها سيكون بعيد المنال.

وبالنظر إلى التجارب التاريخية سنجد العديد من تجارب الكفاح اللاعنيف فشلت في تحقيق أهدافها، وأخرى نجحت في تحقيق إنجازات محدودة، وأخرى حققت إنجازات كلية، "**وفي بعض الحالات لم يدم الانتصار طويلاً لأن الناس لم يستخدموا هذا الأسلوب لتعزيز ومأسسة مكتسباتهم، أو لأنهم لم يقاوموا بفاعلية التهديدات الجديدة بشأن حرياتهم، وفي بعض الحالات حققت بعض الحملات نجاحات جزئية، وهو ما كان يتطلب المزيد من الحملات لتحقيق الأهداف الكاملة.**"[2]

1 البدائل الحقيقية، جين شارب.

2 البدائل الحقيقية، جين شارب.

وحتى يؤتي هذا الأسلوب ثماره ينبغي نشر الوعي به، وتجاوز القشور عن فكرة اللاعنف إلى صلب الفلسفة للتمييز بين حرب اللاعنف والأساليب السلمية الأخرى، وينبغي كذلك بذل جهد كبير في محاولة جمع المتناثر عن هذا الموضوع وبلورته في إطار كلي متماسك، حيث تتناثر مفردات هذه الحرب في ملاحم التاريخ، مثل قصص الرومان وهم يستخدمون هذا الأسلوب، ليختزل في أنه الامتناع عن دفع الضرائب مثلاً، مما يجعل من الصعوبة على الفرد البسيط أن يكون إطاراً حقيقياً لحرب اللاعنف فضلاً عن المثقف. لذلك تحتاج حرب اللاعنف إلى رعاية فكرية وحركة ترجمة وتأليف لتتحول تماماً إلى دراسات أكاديمية مثلها مثل العلوم العسكرية.

وتعد إسهامات أكاديمية التغيير في هذا الصدد محاولة لتكوين صورة متماسكة عن هذا الأسلوب عبر كتابات ممنهجة، وبلورته في شكل يسهل فهمه، عبر الكتب المتخصصة في الفلسفة والاستراتيجيات المتعلقة بهذا الأسلوب.

وأخيراً.. فإن هذا الكلام سيجد قريباً صداه بإذن الله، فالتفاح كان يتساقط من الأشجار منذ قرون، حتى انتبه نيوتن واكتشف بسقوط تفاحة قانون الجاذبية، وكانت العبودية مقبولة لعدة قرون كحق وعرف اجتماعي، حتى تغيرت هذه النظرة، ولاشك ستتغير نظرة الحيارى بين خياري الاستسلام والعنف، عندما يدركون روعة هذا الأسلوب وفاعليته.[1]

[1] تحققت بفعل سواعد الشباب العربي هذه النبوءة التي ختمنا ها الطبعة الأولى عام 2007.

ملحق التجارب التغييرية

الثورة الروسية

خضعت روسيا لحكم قياصرة آل رومانوف Romanov الذين مارسوا حكماً (أوتوقراطياً) فردياً استبدادياً بدعم من النبلاء ورجال الدين الأرثوذكس والجيش، ونتج عن ذلك حدوث انتفاضات أبرزها انتفاضة 1905(بعد هزيمة روسيا أمام اليابان)، بسبب كثرة الضرائب وارتفاع الأسعار، ورغم فشلها فقد جعلت القيصر نيقولا الثاني يدعو إلى انتخاب مجلس الدوما الذي تم حله بعد ذلك. واجه القيصر الأحزاب المعارضة بالقمع (الاعتقال والنفي)، فلجأ بعضها إلى العمل السري. ثم كان لمشاركة روسيا في الحرب العالمية الأولى دور كبير في تأزم الأوضاع الداخلية بسبب تعبئة 13 مليون مجند، واستعمال السكك الحديدية، وتراجع الإنتاج الفلاحي والصناعي، وحصول عجز في المواد الغذائية. وفي سنة 1916وصل عدد القتلى 3 مليون وعدد الجرحى 5 مليون، وكان الجنود يفرون من جبهات القتال.

عرفت الثورة الروسية مرحلتين:

أ. مرحلة ثورة فبراير عام 1917 والتي أدت إلى الإطاحة بالنظام القيصري:

حيث بدأت الثورة في 23 فبراير عام 1917 بتظاهر نساء بتروغراد (الاحتفال باليوم العالمي للمرأة)،

ثم تظاهر في يوم 24 حوالي 200 ألف عامل في بتروغراد،

وفي يوم 25 حدث إضراب عام،

وفي يوم 26 احتل المتظاهرون الشوارع بمشاركة الجنود،

وفي يوم 27 تم تكوين السوفييتات (المجالس الثورية)، وتشكلت حكومة برجوازية مؤقتة (برئاسة لفوف Lvov ثم كيرنسكي Kerenski في 7يوليو) من الكاديت والاشتراكيين الثوريين والمناشفة، وكانت حكومة موازية أكثر تمثيلاً للشعب من الحكومة القائمة.

وفي 2 مارس اضطر القيصر إلى التنازل عن الحكم.

وعارض البلاشفة هذه الحكومة (حيث كان معظم زعمائهم في السجن أو المنفى)، خاصة وأن الحكومة المؤقتة لم تعلن الانسحاب من الحرب العالمية الأولى.

ب. مرحلة ثورة أكتوبر التي نجح فيها البلاشفة في إقامة النظام الاشتراكي:

استغل البلاشفة فشل الحكومة المؤقتة في تحقيق مطالب الشعب، ورغبتها في الحفاظ على مصالح البرجوازية، فسيطروا على السوفييتات المحلية، وأعلنوا انتفاضة مسلحة في 24 أكتوبر عام1917، وسيطروا على مقر الحكومة المؤقتة (قصر الشتاء)، وكونوا حكومة بولشفية برئاسة لينين..[1]

[1] لقراءة المزيد عن الثورة الروسية يمكن الرجوع إلى:
- Sidney Harcave, First Blood: The Russian Revolution of 1905 (New York: Macmillan, 1964, and London: Collier Macmillan, 1964).
- Solomon M. Schwartz, The Russian Revolution of 1905: The Worker's Movement and the Formation of Bolshevism and Menshevism, trans. by Gertrude Vakar, with a Preface by Leopold H. Haimson (Chicago and London: University of Chicago Press, 1967), esp. pp. 129-195.
- Richard Charques, The Twilight of Imperial Russia (London: Phoenix House, 1958), pp. 111-139.
- Leonard Schapiro, The Communist Party of the Soviet Union (New York: Random House, 1960, and London: Eyre & Spottiswoode, 1960), pp. 63-70 and 75.
- Hugh Seton-Watson, The Decline of Imperial Russia, 1855-1914 (New York: Frederick A. Praeger and London: Methuen & Co., 1952), pp. 219-260.
- Bertram D. Wolfe, Three Who Made a Revolution (New York: Dial Press, 1948, and London: Thames and Hudson, 1956), pp. 278-336.
- Michael Prawdin, The Unmentionable Nechaev: A Key to Bolshevism (London: Allen and Unwin, 1961), pp. 147-149.

المقاومة الصينية للغزو الياباني

شنت اليابان عام 1894 (بعد مرور عشرين عاماً من حكم الإمبراطور قوانغ شيوي لأسرة تشينغ) حرب 1894–1895 لغزو الصين، وهزمت حكومة أسرة تشينغ، واضطرت إلى التوقيع على معاهدة شيمونوسيكي المذلة تحت الحراب اليابانية، والتي تم بموجبها التنازل عن تايوان. فعمت البلاد من أقصاها إلى أقصاها موجة من الغضب والغيظ إثر سماع الخبر. ورفع أكثر من ألف مرشح –كانوا في بكين للمشاركة في الامتحان الإمبراطوري على المستوى الوطني من 18 مقاطعة بما فيها تايوان– عريضة ضد التنازل عن تايوان. أما في تايوان فقد أعلن الإضراب عن التجارة بطرق الصنوج. وانضم القائد ليو يونغ فو – وهو المسئول عن الشؤون العسكرية في تايوان – وغيره إلى أهالي تايوان ليقاتلوا قوات الاحتلال اليابانية بصورة مستميتة. وقد عبر المواطنون عن تضامنهم في هذا الكفاح بالتبرع بأموالهم أو الذهاب في مجموعات إلى تايوان لمقاومة العدوان الياباني. وظل أهالي تايوان مصرين على القتال ببسالة وإباء أثناء احتلال اليابان لها، حيث أسسوا في البداية جيشاً تطوعياً للقيام بعمليات فدائية، وبعد أن أطاحت ثورة 1911 بحكومة أسرة تشينغ شاركوا إخوتهم على البر الرئيسي في تفجير أكثر من عشر انتفاضات مسلحة، إلى أن وصل الأمر إلى العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن حيث صارت الحركة الجماهيرية على الجزيرة ضد حكم الاستعمار الياباني عارمة على نحو أشد مجتاحة تايوان جنوباً وشمالاً .

واعتباراً من عام 1938 هب الشعب الصيني في حرب وطنية ضد الغزو الياباني، وأعلنت الحكومة الصينية بجلاء وعلى مسمع كافة الجهات محلياً ودولياً في البيان الصيني لإعلان الحرب ضد اليابان عن إلغاء كل ما يتصل بالعلاقات الصينية اليابانية من معاهدات

واتفاقيات وعقود، وقد شمل هذا الإلغاء بطبيعة الحال معاهدة شيمونوسيكي. كما أعلن هذا البيان برزانة أن الصين سوف تسترجع أراضي تايوان وبنغهو والمقاطعات الأربع في شمال شرقي الصين .وإثر حرب الثماني سنوات المريرة ضد العدوان الياباني؛ حقق الشعب الصيني انتصاراً نهائياً عام 1945 استعاد به أرض تايوان المغتصبة.

التجربة الهندية

أُنشئت الشركة البريطانية للهند الشرقية عام 1600، وتمكن أسطولها من تدمير الأسطول البرتغالي عام 1612، وأُقيمت القلاع البريطانية في مدن هندية عدة، كما ضمت جزيرة بومباي عام 1661 وأنشأت كال كوتا عام 1690. وفي عام 1602 أُنشئت الشركة الهولندية للهند واحتلت سيلان. وفي عام 1664، أنشأ الفرنسيون شركة الهند الشرقية . إلا أن السيطرة الفعلية بقيت للبريطانيين الذين عينوا حكاماً على الهند أبرزهم اللورد تشارلز كونواليس (1786 – 1793) الذي منح الأرض للمغول فأمسوا مزارعين وانصرفوا بذلك عن الحرب ومقاومة الاحتلال.

وفي عام 1858 تنازلت شركة الهند عن البلاد للتاج البريطاني. وفي عام 1877 أصبحت الملكة فيكتوريا إمبراطورة الهند، التي تشمل أيضاً برمانيا وسيلان، فانتشر الموظفون البريطانيون في المراكز المهمة كالضباط والقضاة ، وأمسكوا بزمام الاقتصاد.

وفي عام 1869 ولد غاندي الذي أصبح محرر الهند وبطلها القومي قبل اغتياله في 30 يناير 1948.

وخلال الحرب العالمية الأولى ، قدمت الهند للجيش البريطاني مليون وثلاثمائة ألف مقاتل انضووا في الفرق الهندية الشهيرة. وفي الحرب العالمية الثانية ، قدمت الهند مجدداً أكثر من مليونين ونصف مليون مقاتل للجيوش البريطانية.

بعد أن شارك غاندي في المقاومة اللاعنيفة للتمييز العنصري في جنوب إفريقيا رجع إلى الهند وهو يحمل بين جنبيه عبء القضية الهندية، واعتكف في منزله أياماً عديدة يفكر في الاستراتيجية المثلى التي يمكن بها مواجهة قوة الاحتلال البريطاني، وقد قرر عقب التفكير

العميق القيام بحملة لاعنيفة ضد السلطات البريطانية، واستعداداً لهذه الحملة – والتي اشتهرت بحملة عام 1930 – أعد غاندي برنامجاً يتضمن المطالب السياسية بالإضافة إلى خطة واضحة ومحددة للتمرد اللاعنيف الذي تضمن عصياناً مدنياً، كما تضمن رجاءً إلى الحكومة الهندية بعدم التنازل عن حقوق البلاد لسلطات الاحتلال.

وقد ركز غاندي في بداية حملته اللاعنيفة على قانون الملح، وهو القانون الذي كان يفرض على الهنود ضرائب باهظة مقابل الملح، كما كان يجعل إنتاج وصناعة الملح حكراً على الحكومة البريطانية فقط، وانطلاقاً من هذا القانون الظالم انطلق غاندي في مسيرته الشهيرة – مسيرة الملح – نحو البحر ليستخلص الملح بنفسه، ودعا الشعب الهندي إلى الخروج معه إلى ساحل البحر ليمارسوا العصيان المدني من خلال كسر قانون احتكار الملح المفروض عليهم من قبل السلطات البريطانية واستخراج الملح، وقد استغرقت هذه المسيرة ستةً وعشرين يوماً قطع فيها غاندي وأتباعه والمتظاهرون مسافة ثلاثمائة وثمانين كيلو متراً. وقد كانت هذه المسيرة بمثابة الشرارة التي أدت إلى انطلاق الثورة العارمة اللاعنيفة في شتى أرجاء شبه القارة الهندية، فبمجرد انطلاق المسيرة بدأت التجمعات الجماهيرية والاستعراضات الضخمة والخطابات والبيانات الجماهيرية شديدة اللهجة، وقاطع الهنود الملابس الأجنبية، وهجر الطلاب المدارس الحكومية، وتم رفع الأعلام الوطنية، بالإضافة إلى المقاطعة الاجتماعية لموظفي الحكومة، والإضرابات العامة، والاستقالات الجماعية من قبل موظفي الحكومة وأعضاء المجالس والجمعيات التشريعية، كما تم مقاطعة المصالح الحكومية المختلفة بالإضافة إلى شركات التأمين الأجنبية والخدمات البريدية والتلغرافية. وقد رفض الكثير من المواطنين دفع الضرائب المستحقة عليهم. كما قامت المقاومة اللاعنيفة بالهجوم على مصانع ومراكز إنتاج الملح واحتلتها سلمياً، وصادرت الملح الذي كان بحوزة تلك الشركات الحكومية.

وفي أثناء هذه الحملة اعتقلت السلطات غاندي، كما اعتقل مائة ألف هندي منهم حوالي سبع عشرة ألف امرأة تم وضعهم في السجون وفي معسكرات الاعتقال. وإضافة إلى ذلك كانت هناك العديد من الإصابات وعمليات إطلاق النار بالإضافة إلى الرقابة والتخويف والغرامات ومصادرة الممتلكات ومهاجمة ومنع الاجتماعات ومقار المنظمات وغيرها من الإجراءات، وفي كثير من الحالات تم إطلاق النار بشكل مباشر مما أدى إلى مقتل العديد من الهنود. وخلال هذا العام تأثرت الوظائف والعمليات الحكومية بشكل كبير، وعانت الحكومة الكثير بسبب المقاومة. وأخيراً تم الاتفاق على هدنة تم بموجبها الاتفاق على البدء في مفاوضات مباشرة بين نائب الملكة وغاندي..

ولم تكن المفاوضات تعني غاندي كثيراً، بل إن أكثر ما أسعده هو أن هذه القوة التي أظهرها الهنود في مواجهة الاحتلال جعلت الاستقلال الكلي عن بريطانيا أمراً ممكناً، وجعلت المفاوض الهندي يجلس في موقع الندية –إن لم يكن موقع القوة– مع نائب الملكة البريطاني، وهو ما تحقق بالفعل إذ حصلت الهند على استقلالها عن التاج البريطاني عام 1947.[1]

---

[1] لقراءة المزيد عن التجربة الهندية يمكن الرجوع إلى:
- Gene Sharp, Gandhi Wields The Weapon of Moral Power, pp. 37-226.
- S. Gopal, The Viceroyalty of Lord Irwin, 1926 – 1931 (London: Oxford University Press, 1957), pp. 54-122.
- Ranganath R Diwaker, Satyagraha: Its Technique and History (Bombay: Hind Kitabs, 1946).
- T. K. Mahadevan, eds., Gandhi: His relevance for Our Times (Berkeley, Calif.: World Without War Council, 1971, and New Delhi: Gandhi Peace Foundation, and Bombay: Bharatiya Vidya Bhavan, 1967).
- Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

الثورة الإيرانية

كانت إيران تعيش في حالة من الاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واحتقان شعبي شديد، يأخذ مكانه على الساحة في شكل هبات وانتفاضات جماهيرية بسبب الأوضاع الاقتصادية المتدهورة التي يعاني منها غالبية الشعب، رغم الثروة البترولية الضخمة التي تمتلكها البلاد، بالإضافة إلى القبضة الحديدية التي لا تسمح بالمعارضة في ظل حكم الشاه محمد رضا بلهوي، الذي اتبع أساليب عنيفة لتصفية معارضيه بالاغتيال والنفي والسجن، وما يتردد من أخبار عن فساد الشاه وأسرته وإسرافهم وبذخهم الشديد، كل هذه الأمور وغيرها جعلت المعارضة ضد النظام السياسي للشاه تزداد.

وبالرغم من الاختناق العام فإن الساحة الإيرانية لم تخل قط من الحركة، وكانت في معظمها ردود أفعال تقمع بشدة. كانت التضحيات أكبر من المكاسب. ولم يكن لديهم سوى الإضرابات والمظاهرات المحدودة التي تبدو كفقاعات أمام عتو النظام وجبروته. ونشأت الكثير من الحركات السرية التي ربما قامت كل منها بعمل واحد ثم تم تصفيتها. وبينما كانت هذه التضحيات الفردية لا تنتهي؛ كانت الحركات الفكرية تنظم نفسها، وبدأ الحراك الفكري والسياسي يسيران جنباً إلى جنب.

وكان أكثر المعارضين هم العلماء، وعلى رأسهم آية الله الخميني الذي كان يدرس في مدرسة الفياضية في قم، ويحتشد الآلاف لخطبه ومواعظه الدينية، وأسس الخميني "الاتحاد الإسلامي" وكان يرفض كل ما يصدره الشاه، ويرفض كل ما يصدره المجلس النيابي من قوانين أو يصادق عليه؛ لأنه يصدر عن هيئة غير مخولة، ولا تنطبق عليها الصفة الشرعية.

كان الخميني يكرر دائمًا وصية الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لأبنائه: "فلتكونوا دائمًا حماة الضعفاء وأعداء الظالمين"، لذلك حينما قام الشاه بإعطاء الحصانة السياسية للخبراء والمستشارين الأمريكيين، وأعلن عن "الثورة البيضاء" التي تهدف في حقيقتها إلى إخضاع علماء الدين للدولة عن طريق سحب جزء كبير من الأراضي التي يمتلكونها من الوقف، وتهديد كبار الملاك الزراعيين بنزع ملكياتهم، وإعطاء حق التصويت للمرأة، استغل الخميني كل هذا في الدعاية ضد الشاه وسياساته، واتهمه بأنه ضد الشريعة والدستور، وأنه باع إيران للأمريكيين، وكانت المناسبة الأولى التي ظهر فيها اسم الخميني أثناء احتفالات الشيعة بذكرى استشهاد الإمام الحسين في يوم عاشوراء؛ حيث دعا إلى التظاهر والإضراب، واستجابت الجماهير لنداءاته، وانقلبت مواكب عاشوراء إلى تظاهرات عام [1383هـ–1963م] اصطدمت بقوات الأمن، وسقط ألفا قتيل من المتظاهرين، وأظهر ذلك تأثير الخميني البالغ في الجماهير.

وقد نجح الشاه في قمع المظاهرات دون اللجوء إلى قوات الجيش، وتوجه بنداء إلى العلماء ليلتزموا الهدوء، ووعد بعدم المساس بأراضي الأوقاف، وأُلقي القبض على الخميني، ثم أُمر بنفيه إلى خارج البلاد.

لقد استخدم الخميني فتاواه كسلاح فتاك في قضية التثوير، فأصدر فتواه المشهورة: "إن التقية حرام، وإظهار الحقائق واجب مهما كانت النتيجة، ولا ينبغي على فقهاء الإسلام استخدام التقية في المواقف التي تجب فيها التقية على الآخرين... إن السكوت هذه الأيام تأييد لبطانة الجبار ومساعدة لأعداء الإسلام".

وتحولت المساجد والمجالس التي كانت تعقد للعزاء في ذكرى استشهاد الحسين إلى جبهات مقاومة ضد النظام. واستطاع الخميني أن يربط بين خروج الحسين على الظلم وخروج

الشعب الإيراني على الشاه. وكان كثيراً ما يقول: "لقد فات أوان الندم والبكاء على الحسين... ومن أراد أن يلحق به فالفرصة سانحة أمامه".

لقد استفاد الخميني من أن البنية التحتية للشارع الخميني كانت لا تزال دينية. فما يقوله المراجع وعلماء الدين واجب التنفيذ، ووجود عالم دين على رأس الثورة ليس بالأمر الهين في إيران. وكانت المواكب تضم مئات الألوف في كل مدينة ، وارتفعت الشعارات بحياة الخميني وسقوط الشاه.

لقد لقب الخميني باسم "محطم الأصنام" لأنه لم يخاطب الشاه قط بلفظ "صاحب الجلالة" كما اعتاد زعماء المعارضة عند مخاطبته.

لقد نجح الخميني في الاستفادة من المواسم والحفلات والتقاليد الشيعية في تحويل عناصر الشعب المخدرة إلى قوة ثورية.

وبشروق شمس 5 يونيه عام 1963 انتشر خبر القبض على الإمام. واشتعلت المظاهرات تهتف بسقوط الشاه، فأصدر الشاه أوامره بإطلاق النار على المتظاهرين، وداست الدبابات الجثث. وزحف المتظاهرون إلى مبنى الإذاعة واستولوا عليه، وخلال دقائق ولأول مرة يرتفع الشعار ليسمعه العالم كله بعد خمس عشرة سنة من القمع "الموت للشاه".. كانت الجماهير العزل تهاجم الدبابات بصدور عارية، وكان رصاص الشاه يحصدهم وهم يتقدمون.

وبذلك يكون الخميني قد سطر ملحمة الثورة من سبتمبر عام 1963 حتى نوفمبر عام 1964 من خلال التحدي العلني للشاه. فتم نفيه بعد ذلك. وقد ساهم النظام بغبائه وجبروته في تحويل الخميني إلى زعيم عالمي.

ومن 1964- 1971 هدأت حدة المعارضة وبدأ الشباب الإيراني يعد نفسه فكرياً وعسكرياً.. فتدربوا على السلاح في الأردن ولبنان ومصر. وإزاء هذا العمل السري كان النظام يلجأ إلى التصفية الجسدية.

كان الجنوح إلى الحل العسكري يزداد يوماً بعد يوم. وفي أواخر الستينات ظهرت حوالي 6-12 منظمة عسكرية. غير أن منظمتين فقط استطاعتا تنفيذ عمليات عسكرية. وبالرغم من التنظيم الجيد للمجاهدين إلا أن عملياتهم كانت جد قليلة، ولم تكن ناجحة تماماً.

الحياة في المنفى

تم نفي الخميني بعد الأحداث الدموية (1964) بشهور إلى تركيا، وعاش فيها ما يقرب من أحد عشر شهرًا، لكنه اختار بعد ذلك أن يعيش في النجف الأشرف بالعراق، وبدأت الأوضاع تعود إلى الهدوء الظاهري في إيران، وأصبح النجف مركز اهتمام كبير وبؤرة تجمع كل المعارضين لنظام الشاه خارج إيران، تحت زعامة الخميني الذي أخذ في إلقاء الخطب والمحاضرات المؤثرة عن الأوضاع في إيران، فتناقلها أتباعه ومريدوه، ووجدت صدى واسعًا بين الإيرانيين. وكان علماء الدين والمعارضة قد بدءوا في البحث عن وسيلة للإطاحة بالشاه، واختاروا لتحقيق ذلك حرب العصابات منذ مطلع [1390هـ=1970م]، وظهرت جمعيتان ثوريتان هما: "فدائيو خلق" الماركسية، و"مجاهدو خلق" التي يقودها بعض الرجال الذين تعلموا على يد المفكر البارز "علي شريعتي"، الذي يعتبر المنظر الأول للثورة الإيرانية.

وقد حاول النظام العراقي سنة [1394هـ=1974م] الحصول من الخميني على تأييد ديني وسياسي أثناء خلافاته مع إيران، إلا أنه رفض ذلك الأمر، وعندما وقّعت بغداد وطهران اتفاقية الجزائر [1395هـ=1975م] طلب العراق من الخميني السكوت عن معارضته للشاه، وإلا فعليه الرحيل إلى أي مكان آخر، فآثر الخميني السكوت المؤقت حتى تتغير الأوضاع، ثم تكرر

طلب السافاك والشاه بعد عامين لدى العراق بأن يوقف الخميني نشاطاته، فخيرته بغداد بين البقاء صامتًا أو الرحيل، فآثر الثانية، غير أن الشاه أدرك خطورة مغادرة الخميني للعراق وطلب من العراقيين منعه من الخروج. وقبيل هذا الأمر وقعت له مأساة شديدة عميقة تمثلت في اغتيال ابنه الأكبر مصطفى في كمين دبره له رجال السافاك، حيث كان يضطلع بالدور الأكبر في حمل رسائله إلى مؤيديه في إيران.

وتحول الحزن على مصطفى إلى مناسبة ليظهر فيها الناس ولاءهم للخميني وتأييدهم له وعداءهم للشاه، وحاول ألوف الإيرانيين اختراق الحدود العراقية الإيرانية لتقديم العزاء للخميني في النجف الأشرف، لكن الشرطة منعتهم وسقط بعض القتلى، فردوا على ذلك بإقامة المآتم في طهران وبقية المدن الإيرانية، وكثرت الوفود لتعزيته، عندها وجه الخميني رسالة إلى مؤيديه تحت عنوان: "لقد سكبنا ما فيه الكفاية من الدموع"، وطالبهم بتعليمات أربعة، أن يقاطعوا المؤسسات الحكومية، وأن يسحبوا كل أشكال التعاون معها، وألا يسهموا في أي نشاط يفيدها، وأن يقيموا مؤسسات إسلامية في جميع المجالات.

ولأن فتوى العلماء مقدسة كدماء الشهداء، فإن الإيرانيين أخذوا فتواه على محمل الجد والعمل، واتسع نطاق التظاهر داخل إيران، مع تدفق آلاف من أشرطة الكاسيت تحمل صوت الخميني وتحريضه على التمرد والعصيان.

نوفل لوشانو.. والعالمية

أُجبر الخميني على مغادرة العراق، فقرر الذهاب إلى الكويت، فصدر أمر بإغلاق الحدود في وجهه، فعاد إلى النجف ومنها إلى دمشق، ثم توجه إلى باريس في [شوال 1397هـ =أكتوبر 1977م] واستقر في بيت صغير في ضاحية نوفل لوشانو على بعد (20) ميلاً غربي باريس، وأصبحت تلك الضاحية الهادئة مقرًا لقيادته لحين عودته إلى إيران. وفي باريس انتقل

من زعيم محلي إلى العالمية، وكان وجوده هناك نقطة تحول في تاريخه وفي تاريخ بلاده، فسلطت عليه وسائل الإعلام المختلفة أضواءها، وكان يقضي معظم وقته أمام عدسات التلفاز، أو محاوري الصحافة، فخلال ثلاثة أشهر قضاها في باريس أدلى بخمسمائة حديث لوسائل الإعلام، وفي أحد حواراته مع صحيفة "لوموند" الفرنسية تحدث باعتباره زعيمًا مصلحًا ورئيسَ دولة متوقعًا، فأعرب عن وجهة نظره في القضايا المطروحة على الساحة الإيرانية بمنظور عصري؛ وهو حديث يخرج عن نطاق الوعظ والإرشاد والنقد المبهم للفساد.

تمتع الخميني وأنصاره في باريس بحرية كبيرة، ويبدو أن فرنسا تصرفت بناء على وصية سفيرها في طهران، الذي قال: "إن الشاه قد انتهى، وإن صفحته قد طويت نهائيًا"، وأخذت المعارضة تلقي قيادها له، فأعلن مهدي بازركان –أحد قادة الجبهة الوطنية– أن أغلبية الشعب في إيران قد اختارت الخميني ليكون قائدًا لها.

وكانت أشرطة الخميني المسجلة تحرك الشارع ضد الشاه؛ ففي [ربيع أول 1398هـ=فبراير 1978م] خرجت المظاهرات من مساجد "تبريز"، ولم تستطع قوات الأمن السيطرة عليها، فخرجت فصائل من الجيش، وسيطرت على الموقف، وفُرض حصار بري وبحري على المدينة، وزادت حدة المظاهرات في رمضان، وأخذت تطالب بإغلاق المطاعم، والبنوك الربوية. وفي يوم الجمعة [6 شوال 1398هـ=8 سبتمبر 1978م[وقعت مصادمات بين الشرطة والمدنيين سقط خلالها أربعة آلاف قتيل، وسمي ذلك اليوم "الجمعة الدامي"، وأُعلنت الأحكام العرفية، وفُرض حظر التجول، إلا أن المتظاهرين تحدوا ذلك في مدينة قم، وخرجت المظاهرات وسقط أكثر من ألفي قتيل، وأعلن علماء الشيعة الحداد وامتنعوا عن الخطب، وفي هذا الجو المشحون بالمآسي أقام الشاه حفلات باذخة؛ فكانت سببًا في زيادة حدة الغضب الشعبي.

معًا ضد الشاه

تميز صيف عام 1977 بارتفاع شديد في درجة الحرارة وكأن الطبيعة بدورها تمهد للثورة. وكان النظام يستميت في إبداء ثباته، لكنه كان يتخبط. وارتفعت الأسعار وفرضت ضرائب وعم الفساد. ومنذ بداية 1977 كانت نذر العاصفة تلوح في الأفق، وبعد فترة من الصمت بدأت مصادمات في الشوارع بين السافاك والمجاهدين، وتصدى البوليس لخلية كانت تضم 19 عضواً من الرجال والنساء، وكان الرجال يقاتلون ويحوطون النساء داخل دائرة، وتبادلوا إطلاق النار، وتعمدت النساء الانتحار داخل الدائرة بقطع شرايين أيديهن. وكانت الحادثة من الوحشية بمكان وأدانتها حقوق الإنسان في هولندا.

ثم انضم المثقفون بكل ثقلهم لينقدوا بدورهم النظام، وتمخضت حركة المثقفين عن تكوين جمعية الدفاع عن حقوق الإنسان في إيران، وانتشرت الجمعيات الإسلامية وبدأت الإضرابات والمظاهرات، وأضربت كلية العلم والصناعة لمدة شهرين. وكانت كل هذه الأعمال تواجه بالقمع والعنف.

بدأت المظاهرات في الخارج وهي التي فضحت النظام، وأضربت الجمعيات الإسلامية في فرنسا عن الطعام.

وأثناء زيارة الشاه لأمريكا في نوفمبر كانت الجماعات الإسلامية قد أعدت للشاه استقبالاً حافلاً، وقبل وصوله بخمسة أيام بدأ إضراب عن الطعام لفت أنظار وسائل الإعلام الأمريكية، وتقاطر الطلاب الإيرانيون من كل الولايات أمام البيت الأبيض، وبمجرد دخول الشاه حديقة البيت الأبيض روعته مجموعة من الطلبة ملثمة بجوارب من النايلون، واضطرت الشرطة الأمريكية إلى إلقاء القنابل المسيلة للدموع. واشتعلت الصحف الأمريكية بهجمة على الشاه: "المجنون الذي لم يعد أهلاً للثقة".

تجلى وجه آخر للثورة الإيرانية فقد قام التجار بفتح حساب اكتتابي في أحد البنوك لصرف مرتبات الأساتذة عندما رفضت الحكومة صرف مرتبات الأساتذة المعارضين. وحينها تراجعت الحكومة عن قرارها.

نبهت أحداث تبريز المسؤولين الإيرانيين الموالين للشاه إلى ضرورة البحث عن حلول للمشكلة المتفاقمة في إيران، ومن ثم بدأت وسائل الإعلام تجري نقدًا ذاتيًا لمؤسسات الدولة، ولنشاط حزب "رستاخيز" الحاكم، بغرض امتصاص الغضب الشعبي الذي شمل طهران وقم وتبريز، غير أن الشاه تمسك بموقفه الرافض للاعتراف بالمعارضة سواءً المعتدلة أو المتشددة، بل وصفهم بالقتلة الخارجين على النظام، وكان هذا الرفض القاطع منه بمثابة الضوء الأخضر للمعارضة لتتحد ضده، متناسية خلافاتها الجوهرية. كذلك رفض الشاه نصائح الجنرال "ناصر مقدم" مدير السافاك بأن يسمح بتكوين أحزاب، وبالعمل على إجراء انتخابات حرة، وتطهير أجهزة الدولة من الفساد.

دفع هذا التعنت السياسي للشاه إلى مطالبة جميع القوى الوطنية بإسقاطه، وشاركها في ذلك كبار التجار أصحاب البازارات (الأسواق التجارية) التي تضم (250) ألف صاحب محل، وكان هؤلاء التجار يتمتعون بعلاقات متينة مع علماء الدين. والمعروف أن الأسواق كانت تغلق أبوابها في إيران عندما يثور التجار، وأن التجار كانوا يعتصمون في المساجد إذا أرادوا إعلان احتجاجهم في مواجهة السلطة، كما أن الشاه قام بسجن ثمانية آلاف تاجر من أصحاب المحال التجارية؛ لذلك ألقى البازار في إيران بثقله وقوته في كفة الخميني ضد الشاه.

وقد امتدت المظاهرات في إيران إلى أربعين مدينة، وقاطع الطلاب الدراسة، ورفض الخميني إجراء أي حوار سياسي مع الحكومة الإيرانية، فسقطت الحكومة، وكُلف رئيس الأركان "غلام رضا أزهري" بتشكيل حكومة جديدة، وتطرق بعض قادة الجيش في عروضهم لإنهاء

المظاهرات، فاقترح الجنرال "غلام أوفيسي" حاكم طهران على الشاه تدمير مدينة قم، وتوقع أن يكون ضحايا هذا التدمير مليون قتيل، فلم يوافق الشاه على هذا الاقتراح، فترك أوفيسي البلاد.

تدبير الحوادث

قام النظام بتدبير حادثة حرق السينما لتشويه الحركة الشعبية، وكانت النتيجة احتراق أكثر من خمسمائة رجل وامرأة وطفل. وتلكأت الشرطة في عملية الإنقاذ لتزيد من الكارثة، وبعد عدة أيام من الحادث هاجم الناس قسم الشرطة بالفؤوس والمدى مطالبين برأس مدير الشرطة. وكان قد استدعي إلى طهران بعد الحادثة. وقد أدت هذه العملية إلى إفاقة عدد كبير من الذين كانوا مشغولين بحياتهم اليومية.

بعد يوم الجمعة الأسود أراد الخميني أن يزيل هيبة النظام تماماً أمام العالم كله. فدعا إلى الإضرابات حتى وصلت إلى معامل التكرير، فلم يكن تأثيرها محلياً فقط، بل طالت كل بيت في أوروبا الغربية وأمريكا وإسرائيل. فالبترول عصب الحياة.

وكان الخميني يدعو إلى المواجهة بقوة ولكن مع ضبط النفس والصبر لتجنب حرب أهلية. وكلما قام النظام بافتعال حريق ظناً منه أن الجماهير ستسلب وتنهب ليشوه صورة المعارضة، فإذا به يجد الجماهير تستجيب للخميني وتهرع لإطفاء الحرائق دون سلب أو نهب. وقد بلغت قوة الخميني وتأثيره أن صرح لمراسل النيوزويك: "إن جماهير إيران تكتفي بالمظاهرات حتى الآن، لكنها سوف تلجأ إلى وسيلة أشد عنفاً إذا استدعى الأمر، وأنه قادر على سحق النظام وهو في منفاه".

عمت الإضرابات، فكل يوم تعلن شركة في القطاع الخاص أنها ستغلق، وأضرب الفلاحون عن العمل في أراضي الدولة. وأضرب عمال الكهرباء مؤقتاً لمدة ساعتين يومياً وهو الوقت الذي تبث فيه نشرة الأخبار. فمنعوا إعلام الشاه من دخول البيوت. وامتنعت الصحف

فكان امتناعها ترويجاً للثورة. وبذلك نالت الإضرابات من البنية المالية والاقتصادية لنظام الشاه. وأصدر الشاه خطابه الملتهب: "إن كل ساعة من إضرابكم خدمة لله ولدولة الإسلام".

وقد فجر الشاه المفاجأة حينما أمر رجال الدين أن يعينوا الفقراء في هذه الإضرابات لأنهم من أوائل المتضررين، فصرف لهم من الأموال الدينية "سهم الإمام". وهذا يفسر صمود الشعب في إضرابه طوال الأسابيع والشهور. وقام التجار أيضاً بواجبهم في دعم الفقراء على خير وجه.

وفي 25 نوفمبر أصدر موظفو البنك المركزي قائمة بأسماء الذين قاموا بتهريب أموالهم للخارج من النظام.

وبحلول المحرم "الخروج يوم عاشوراء ذكرى استشهاد الحسين" كانت المواجهة النهائية بين الثورة والنظام. فما إن حلت أول ليلة من المحرم حتى ضجت أسطح المنازل بالهتاف "الله أكبر". كل فرد إيراني جمع أسرته وصعد سطح المنزل ليرى الهلال ويكبر. إنه شهر الشهادة والحرية. وبدأ الإلهاب العاطفي الثوري الديني مرة أخرى. فمن يستشهد في المحرم سيحشر مع الحسين وشهداء آل البيت. وصرخ الخميني: "إن شهر المحرم هو سيف الله البتار قد وضع في أيدي أتباع الإمام الحسين، وسوف يضرب كما ينبغي بعونه...."

واستمرت المظاهرات وامتلأت الأرض بالدماء، وانقلبت مسيرات التاسع والعاشر من محرم من مظاهر عزاء على آل البيت إلى استفتاء حقيقي يدين النظام ويخلع الشاه ويؤكد زعامة الخميني ويبايعه.

الخميني والجيش

كان الخميني يدرك أثر الإعلام (رسائله الصوتية) في إشعال الثورة الإيرانية، ولم تكن السافاك تقلقه رغم قوتها وبشاعة أساليبها؛ لأنه يعلم أن (50) ألف عميل من السافاك لن

يستطيعوا مواجهة (35) مليون ثائر، وخلص إلى أن المشكلة الرئيسة التي تعترض نجاح الثورة وإسقاط الشاه هي الجيش، الذي تزيد قواته عن نصف مليون جندي ذوي تسليح جيد وتدريب راقٍ، لذا رأى أنه من الضروري تحييد الجيش في الصراع بين الشعب والشاه، وضرورة تحطيم الروابط القوية بين الجيش والشاه، فخصص جزءًا كبيرًا من إعلامه له، تضمن ألا يخدم الجيش الشاه لأنه طاغوت، في حين أنهم جنود الله المستضعفون، ودعاهم ألا يطلقوا النار على إخوانهم المسلمين؛ لأن كل رصاصة تصيب قلب مسلم تصيب قلب القرآن، ونصحهم بأن يعودوا إلى قراهم ومدنهم وأن يعودوا إلى الله.

وكان لنداءاته أثرها في الجيش؛ فبدأت التقارير تسجل حالات هروب من الخدمة، عندها كثف إعلامه الموجه للجيش، وطلب من الفارين أن يأخذوا أسلحتهم معهم أثناء الهرب لأنها أسلحة الله، فقامت كتيبة كاملة مضادة للطائرات من (500) جندي تعسكر قرب مشهد بالهروب بكامل أسلحتها، فأدى ذلك إلى اتساع نطاق الاضطرابات ولم تستطع الشرطة والسافاك مواجهتها.

وطلب الخميني من الشعب الثائر ألا يصطدم بالجيش تحت أي ظرف، وأعلن صيحته المشهورة: "لا تهاجموا الجيش في صدره؛ ولكن هاجموه في قلبه"، "إذا صدرت إليهم الأوامر بإطلاق النار عليكم، فلتعروا صدوركم، فدماؤكم والحب الذي ستظهرونه لهم وأنتم تسلمون الروح لبارئها سوف يقنعهم؛ فدماء كل شهيد هي ناقوس خطر يوقظ آلافًا من الأحياء".. وكان المتظاهرون يهتفون "أيها الجندي...أنت أخي لا تقتلني".

استخدم الخميني كلمات وتعابير تثير الوجدان وتهز الأعماق، وأدرك نقاط الضعف في الجيش، واستطاع أن يفصل بين الجنود البسطاء والضباط، وبذلك تمكن من نزع سلاح الجيش، بل نزع الجيش من يد الشاه قبل قيام الثورة.

كان العنف الزائد من النظام يقابل بالإضراب السلمي من الشعب، واستمرت الإضرابات أربعة شهور شلت النظام. وأراد الشاه أن يلجأ إلى الطيران وفوجيء بإضراب القوات الجوية وانضمامها إلى الثورة.

العودة منتصرًا

رفض الخميني أية حلول وسط مع حكومة "شاهبور بختيار" الجديدة، ورفع شعار "لا" ليكون شعار الثورة، واستمرت الاضطرابات والمظاهرات العارمة التي قضت على قدرة بختيار على التأثير في الأحداث، وأعلن الخميني أنه سيرفض أية حكومة طالما بقي الشاه، وأنه لن يقبل إلا سقوط نظام الشاه وإقامة جمهورية إسلامية، وأمام ذلك غادر الشاه إيران في [7 صفر 1399هـ=16 يناير 1979م] إلى القاهرة بعدما استولى هو وأسرته على مئات الملايين من الدولارات من البنوك.

وفي [4 ربيع الأول 1399هـ=1 فبراير 1979م] وصل الخميني إلى طهران، وكان في استقباله في المطار ستة ملايين شخص، وأحاطت هذه الجموع بالرجل ذي الثمانين عامًا، وكاد الحب يقتله، فاستقل طائرة هليكوبتر ليكمل رحلته فوق رؤوس البشر الذين احتشدوا لاستقباله. ومع قدومه ذابت الدولة وسلطتها وحكومتها أمام شخصيته، وانضمت بعض وحدات الجيش إلى المتظاهرين، وأعلن عدم شرعية حكومة شاهبور بختيار، وعين "مهدي بازركان" رئيسًا للوزراء، فأعلن بختيار الحكم العسكري، فرد عليه الخميني بإعلان العصيان المدني، وكتب ورقة نُقلت صورتها على شاشة التلفاز الذي استولى عليه أنصاره، فيها: "تحدوا حظر التجول" فتدفق الشعب إلى الشارع، وتصاعدت حدة المواجهات، واستولى المتظاهرون على كميات كبيرة من أسلحة الجيش، فجاء القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال قرباغي إلى الخميني وأعلن استسلامه وحياد الجيش في المواجهات التي تحدث في المدن بين مؤيدي النظامين، وعادت القوات العسكرية إلى

مواقعها، وأعلن الخميني قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعدما استمرت الثورة عامًا كاملاً سقط خلاله أكثر من (76) ألف قتيل، وفر شاهبور بختيار إلى خارج إيران.[1]

[1] لقراءة المزيد عن الثورة الإيرانية يمكن الرجوع إلى: د. إبراهيم الدسوقي شتا، الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر 2/1، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، 1986.

الثورة الفلبينية

تعد الثورة الفلبينية في فبراير 1986 أحد النماذج المثالية للثورة الوطنية اللاعنيفة في الربع الأخير من القرن العشرين. فقد نجحت المقاومة الوطنية في الإطاحة بالديكتاتور فرديناند ماركوس.

لقد تولى ماركوس الحكم في عام 1965. وفي سبتمبر من عام 1972 أعلن فرض قانون الطوارئ وألغي منصب نائب الرئيس كما ألغي انتخابات 1973، وذلك كرد فعل لحركة المعارضة،. وفي نفس العام اعتقل ماركوس زعيم المعارضة بينيجنو أكينو، وأصدر عليه حكماً بالإعدام بدون محاكمة، إلا أنه ظل معتقلاً ولم ينفذ فيه حكم الإعدام. وفي عام 1980 سمح ماركوس لأكينو بالذهاب للولايات المتحدة حيث مكث هناك حتى عام 1983.

وفي 21 أغسطس عام 1983 عاد أكينو إلى الفلبين مرةً أخرى ليقود المعارضة ضد ماركوس، إلا أنه اغتيل في مطار روما لدى نزوله من الطائرة.

وطوال فترة قانون الطوارئ اندلعت احتجاجات متفرقة بسبب قضايا ومواقف متفرقة، إلا أن اغتيال أكينو كان بمثابة الشرارة التي أشعلت الاحتجاجات واسعة النطاق. حيث شارك في تشييع جنازة أكينو ما يتراوح بين أربعة وستة ملايين مواطن فلبيني، وتعددت حركات الاحتجاج بشكل مستمر في الفترة من عام 1983 وحتى عام 1985، فقد اتخذ الجمهور من بعض الأحداث المفصلية مناسبات وطنية، فكانت المظاهرات العارمة تخرج في تلك المناسبات: مثل بداية فرض قانون الطوارئ في 21 سبتمبر، وعيد ميلاد أكينو في 27 نوفمبر، واغتياله في 21 أغسطس.

وفي 23 سبتمبر عام 1985 نظم الفلبينيون في مدينة بوتون وعديد من المدن الأخرى إضراباً شاملاً لمدة يومين احتجاجاً على نظام ماركوس.

ومن المشروعات النوعية التي تميزت بها تلك الفترة قيام جين وهيلد جارد جوس ماير وريتشارد ديتس من الجمعية الدولية للتصالح بتنظيم العديد من الدورات التدريبية للنشطاء السياسيين الفلبينيين على أسلوب المقاومة الوطنية اللاعنيفة، ومن هذه الحلقات الدراسية تشكلت منظمة اللاعنف (أكابكا)، وقد أثرت هذه التدريبات على أسلوب اللاعنف على الأحداث التي حدثت لاحقاً عام 1986.

وتحت الضغط المحلي والدولي، أعلن ماركوس في أواخر عام 1985 عن إجراء انتخابات مفاجئة في 7 فبراير عام 1986، واختار قادة المعارضة كورازون أكينو مرشحة للرئاسة وسلفادور لوريل مرشحاً لمنصب نائب الرئيس. وكانت الشكوك تحيط بنزاهة الانتخابات منذ البداية على الرغم من سماح ماركوس لمتطوعين من النامفريل ولمراقبين أمريكيين بمراقبة الأحداث. وفي يوم الانتخابات شكل عمال النامفريل المدرَّبين على أسلوب اللاعنف حواجز بشرية للحيلولة دون محاولات سرقة صناديق الأصوات، كما نظمت أكابكا تجمعات للصلاة والتدريب على أسلوب اللاعنف. وفي 9 فبراير أعلن ثمانية وثلاثون من عمال الكمبيوتر احتجاجهم على تعمد إذاعة نتائج خاطئة تشير إلى تقدم ماركوس، وأعلنت الجمعية الوطنية الفلبينية فوز ماركوس، الأمر الذي عارضته عديد من المؤسسات والأفراد. وأعلن كل من ماركوس وأكينو فوزه بالرئاسة، ومن هنا بدأت الثورة.

ولعبت الكنيسة الكاثوليكية دوراً أساسياً في الثورة، ففي 13 فبراير أعلن الأساقفة الكاثوليك أن الانتخابات مزورة ودعوا إلى شن كفاح لا عنيف من أجل العدالة. وأعلن الكاردينال سين كبير أساقفة مانيلا أنه يعتبر نفسه قائداً للقوات الفلبينية غير المسلحة. وفي 22 فبراير

أعلن وزير الدفاع جوان بونس أزيل ونائب رئيس الأركان منديل راموس تمردهما واعتصما داخل وزارة الدفاع. وطلب أجابينو – شقيق بينيجنو أكينو – والكاردينال سين من مواطني مانيلا إرسال الطعام لقوات التمرد والخروج إلى الشوارع لقطع الطريق على تحرك القوات المعادية، وكان هذا هو بداية الثورة الشعبية.

لقد تدفق الآلاف إلى ميدان ابيفانيو دي لوس سانتوس، وأحضروا الطعام والمشروبات وأجهزة الراديو للمتمردين، واتخذ التجمع مظهراً احتفالياً، حيث رفرفت الأعلام وراح الحشد يغني النشيد الوطني الفلبيني الشهير"بايان كو".

وفجر يوم الأحد 23 فبراير توجهت قوة عسكرية معززة بالدبابات والعربات المدرعة نحو معسكر المتمردين، إلا أن الآلاف من المتظاهرين سدوا أمامها الطريق وأجبروها على التوقف على بعد ميل، وهدد قائد القوة ارتيميو ناديار بإطلاق الرصاص إذا لم يخل المتظاهرون الطريق، إلا أن الحاجز البشري الضخم ظل في مكانه واضطرت القوة في النهاية إلى الانسحاب دون إطلاق النار، وقدم المتظاهرون الطعام والشراب لجنود القوة، وأعطاهم البعض الزهور أيضاً. وفي صباح الإثنين، وبينما كان ماركوس يوجه خطاباً عبر التلفزيون الحكومي استولى المتمردون على محطة التلفزيون وأوقفوا إذاعة الخطاب.

وخلال الفترة من 22 إلى 25 فبراير أعلنت عديد من الوحدات العسكرية تمردها، وقاد رودلفو بيازون قائد إحدى الفرق العسكرية قوة من ستمائة جندي للانضمام إلى راموس وأزيل. وصدرت الأوامر لإحدى فرق مكافحة الشغب للهجوم على معسكر المتمردين في فجر يوم الإثنين، إلا أنها أعلنت تمردها أيضاً. وفي نهاية تلك الفترة، كان ما يقرب من 80% من القوات المسلحة قد أعلنت تمردها.

وفي صباح الثلاثاء 25 فبراير أدت أكينو قسم تنصيبها رئيساً للفلبين وسلفادور نائباً لها بشكل رمزي. وفي نفس الوقت، كان ماركوس يؤدي قسم الرئاسة في احتفال مراسمي ضخم ولكن بدون أي دعم شعبي يذكر.

وبناء على نصيحة الولايات المتحدة هرب ماركوس إلى قاعدة كلارك الجوية الأمريكية في الفلبين في تلك الليلة. وهكذا منحت الأغلبية الواسعة ولاءها للرئيسة أكينو أكثر من ماركوس، وكان انتقال الولاء من مصدر سلطة وشرعية إلى آخر هو المفتاح الأساسي لنجاح تلك الانتفاضة السلمية. وهكذا تمت الإطاحة بالديكتاتور ونجحت الثورة الشعبية بالوسائل اللاعنيفة.

التجربة الفرنسية في الجزائر

كان ديغول يعلم أن جنرالات الجيش لا يريدون الانسحاب من الجزائر، لذلك تحدث عن السفينة وهي فرنسا، وعن الجبل الجليدي وهو الجيش باعتبار المواجهة بينهما على وشك الحدوث. وبالفعل كان أن تعرض ديغول لأربع محاولات اغتيال من قبل المستوطنين الفرنسيين أثناء زيارة قام بها للجزائر في أعقاب صدور قرار الانسحاب، ناهيك عن قيام هؤلاء بأعمال عنف واضطرابات عنيفة، حتى أن الاستفتاء العام الذي هدف لقياس مدى تأييد الرأي العام الفرنسي لخطة الانسحاب والذي بين وجود 72% من الفرنسيين المؤيدين لخطة الانسحاب لم يُثنِ المستوطنين وضباط الجيش عن مواقفهم المعارضة، حتى أن الضباط الفرنسيين استمروا في توجيه الضربات إلى جيش التحرير الجزائري، إلى أن صدر قرار الانسحاب، وتم إجلاء هؤلاء الضباط الذين قاموا في أبريل 1961 – كرد فعل على قرارات ديغول – بقيادة انقلاب عسكري هدفه الإطاحة بديغول وإقامة حكم جديد في فرنسا يكون ملتزماً بمواصلة السيطرة الفرنسية على الجزائر. وهكذا قامت المواجهة بين فرنسا والجيش، وفي الثالث والعشرين من أبريل 1961 وجه ديغول دعوة للجنود مفادها عدم الانصياع لأوامر الجنرالات الذين كانوا من بين مؤسسي التنظيم السري في صفوف المستوطنين والمسمى اختصاراً بـ (OAS) والذي كان يسعى لوقف الانسحاب من الجزائر، كما أعلن ديغول حالة الطوارئ والتي تمتع على إثرها بصلاحيات شبه ديكتاتورية، وبعد مرور شهر على فشل مؤامرة الانقلاب بدأت مفاوضات السلام بين فرنسا وحركة التحرير الوطني الجزائري، في حين استمر الجيش السري الفرنسي في القيام بعملياته الإرهابية المدعومة من المستوطنين، مما جعل الحكومة تصدر أحكاماً بالسجن على حوالي خمسة عشر جنرالاً وأكثر من مائتي ضابط بالإضافة إلى عدد من أحكام الإعدام الغيابية.

تجربة جنوب إفريقيا

اتبعت حركة مناهضة سياسات التمييز العنصري في جنوب أفريقيا طوال الخمسينيات عديداً من أساليب الكفاح الوطني. ففي عام 1952 أعلن المؤتمر الإفريقي عن شن (حملة تحدي) نظم خلالها عدداً من هذه الأساليب طوال حقبة الخمسينيات. وقد تضمنت هذه الحملة حملة لمقاومة سياسة التمييز العنصري في مجال التعليم في الفترة من 1953 . 1955، وحركة مقاطعة الحافلات في الفترة من عام 1955 وحتى عام 1959 احتجاجاً على انخفاض الأجور، وقد أحرزت حركات مقاطعة الحافلات في مقاطعات ايفاتون والكسندرا وجوهانسبرغ نجاحاً شجع مواطني جنوب إفريقيا على الاستمرار في الاحتجاجات الوطنية.

وقد حدثت أول مقاطعة للحافلات في بلدة ايفاتون في عامي 1955 و1956، ففي خلال تلك الفترة احتج آلاف العمال السود على رفع سعر تذاكر ركوب الحافلات، وقاطع هؤلاء العمال الحافلات، وكانوا يذهبون إلى مواقع عملهم ويعودون كل يوم مشياً على الأقدام، وقد تعرض هؤلاء لصنوف عديدة من العنف، مثل المضايقات المستمرة والاعتقالات والضرب من جانب مؤيدي النظام العنصري. وانتهت المقاطعة في أغسطس 1956 بعد أكثر من عام، بعد أن أحرز العمال نجاحاً ساحقاً تمثل في عودة السعر القديم للتذاكر، ووضع جدول جديد لمواعيد الحافلات، وموافقة شركة الحافلات على توظيف عمال ايفاتون.

وقد شجع هذا النجاح الأفارقة في جوهانسبرغ على تنظيم حركة مقاطعة مماثلة. ففي ديسمبر من عام 1956 أقدمت شركة بيتلكو التي تدير حركة الحافلات من وإلى مصانع جوهانسبرغ على رفع سعر تذاكر الركوب، وعلى الفور قرر العمال من بلدة الكسندرا على بعد تسعة أميال من جوهانسبرغ مقاطعة الحافلات احتجاجاً على الأسعار الجديدة. ونظم هؤلاء

العمال لجنة شعبية للنقل قررت الدعوة للمقاطعة في 7 كانون الثاني 1957. وسرعان ما انضم عمال آخرون من جوهانسبرغ وبريتوريا والمناطق المحيطة للحركة. وشارك في الحركة ما يقرب من ستين ألف عامل كانوا يذهبون لمواقع عملهم مشياً على الأقدام. وقررت الشركة بعد أيام من تسيير الحافلات فارغة وقف كل خدماتها.

وبعد عدة أسابيع تصاعد التأييد الذي تحظى به حركة المقاطعة، وامتدت الاحتجاجات والمقاطعات إلى بورت إليزابيث وإيست لندن ويوتينهاج وغيرها من المدن. وأبدى بعض البيض تعاطفاً مع العمال وكانوا يصحبوهم في سياراتهم على الرغم من تهديدات الشرطة التي كانت توقف السيارات وتفتشها وتسجل أسماء السائقين.

وكان العمال أنفسهم يفرضون رقابة صارمة لضمان الالتزام بتنفيذ المقاطعة، فكانوا يوقفون العمال المتوجهين لأعمالهم بالدراجات ويفرغون إطاراتها. وكانت الشرطة تشن حملات دائمة على الفنادق الصغيرة في جوهانسبرغ لإلقاء القبض على العمال الذين يبيتون مع أصدقائهم لتفادي الذهاب إلى منازلهم كل يوم مشياً على الأقدام. وقد ألقي القبض على ما يقرب من 14 ألف عامل خلال فترة المقاطعة.

وبدأ القلق ينتاب أصحاب العمل أنفسهم من جراء الإنهاك الجسدي للعمال بسبب اضطرارهم للمشي لمسافات طويلة. وبدأ ممثلون عن أصحاب العمل والحكومة يبحثون عن تسوية للموضوع مع قادة المقاطعة. وقامت غرفة تجارة جوهانسبرغ بدعم الحافلات مالياً حتى يتم التوصل إلى تسوية. وأخيراً انتهت المقاطعة في 15 نيسان 1957 بعد أن أحرز العمال نجاحاً تاماً. فقد تم إلغاء الزيادة في أسعار الركوب والعودة للأسعار القديمة. وفي وقت لاحق تمت مضاعفة ضريبة خدمات النقل المفروضة على أصحاب العمل لدعم وسائل النقل.

وقد ساهمت حركة مقاطعة الحافلات الناجحة في جوهانسبرغ في خلق مناخ من المقاومة الوطنية، وبرز قادة أكفاء من خلال هذه المقاومة. وبالرغم من عدم مشاركة المؤتمر الوطني الأفريقي في حركة مقاطعة الحافلات، إلا أنه دعا على أثر نجاحها إلى مقاطعة الشركات القومية ومنتجاتها. وشهدت أواخر الخمسينيات عديداً من الأنشطة والحركات الأخرى نتاجاً لما أفضت إليه حركة مقاطعة الحافلات من إحساس الأفارقة بمزيد من الثقة بقوتهم وبفاعلية الكفاح الوطني.[1]

[1] Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

التجربة الألمانية في مواجهة الانقلاب العسكري

تمكنت الجماهير الألمانية من دحر الانقلاب اليميني المسلح ضد حكومة "فايمار" باستخدام حرب اللاعنف، وهي الحرب التي انطلقت بدعم من الحكومة الشرعية التي غادرات برلين عقب الانقلاب. وبالرغم من أن هذه الأحداث حدثت دون إعداد أو تدريب محكم إلا أنها لفتت الأنظار. فلقد كان الانقلاب ذاته غير محكم كما كانت المقاومة اللاعنيفة ارتجالية غير مدروسة.

لقد واجهت حكومة "فايمار" صعوبات عديدة أغلبها متعلق بخسارة ألمانيا للحرب العالمية الأولى، مثل الاضطراب الاقتصادي والتخبط العسكري وظهور العديد من المحاولات للثورة على الحكومة. وفي ظل هذه الأوضاع تم التخطيط للانقلاب العسكري من قبل الجناح اليميني. وقد خطط لهذا الانقلاب الدكتور "فولفجانج كاب" ومجموعة من الجنرالات وضباط الجيش.

وفي العاشر من مارس عام 1920 تقدم الجنرال "ليوتفيتز" بإنذار للرئيس "فريدريك إيبرت"، إلا أن الحكومة رفضت هذا الإنذار وأصبح من الواضح أن البلاد على حافة محاولة انقلابية، وفي هذه الأثناء حذر وزير الدفاع "جوستاف نوسكي" الجنرال "ليوتفيتز" من أن الحكومة ستلجأ إلى الإعلان عن الإضراب العام في حالة عصيان الأوامر أو القيام بتحريك القوات العسكرية. وعقب الاجتماع مع مجموعة من الجنرالات أصبح واضحاً أنهم لا يريدون استخدام القوة العسكرية لمواجهة الانقلاب المسلح، وأنهم لا يريدون الدفاع عن الجمهورية.

وفي الثاني عشر من مارس بدأ أنصار "كاب" مسيرتهم من برلين على الرغم من ضعف استعدادهم، وانضم ضباط الشرطة إليهم. وغادرت حكومة "إيبرت" برلين لتقع في قبضة الانقلابيين دون مقاومة في الثالث عشر من مارس، الذين أعلنوا عن تشكيل حكومة جديدة. ورغم ذلك فقد

رفضت جميع المقاطعات والمدن الألمانية إعلان الولاء أو التعاون مع الحكومة الانقلابية الجديدة، وظلت على ولائها وتعاونها مع الحكومة الشرعية التي اتخذت من شتوتجارت مقراً لها.

وفي الرابع عشر من مارس احتلت القوات العسكرية مكاتب جريدتين مؤيدتين للحكومة الشرعية، مما أدى إلى إضراب عام على مستوى عمال المطابع، كما انضم آلاف العمال إلى هذا الإضراب بشكل تلقائي. وفي نفس اليوم نادى أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الاجتماعي الديمقراطي وأعضاء مجلس وزراء الحكومة الشرعية الجماهير للانخراط في الإضراب العام ضد حكومة "كاب" الانقلابية، وهو الإضراب الذي دعمه عمال جميع الأحزاب والهيئات السياسية والدينية، وانضم موظفو الحكومة والمواطنون المدنيون العاديون إلى هذا الإضراب، الذي أدى إلى شلل تام بالبلاد وافتقار حكومة "كاب" إلى الأموال وإصابتها بمجاعة سياسية واقتصادية.

وفي الخامس عشر من مارس رفضت الحكومة الشرعية الاقتراح الذي قدمته حكومة "كاب" الانقلابية المطالبين فيه بالتسوية والوصول إلى حل وسط، وفي هذا اليوم ملأت برلين منشورات تحمل عنوان "انهيار الديكتاتورية العسكرية"، وقد استمر الإضراب في التوسع على الرغم من حالات القتل التي تعرض لها مؤيدو الحكومة الشرعية. وفي نفس اليوم استقال "كاب" من منصبه وغادر إلى السويد تاركاً الجنرال "ليوفيتز" كقائد أعلى للقوات المسلحة، وحدثت مصادمات دامية في العديد من المدن، وفي مساء ذلك اليوم غادر أغلب المتآمرين برلين في ملابس مدنية، كما استقال الجنرال "ليوفيتز" من منصبه الجديد. وهكذا أدى الإضراب العام إلى إسقاط الانقلاب العسكري في أربعة أيام فقط.[1]

[1] لقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

- Wilfred Harris Crook, The General Strike, pp. 496-527.
- Goodspeed, The Conspirators, pp. 108-143.
- Halperin, Germany Tried Democracy, pp. 168-188.
- Eyke, A History of The Weimar Republic, vol. 1, pp. 129-160.

التجربة النرويجية

في عام 1940 احتل النازيون النرويج. وبالرغم من أنها كانت محايدة في الحرب العالمية إلا أن ذلك لم يشفع لها. وبمجرد دخول قوات الاحتلال النازية إلى النرويج وسقوط الحكومة، هرب الملك إلى لندن، حيث أقام حكومة في المنفى. وكان أن قررت الحكومة والشعب المقاومة.

وخلال فترة الاحتلال النازي في الفترة ما بين عامي 1940 و 1945 مارس النرويجيون العديد من تجارب المقاومة الناجحة.. وكان سر قوتهم في اختيار أساليب المقاومة، حين أعلن جوزيف بتربوفين القائد الألماني في النرويج في 25 أيلول 1940 حل جميع الأحزاب السياسية، وأنشأ مجلساً للمستشارين ليحل محل البرلمان النرويجي..

وقد نتج عن هذا الإعلان اندلاع العديد من المظاهرات والاحتجاجات الرمزية، التي تضمنت على سبيل المثال:

. إضراب الرياضيين وتوقفهم عن اللعب.

. استقالة المحكمة النرويجية العليا.

. رفع شعارات مميزة تعبيراً لرفض الاحتلال.

. في 1941 أرسل ممثلون لثلاث وأربعين منظمة تضم سبعمائة وخمسين ألف عضو خطاباً احتجاجياً للحاكم النازي.

. حين حل هذا الحاكم تلك الجمعيات، انتقلت الجمعيات إلى الطور السري.

. كان أهم مواقف المعارضة النرويجية (حركة المعلمين) النرويجيين.

فقد أصدر النازيون أمراً للمعلمين بأن يوقعوا على إعلان يشيد بالحزب النازي، فأصدر المدرسون بياناً معاكساً يرفضون فيه التوقيع والإذعان.

. وشهدت المدارس إضرابات عديدة.

. ورفضت الهيئات التعليمية التعاون مع المحتل.

وحين كثف النازيون حملتهم للسيطرة على المدرسين؛ أعدت منظمة المدرسين السرية قائمة من أربع نقاط تضمنت:

. رفض الانضمام للحزب النازي.

. مقاومة الدعاية النازية في المدارس.

. رفض كل التعليمات الصادرة عن جهات غير مختصة.

. رفض التعاون بأي شكل من الأشكال مع منظمة الشباب الفاشية.

وفي شباط من عام 1942 أصدر القائد الجديد لقوات الاحتلال (فيدكون كوسيلنج) قوانين تتضمن اعتبار كل المدرسين تلقائياً أعضاء في (اتحاد المدرسين) الذي تم إنشاؤه، وأن كل الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة يعتبرون أعضاء في جبهة الشباب المسماة (ناشيونال ساملنج).

وعلى الفور قام قادة المقاومة من المدرسين بتوجيه خطابات فردية لكل مدرس طالبوه بإعلان رفضه لهذه القرارات. ومن بين اثني عشر ألف مدرس استجاب لدعوة المقاومة ما يقرب من عشرة آلاف.

وأرسل أكثر من مائتي ألف من أولياء الأمور خطابات احتجاجية لوزارة التعليم يحتجون على تنظيم أولادهم في هذه المنظمات.

في 20 آذار 1942 قام قائد قوات الاحتلال باعتقال حوالي ألف مدرس تم احتجازهم في سجون محلية. ثم أرسلوا إلى معسكر الاعتقال القطبي في كيركينيس.

وقد بذل النازيون جهوداً كبيرة لإجبار المدرسين المعتقلين على سحب احتجاجاتهم والانخراط في الاتحاد الجديد. ورغم أشكال التعذيب النازي القاسية فقد رفض معظم المدرسين الانضمام إلى طلب المحتل.

في أول نيسان أعلن المدرسون القائمون على رأس عملهم أنهم ملتزمون بالقيام بواجبهم في تدريس الطلاب، ويرفضون الخضوع لأوامر النازية.

أمام صمود حركة المدرسين أعلن الحاكم النازي هزيمته قائلاً: "دمر المدرسون ما كنت أحاول فعله".[1]

---

[1] لقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

- Magne Skodvin, "Norwegian Nonviolent Resistance During the German Occupation," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense, pp., 136-153; Br. Ed.: The Strategy of Civilian Defense, pp. 136-153.
- Tyranny Could Not Quell Them (pamphlet) (London: Peace News, 1958 and Later edition).
- Magnus Jensen, "Kampen om Skolen," in Sverre Steen, general editor, Norges Krig (Oslo: Gyldendal Norsk Forlag, 1947-50), vol, III, pp. 73-105, and Sverre S. Amundsen, gen. Ed., Kirkenes Ferds, 1942 (Oslo: J.W. Cappelens Forlag, 1946).

التجربة التشيكية

أصيب الشعب التشيكوسلوفاكي في الحادي والعشرين من أغسطس عام 1968 بصدمة عندما اقتحمت الدبابات الروسية تحت قيادة حلف وارسو شوارع العاصمة براغ، معلنة شعار القمع والقتل لكل من يريد التغيير. وجاء هذا التدخل إثر إعلان مجموعة أطلقت على نفسها اسم "مؤسسو ميثاق 77" أو "حركة ربيع براغ الإصلاحية من أجل التغيير". وقام بالتوقيع على هذا الميثاق – في 1967/1/7 – حوالي 250 شخصاً، وهم مزيج من الكتاب والمثقفين والأدباء بالإضافة إلى الشيوعيين الإصلاحيين الذين أجمعوا على مطالبة الحزب الشيوعي باحترام حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية السياسية وإعطاء الحريات، بما يتماشى مع دستور وقوانين الدولة الشيوعية ذاتها والتزاماتها الدولية التي قام بالتوقيع عليها النظام الشيوعي نفسه وبمحض إرادته.

أمر الرئيس التشيكوسلوفاكي بعدم المقاومة المسلحة إلا أن الشباب رشقوا الدبابات بأسمال بالية محترقة وأعاقوا حركتها بأجسادهم وتوسلوا للجنود الروس المرتبكين أن يضعوا أسلحتهم وينضموا للتجربة التشيكية.

بنهاية اليوم الأول لقي 23 مدنياً مصرعهم، وقد صور التليفزيون التشيكي الطلبة العزل وهم يواجهون الدبابات السوفيتية، وتم تهريب الفيلم وبثه في أنحاء العالم.

التجربة البولندية

اختارت حركة التضامن في بولندا الأساليب اللاعنفية في شكل الإضرابات والمظاهرات وعدم التعاون والأعمال الرمزية لمقاومة العناصر الشمولية في النظام البولندي. وتُعتبر حركة التضامن أكثر أشكال المقاومة –التي شُنت ضد نظام شيوعي– فعالية على الإطلاق.

وبالرغم من أن الإضرابات الكبرى التي قادت إلى تشكيل (التضامن) حدثت في صيف عام 1980؛ إلا أن هناك سوابق تاريخية مهدت لقيامها. ففي عقود ما بعد الحرب الثانية أعلن العمال البولنديون معارضتهم في شكل إضرابات ومقاطعات للعديد من سياسات الحكومة البولندية. وفي هذا الإطار حدثت إضرابات كبرى في يونيو 1956 وفي ديسمبر 1970 وفي يونيو 1976. وقامت القوات الحكومية بسحق كل هذه الإضرابات. وفي سبتمبر 1976 نشأت لجنة الدفاع العمالية لمساعدة العمال المعتقلين في إضرابات ذلك العام. وكان قيام هذه اللجنة بمثابة خطوة أساسية قادت إلى تشكيل "تضامن"، وقد تولت تدعيم اللجان العمالية، وقدمت النصائح للتضامن – فيما بعد – بخصوص استراتيجيتها التنظيمية. وإحدى الخطوات المهمة الأخرى التي قادت لقيام التضامن تمثلت في قيام لجنة النقابات العمالية الحرة في الساحل التي نشأت في (جدانسك) في 30 إبريل 1978. وساهمت كلتا المنظمتين في تشكيل الخلايا الأولى لحركة التضامن.

وفي يوليو 1980، أعلنت الحكومة عن ارتفاع في أسعار اللحوم. وبالرغم من محاولات الحكومة للحيلولة دون اندلاع إضرابات بالإعلان عن زيادات في الأجور، إلا أن نحو 150 مؤسسة أعلنت الإضراب في يوليو ومطلع أغسطس، وفي 14 أغسطس من عام 1980 أعلن عمال حوض بناء السفن في جدانسك الإضراب احتجاجاً على طرد القائد العمالي أنا

والينتينوتيس. وسرعان ما حذا حذوهم عمال من مصانع أخرى أعلنوا الإضراب لأسباب مماثلة والتضامن مع عمال جدانسك. وشكل المضربون بقيادة ليش واليسا لجنة لتنظيم الإضرابات داخل المصانع تضم ممثلين عن كل مؤسسة مضربة. وأعد هؤلاء قائمة تضم 21 مطلباً من بينها حق العمال في إنشاء نقابات عمالية حرة، وحق الإضراب، وعودة أنا والينتينويتس وليش واليسا للعمل، وحرية التعبير والطباعة والنشر. وأعلنت الكنيسة الكاثوليكية تأييدها للعمال المضربين. وتوجه ممثلون للمصانع المضربة إلى جدانسك، وفي 22 أغسطس صدر أول عدد من نشرة "تضامن" متضمنة أخبار الإضراب.

وفي البداية رفض قادة الحزب الشيوعي الحديث مع اللجنة الممثلة للعمال المضربين، إلا أنه من يوم 22 أغسطس وافق نائب رئيس الوزراء جاجيلسكي على التفاوض. وبدأت المفاوضات في اليوم التالي. وفي 26 أغسطس أصبحت اللجنة الممثلة للعمال تضم ألف وفد يمثلون خمسمائة مؤسسة، وهددت بتنظيم إضراب شامل في الأول من سبتمبر. ونتيجة لذلك، اضطرت الحكومة لتوقيع اتفاقية في 31 أغسطس 1980، وافقت فيها على الاعتراف بشرعية حركة النقابات العمالية الحرة، وعلى الإقرار باستقلالية النقابات والموافقة على حق الإضراب. وبهذا الشكل كان العمال البولنديون قد أحرزوا لأول مرة نجاحاً باهراً في النضال من أجل حقوق العمال.

وفي 17 سبتمبر التقى ممثلون لخمسة وثلاثين اتحاداً نقابياً في جدانسك، وأعلنوا تشكيل التضامن "اتحاد العمال البولندي الحر"، وأبدى ثلاثة ملايين عامل استعدادهم للانضمام إلى الاتحاد. وفي 29 سبتمبر دعا التضامن إلى إضراب تحذيري لمدة ساعة في 3 أكتوبر احتجاجاً على عدم تطبيق السلطة لاتفاق 31 أغسطس بالكامل. وفي10 نوفمبر اعترفت المحكمة العليا في بولندا رسمياً بشرعية التضامن.

وفي أواخر عام 1980 أصبحت "تضامن" تضم ما يقرب من عشرة ملايين عامل. وفي 2 يناير عام 1981 بدأ الفلاحون في رزيسزو إضراباً انتهى بتشكيل "تضامن" فلاحية. وفي 19 مارس اعتدت قوات الشرطة بالضرب على ثلاثة من قادة التضامن في بيدجوسزس. وعلى الفور دعت "تضامن" إلى إضراب تحذيري في 27 مارس لمدة أربع ساعات، وهددت بالدعوة إلى إضراب شامل في 31 مارس إذا لم تقم السلطات بمعاقبة المسؤولين عن الاعتداء، وتم إلغاء الإضراب بعد التوصل إلى تسوية.

وفي أعقاب إضراب "تضامن" في أواخر عام 1981 قرر ياروزيلسكي القائد الجديد للحزب الشيوعي البولندي التصرف بحزم، وأعلن في 13 ديسمبر (حالة الحرب). وتم اعتقال ما يزيد على ألف من قادة التضامن، وأُعلن قانون الطوارئ الذي تم بمقتضاه فرض حظر التجول وفرض الرقابة وحظر الاجتماعات العامة. واقتحمت قوات الأمن المصانع وسحقت الإضرابات، وتم اعتقال آلاف العمال في الأشهر القليلة التالية.

ولم تنجح هذه الإجراءات القمعية في القضاء على "تضامن". وبالرغم من اعتقال عديد من قادتها؛ إلا أن "تضامن" تحولت إلى العمل السري، وشكلت لجنة مؤقتة للتنسيق في 22 إبريل 1982. ونجحت "تضامن" في تنظيم مظاهرات ضخمة في 1 مايو و31 أغسطس 1982، وفي يوليو 1984 صدر عفو عام عن عديد من قادة "تضامن". واستمرت "تضامن" تمارس نشاطها السري بإصدار الكتيبات والصحف وخلق مؤسسات بديلة والدعوة إلى احتجاجات رمزية. وفي 30 سبتمبر 1986، تم تشكيل مجلس مؤقت لها بصفة علنية لتنسيق الأنشطة مع لجنة التنسيق السرية. وبقيت "تضامن" حركة فعالة للمقاومة اللاعنيفة في مواجهة الشمولية

استمرت حركة "تضامن" في العمل السري لمدة سبع سنوات، كان النظام مسيطراً فيها بالكامل في الظاهر، ولكن الأساس الذي بنى عليه النظام سيطرته كان خاوياً متصدعاً.

في صيف عام 1988، انهار الإقتصاد البولندي تماماً، فارتفعت الأسعار بشكل غير معقول، وامتدت الطوابير في كل مكان للحصول على المواد الغذائية، وزادت البطالة على مستويات غير مسبوقة، وانتشرت الإضرابات مرة أخرى بشكل عفوي وموزع في كل أرجاء البلاد، فلم تستطع الحكومة أن تضع حداً لها.

رضخ النظام مرة أخرى فدعا فاليسيا لإنقاذ الموقف، وعرضت الحكومة إعادة الشرعية لحركة "تضامن" بشرط أن يقبل فاليسيا التفاوض مع الحكومة من أجل إنهاء الإضرابات.

في غضون ثلاثة أيام عادت البلاد إلى العمل بشكل طبيعي، وأثبتث الحركة مرة أخرى أن حركة "تضامن" أصبحت حركة سياسية مسؤولة، وقوة سياسية فاعلة لا يمكن تجاوزها أو ضربها.

وفي فبراير بدأت المفاوضات بين الحكومة وقوى المعارضة حول مستقبل بولندا، شارك فيها وفود عن الحكومة والحزب الحاكم، وحركة "تضامن"، والكنيسة الكاثوليكية.

بعد شهرين من المفاوضات المستمرة، وافق الجميع على النقاط التالية:

1. وجود نقابات حرة.
2. وجود صحافة حرة.
3. إجراء انتخابات نيابية نزيهة.

في غضون شهرين من الإعداد المكثف للإنتخابات من كل الأطراف السياسية تمكن مرشحو حركة "تضامن" من الحصول على شعبية كبيرة بين الناس بشكل فاجأ السلطة والقوى الدولية المراقبة للأوضاع في بولندا. فلم يتوقع أحد أن الحركة يمكنها إزاحة الحزب الشيوعي من السلطة عبر صناديق الإقتراع بهذه السرعة.

في 4 يونيو عام 1989 جرت أول انتخابات ديمقراطية منذ أكثر من 60 عاماً من الحكم الشمولي، وتمكن البولنديون من التصويت بحرية لاختيار ممثليهم في الحكومة.

مع إغلاق آخر صناديق الإقتراع في القرى والمدن البولندية، تبين أن حركة "تضامن" حققت ما كان يعتقد استحالته منذ عدة أشهر، فقد استطاعت أن تهزم الحزب الشيوعي البولندي بنسبة بلغت 10 إلى 1.

وهكذا استطاع الشعب البولندي عبر أسلحة اللاعنف إسقاط أكبر الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية.

وقال فاليسيا كلمته المشهورة: "لو فتحوا شقاً صغيراً في تلك الأبواب المؤدية للحرية، لوضعت حذاء الطبقة العاملة في تلك الشقوق، بحيث لن يتمكنوا من إغلاقها إلى الأبد".[1]

[1] Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

التجربة الصربية

تكونت حركة "أوتبور" – "المقاومة" باللغة الصربية – عقب القصف الأمريكي من عشرين طالباً لا تتجاوز أعمارهم الثلاثين عاماً. واستغرقت المرحلة الأولى من تأسيس الشبكة الرئيسة للمنظمة ما يقرب من عام كامل، ولكنها نمت بسرعة فائقة بعد توقف القصف الأمريكي.

انطلقت المجموعة محاولةً كسر الاعتقاد السائد في الشارع الصربي بأن ميلوسوفيتش لن يستجيب إلا للقوة، ولن يتخلى عن الحكم إلا بالقوة، فتبنت المنظمة العمل السري اللاعنيف، وأصبح الانضمام إليها أشبه بالانضمام للجيش، وعبر العلاقات الاجتماعية والدراسية.

بدأت المجموعة أنشطتها في الشوارع من خلال توزيع الأوراق والمنشورات التي تحمل شعارها وبعض الأفكار المحددة البسيطة والواضحة جداً التي تدعو الناس للتفكير في إمكان هزيمة الطاغية بالأساليب اللاعنيفة.

استمرت المنظمة الشبابية في الخروج إلى الشارع لتمارس الاحتجاج بشكل يومي، وكان الطلاب في كل مرة يحاولون الإبداع في كيفية الاحتجاج على سياسات الديكتاتور. ففي ليلة رأس السنة الميلادية أقامت المجموعة احتفالاً عاماً، وقبيل منتصف الليل عرضت فيلماً وثائقياً يحوي صور وأسماء ضحايا الحروب التي ورطهم فيها الطاغية. وفي ليلة الاحتفال بعيد ميلاد ميلوسوفيتش قام الطلاب بإعداد كعكة كبيرة وقسموها إلى عدة قطع وكتبوا على كل قطعة منها منطقة من مناطق صربيا، ورمزوا بذلك إلى تفتت البلاد وسهولة ابتلاع ميلوسوفيتش لكل قطعة بمفردها. وفي يوم تزامن مع خسوف القمر قامت مجموعة في بلغراد بصنع تلسكوب كبير وضعت في نهايته صورة مقلوبة لميلوسوفيتش، ونزلوا للشارع يقولون (انظروا للخسوف التي تريدونه) وهو خسوف ميلوسوفيتش من حياتهم. وهكذا استطاعوا أن يلفتوا أنظار الناس إليهم ليستمعوا لما يقولونه

ويفكرون فيه بعمق، واستطاعوا أيضاً أن يستقطبوا فئة الشباب والطلاب بالذات، مما زاد من حيوية الممارسة النضالية ضد ميلوسوفيتش. وفي البداية استطاع النظام السيطرة على تلك المظاهرات والاحتجاجات بسهولة من خلال الاعتقالات وأساليب القمع المباشر.

عقدت "أوتبور" مؤتمراً في نفس الليلة التي عقد فيها الحزب الاشتراكي مؤتمره العام، ودعت إلى ذلك الاجتماع العديد من الزعامات السياسية والصحفيين الذين قبلوا بالمخاطرة للحضور في اجتماع غير قانوني . حسب ما تعتقده السلطة. وفيه أقرت القوى السياسية مجتمعة بأن "أوتبور" أصبحت قوة حقيقية في الشارع السياسي الصربي، حيث أصبح لها مكاتب في معظم المدن والتي تجاوزت سبعين فرعاً انتشرت في أرجاء البلاد. وقد زاد من شعبيتها تعرض شبابها للقمع والاضطهاد والاعتقال.

حددت المنظمة 3 مطالب في غاية الوضوح:

- إزاحة الطاغية بلا عنف.
- مجانية التعليم الجامعي.
- حرية واستقلالية الصحافة والإعلام.

اعتمدت المنظمة في أنشطتها على الفتية المحليين في وسط الأحياء الفقيرة وفي المدن، وكان الهدف دائماً هو توظيف الاستياء الشعبي الشديد في الأرياف والقرى حيث الفقر والغضب. وبالفعل تحولت المدن إلى مراكز فعالة للمعارضة الشبابية والمقاومة المدنية السلمية. وأصبح أبناء وبنات العمال والفلاحين هم مصدر القوة للمنظمة، ومصدر النشاط والحيوية في شبكة المقاومة اللاعنيفة.

وعقب قيام الدولة بإقفال محطتي الإذاعية والتلفزيون تجمع آلاف المحتجين، وتواصل الاحتجاج لمدة يومين كاملين. وفي مساء اليوم الثاني أقدمت قوات الشرطة على قمع المحتجين بقوة السلاح، مما أدي إلى سقوط العديد من الجرحى من الرجال والنساء.

بعد عشرة أيام نظمت "أوتبور" مسيرات تحركت من المحافظات البعيدة نحو بلغراد، في سيارات نقل وشاحنات ودرجات نارية، وجاء بعضهم مشياً على الإقدام من المناطق القريبة. كان الهدف من المسيرات هو الضغط على قادة المعارضة السياسية السرية والعلنية لكي يوقفوا مشاحناتهم ويوحدوا جهودهم من خلال برنامج عمل موحد، يستقطب أكبر عدد من النشطاء للتصدي لقمع السلطة. وظلت "أوتبور" تضغط على قادة المعارضة السياسية إلا أنهم لم يعطوا المنظمة أهمية كبيرة بسبب حساباتهم الخاطئة المتعلقة بشعبية المنظمة الشبابية. كما كانوا في غاية القلق من نشاطات المنظمة الشبابية لأنها كانت تملأ الفراغ السياسي الذي لم يكونوا قادرين على ملئه.

بعد عدة أسابيع أعلن ميلوسوفيتش عن إجراء الانتخابات العامة قبل موعدها بعشرة أشهر، وكان يراهن على أن المعارضة لن تحسم خلافاتها ولن تكون مستعدة لخوض الانتخابات. وكان مستعداً لاكتساح الانتخابات أو تزوير النتائج من أجل الحفاظ على سلطته ولو بالقوة.

وإزاء هذا الموقف أعلنت المعارضة عن ائتلاف جديد لمنافسة ميلوسوفيتش في الانتخابات ضم ثمانية عشر فصيلاً من فصائل المعارضة السياسية في صربيا. وأعلنت ترشيحها لمنافس واحد ضد ميلوسوفيتش، وتم الاتفاق على محام يقود حزب صغير، أظهرت استطلاعات الرأي أنه أفضل من يواجه ميلوسوفيتش ويلتقي حوله الجميع.

وفي يوم الانتخابات 24 سبتمبر من عام 2000 استطاعت "أوتبور" أن تنتشر ثلاثين ألف مراقب لها في كل المواقع التي كانت بها صناديق الاقتراع، مما أفشل مخططات

ميلوسوفيتش للتزوير، باستثناء بعض المواقع في بلغراد التي كانت تحت سيطرة الحزب الحاكم ولم يتمكن شباب المنظمة من الدخول إليها.

أعلنت "أوتبور" والأحزاب والمجموعات المعارضة النتائج غير الرسمية، حيث بينت أن ميلوسوفيتش قد خسر الانتخابات، فخرجت صربيا كلها إلى الشارع للاحتفال بسقوطه، إلا أن النتائج الرسمية أعلنت عن إعادة الانتخابات لفشل كلا المرشحين في الحصول على أكثر من 50% من الأصوات.

نزلت "أوتبور" وقوى المعارضة للشارع، وحرضت الناس على الخروج والتظاهر في كل مكان، وقادت المسيرات لجان العمل في الأحياء والجامعات والمعاهد، وأُعلن أن الهدف هو: إجبار ميلوسوفيتش على التراجع. ودعوا الشعب الصربي للاستعداد للإضراب العام، فتجاوب عمال المناجم مباشرة بالإعلان عن الإضراب في أكبر منجم يمد صربيا بالكهرباء.

انتشرت الإضرابات وشُلت الحياة على مستوى البلاد، حيث أوقف سائقو السيارات الشاحنات والناقلات والحافلات وسيارات الأجرة آلياتهم في تقاطع الشوارع الرئيسة في المدن، مما شل حركة المرور بالكامل، واتسع الإضراب بشكل غير مسبوق، وكان أمام ميلوسوفيتش خيارين لا ثالث لهما : إما أن يستقيل ويقبل بالنتيجة الحقيقية للانتخابات، وإما أن يستخدم القوة.

استمرت الإضرابات والحشود في المدن لمدة عشرة أيام، وكانت في تصاعد مستمر حتى أصبحت البلاد مشلولة بالكامل، وكان واضحاً أن أغلب الشعب الصربي ضد ميلوسوفيتش. وكثفت المعارضة اتصالاتها بقوات الجيش والشرطة لتحييدها.

وفي الخامس من أكتوبر –أي بعد عشرة أيام من الانتخابات كان خلالها الإضراب العام مستمراً– قادت "أوتبور" جموع الصرب لاحتلال مبنى البرلمان. وبعد ساعات من وصول الحشود

من كل أنحاء البلاد إلى ساحة البرلمان؛ انسحبت قوات الشرطة واستولى الشعب على السلطة، وسقط الطاغية.[1]

[1] Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

تجربة جواتيمالا

حكم الجنرال جورج أوبيكو جواتيمالا منذ عام 1931 بمساعدة الشرطة السرية، وبلغ من البطش والديكتاتورية حداً جعل بعض الصحف الأمريكية تشبهه بهتلر.

وخلال الحرب العالمية الثانية كان هناك الكثير من الجنود الأمريكيين في جواتيمالا التي انضمت للحلفاء. وخلال هذه الفترة عمل الأمريكيون على نشر فكرة وقيم الديمقراطية بين الشباب والطلاب والمهنيين، وكانوا يقولون إن هذه الحرب التي يخوضونها هي من أجل الديمقراطية. وواكبت هذه الأحداث تغيرات أضعفت من موقف أوبيكو، فالقرار الذي اتخذه أوبيكو بالحجز على بعض مزارع القهوة المملوكة لبعض الألمان جعل بعض الداعمين لنظامه يتراجعون أو يسحبون دعمهم له، فتلك القرارات المحلية أدت إلى حدوث اضطرابات بين العمال وبين مجتمع رجال الأعمال، وصادف في تلك الفترة أن تعرض ديكتاتور السلفادور المجاورة "مارتينز" لحملة واسعة من المقاومة اللاعنيفة، وهو ما اعتبره أوبيكو نموذجاً خطيراً ومعدياً يجب الحذر منه، والضرب بقبضة حديدية حتى لا يتكرر نفس السيناريو السلفادوري في جواتيمالا، خاصة وأن موجة الاضطرابات قد بدأت في جواتيمالا أولاً وإن كانت بشكل بسيط.

وفي أواخر مايو من عام 1944 طالب خمسة وأربعون محامياً بعزل القاضي الذي تسبب في تقديم جميع المعارضين السياسيين للمحاكمة، وقد طالب أوبيكو المحامين بتوجيه تهم محددة للقاضي، وكانت المفاجأة أنه تم السماح لإحدى الصحف بنشر هذه التهم.

وفي اليوم السابق للعرض السنوي للمدرسين وطلاب المدارس أمام أوبيكو وقع 200 مدرس على التماس مقدم إلى أوبيكو يطالبونه فيه بزيادة أجورهم، فما كان منه إلا أن ألقى

القبض عليهم ووجه إليهم تهماً متعلقة بالتآمر على المؤسسات الاجتماعية للحكومة العليا، ورد عليه المدرسين بمقاطعة العرض، فما كان منه إلا أن طردهم من العمل.

وفي العشرين من يونيو تم إعلان الوثيقة التأسيسية للحزب الاجتماعي الديمقراطي، والتي نصت على وجوب إنشاء وتفعيل أحزاب المعارضة، ونادت بالعدل الاجتماعي ورفع الإرهاب الحكومي عن الشعب، وبأهمية تضامن وتماسك كل المضطهدين في نصف الكرة الجنوبي. وفي نفس الوقت قدم الطلاب التماساً إلى أوبيكو يطالبونه باستقلالية الجامعة وبإعادة اثنين من مدرسي الجامعة – كان قد تم فصلهما – وبالإفراج عن طالبين من طلاب الحقوق، وتعهدوا بعمل إضراب طلابي إذا لم يتم الاستجابة لطلباتهم.

فأعلن أوبيكو حالة الطوارئ ونعت الطلاب بالنازيين والفاشيين، مما اضطر الكثير من قادة الحركة الطلابية إلى اللجوء إلى السفارة المكسيكية خوفاً من بطش النظام. ورغم بطش أوبيكو إلا أن بعض شباب المحامين وبعض المهنيين رفضوا هذا الإرهاب الذي تمارسه الدولة ودعموا الطلاب، وفي 23 من يونيو أضرب مدرسو المدارس.

وكان أوبيكو قد صرح من قبل بأنه لو طالبه 300 مواطن جواتيمالي بالاستقالة لاستقال فوراً، وفي يوم 24 يونيو قدم شخصان – وهما كاربونيل وسيرانو – مذكرة إلى مكتب الرئاسة تحوي عدد ثلاثمائة وأحد عشر موقعاً على مذكرة تطالب باستقالة أوبيكو، موضحين الأسباب التي دعتهم لمطالبته بالاستقالة، كما طالبوا باحترام الدستور، وبرفع قوانين الطوارئ والأحكام العرفية، وفي نفس الوقت قام الطلاب بتنظيم مسيرة سلمية أمام السفارة الأمريكية مؤكدين اعتمادهم على الوسائل السلمية في مواجهة النظام الديكتاتوري. وطالبوا فيها باستقالة أوبيكو، واستمر هذا التجمع السلمي حتى المساء، وفي الليل هاجمتهم قوات الشرطة والجيش واعتقلت المئات.

وفي اليوم التالي استدعت وزارة الخارجية كاربونيل وسيرانو اللذين قدما المذكرة المطالبة باستقالة أوبيكو إلى القصر الوطني، وانضم إلى الاجتماع الرئيس السابق للشرطة السرية، وبمجرد بدء الاجتماع قامت مسيرة ضخمة أمام القصر الوطني، فعمدت الحكومة إلى وضع الحواجز ونشر فصائل الشرطة والجيش المزودة بالقنابل المسيلة للدموع والذخيرة الحية، بالإضافة إلى سلاح الفرسان والمدرعات والدبابات لتحول بين المتظاهرين وبين الوصول للقصر الوطني، وقد طالب المجتمعون كلاً من كاربونيل وسيرانو بتهدئة الجماهير، ورغم أن الاجتماعات مع قادة المعارضة كانت ممنوعة إلا أنهم وافقوا على أن يجتمع الرجلان بقادة الحركات المعارضة لإيجاد حل لهذه الأزمة.

وفي ذلك اليوم ارتدت النساء ملابس الحداد السوداء، وشرعن في الصلاة في كنيسة سان فرانسيسكو في وسط مدينة جواتيمالا راجيات أن تنتهي هذه الأحداث الوحشية، ثم خرجن في موكب صامت رائع، وما لبثت قوات الشرطة أن وجهت طلقاتها تجاه هذا الموكب وهذا الحشد من النساء، وهو ما أدى إلى سقوط العديد من الجرحى، وقتلت إحدى المدرسات في هذه الأحداث، والتي أطلق عليها الشهيدة الأولى.

وكان رد مدينة جواتيمالا على بشاعة ووحشية النظام الديكتاتوري صامتاً ولكن شديد التأثير، إذ توقف المعارضون عن الحديث أو التفاوض مع الدولة، وأضرب العمال، وأغلق التجار متاجرهم، وأغلق رجال الأعمال مكاتبهم وشركاتهم. لقد كان إغلاقاً اقتصادياً شاملاً أصاب الدولة بالشلل. فقد كان كل شيء مغلقاً، وكانت الشوارع والطرقات مهجورة تماماً.

وبعد أن فشلت محاولات أوبيكو للتفاوض من جديد استجابت المعارضة لطلب الهيئة الدبلوماسية بالجلوس مع أوبيكو وجهاً لوجه والتفاوض معه مباشرة، وفي بداية المفاوضات أخبر مندوبو المعارضة أوبيكو في وجهه : "لم تعرف جواتيمالا شيئاً في عهدك سوى القمع"، ولكن

أوبيكو أصر على موقفه قائلاً: "بأنه لن يسمح بصحافة حرة أو جمعيات وهيئات مستقلة وحرة ما بقي رئيساً للدولة، وأن الشعب الجواتيمالي غير مؤهل للديمقراطية وأنه – أي الشعب – بحاجة إلى قبضة قوية".[1] وقد طرح المعارضون عليه فكرة الاستقالة وفكرة التداول السلمي للسلطة.

ورغم فشل محاولاتهم لانتزاع أي شيء منه إلا أنهم قدموا له مذكرة يستعرضون فيها رغبة الشعب الجواتيمالي في استقالته والأسباب التي جعلتهم يرغبون في استقالته، كما طالبوا في هذه المذكرة مرة ثانية برفع الأحكام العرفية وحرية الصحافة والمؤسسات والهيئات، وبوقف الهجمات والمداهمات التي تشنها الشرطة على بيوت المعارضين وعموم الناس. وإضافة إلى ذلك بدأت الخطابات المطالبة باستقالة أوبيكو تنهال عليه من كبار الشخصيات ورجال الأعمال، واستمر الإغلاق الاقتصادي الشامل. وهكذا بدأت تتحلل قوة الديكتاتور.

وفي الأول من يوليو عام 1944 تنازل أوبيكو عن الحكم لصالح حكومة ثلاثية يترأسها ثلاثة من الجنرالات، وتلا ذلك بشكل فوري نشاط سياسي غير معتاد، إذ بدأت النقابات المهنية والعمالية والهيئات والمنظمات المستقلة في المساهمة في النشاط السياسي، وعاد المنفيون، وقد حاول الجنرال بونسي – أحد الجنرالات الثلاثة – أن ينصب نفسه مكان أوبيكو. وفي أكتوبر واجه النظام إضراباً عاماً وإضراباً طلابياً، ثم خلع الجنرال بونسي من الحكم عن طريق انقلاب عسكري. وبعدها واجهت جواتيمالا أياماً وأحداثاً صعبة.

ورغم أن الانتصار على أوبيكو لم يؤسس لنظام ديمقراطي حقيقي في النهاية إلا أنه كان نصراً حقيقياً للشعب ولطريقته في الكفاح.[2]

---

[1] Ibid., p. 211.

[2] لقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

- Mario Rosenthal, Guatemala: The Story of an Emergent Latin-American Democracy (New York: Twayan Publishers, 1962), pp. 191-214.
- Ronald M. Schneider, Communism in Guatemala 1944-1945 (New York: Frederick A. Praeger, 1958), pp, 5-14.

تجربة جنوب أمريكا

عانى الزنوج السود منذ عدة قرون من ممارسات التفرقة العنصرية والجوع والعنف، فكان لا ينظر إليهم فقط كعبيد يفعلون ما يؤمرون؛ إنما كأداة تُستغل أجسادهم وأرواحهم لخدمة السيد الأبيض، وبالرغم من مرور 100 عام على تحرير العبيد على يد أبراهام لينكولن؛ لم يُسمح للزنوج بشراء ممتلكات خاصة، أو التواجد في أماكن يتواجد فيها نظراؤهم من البيض، إضافة إلى المهانة التي يتعرضون إليها على أيدي البيض، هذا إلى جانب الظلم الاقتصادي بسبب ما يعانونه من فقر؛ ففي الستينيات كان يعيش أكثر من عشرين مليون زنجي في بيوت فقيرة قذرة مبنية من الصفيح والأخشاب في مدن الولايات المتحدة الشمالية؛ هرباً من ظلم التفرقة العنصرية في الجنوب، إضافة إلى انتشار البطالة والجهل والأمراض في الأوساط الزنجية.

استمرت تلك الأوضاع إلى أن اختارت الأقدار مدينة مونتجمري –إحدى مدن الجنوب الأمريكي– لتكون مسرحا لأحداث خالدة قادها مارتن لوثر كينج –راعي الكنيسة المعمدانية في ديكستر بمدينة مونتجمري– لمواجهة الظلم، وإرساء نظرية جديدة تتسم بالاتزان والاعتدال للمطالبة بالحقوق المدنية وإلغاء التفرقة العنصرية؛ فقد استطاع عن طريق ترسيخ مفهوم المقاومة باللاعنف أن يجمع حوله الزنوج، ويدفعهم إلى العمل الإيجابي؛ فلم ييأس ويستسلم مثلما فعل بعضهم، ولم ينسَقْ وراء الانفعالات التي أفقدتهم أبناءهم ودماءهم.

وكان من مظاهر الاضطهاد والاحتقار التي يعانيها السود ما يلقونه من شركة خطوط أتوبيسات المدينة التي اشتهرت بإهانة عملائها من الزنوج، حيث كانت تخصص لهم المقاعد الخلفية في حين لا تسمح لغير البيض بالمقاعد الأمامية، وعليه كان من حق السائق أن يأمر الركاب الزنوج بترك مقاعدهم لنظرائهم البيض، وكان على الركاب الزنوج دفع أجرة الركوب عند

الباب الأمامي، ثم يهبطون من السيارة، ويعاودون الركوب من الباب الخلفي، فكان بعض السائقين يستغلون الفرصة، ويقودون سياراتهم ليتركوا الركاب الزنوج في منتصف الطريق!

واستمر الحال إلى أن جاء يوم الخميس أول ديسمبر 1955، حيث رفضت إحدى السيدات وهي حائكة زنجية أن تخلي مقعدها لراكب أبيض، فما كان من السائق إلا أن استدعى رجال الشرطة فألقوا القبض عليها بتهمة مخالفة القوانين؛ فكانت البداية.

بدأ رد الفعل بأهم حدث في حياة الزنوج؛ فقد جاء قرار مقاطعة خطوط الأتوبيسات في مونتجمري –الذي اتخذه مارتن لوثر كينج مع رئيس مجلس النساء جو آن روبنسون ومسئول الاتحاد الوطني لتنمية شئون الملونين– في وقت مناسب ليؤذن بانتهاء حقبة في تاريخ الزنوج وبداية حقبة جديدة؛ فقد كان من المقدر أن تستمر هذه المقاطعة لمدة يوم طبقاً لأكثر التوقعات تفاؤلاً، ولكن أثبتت إرادة الزنوج ما تعدى كل التوقعات؛ فقد استمرت المقاطعة ما يقرب من عام كامل، كان الزنوج يعتمدون فيه إما على سيارات معارفهم أو ركوب البغال والخيول أو الدراجات أو يذهبون إلى أعمالهم سيراً على الأقدام. وفى الواقع كانت هنالك حركات مقاطعة لسيارات الأتوبيس من قبل في هارلم سنة 1941 وفى باتون روج سنة 1953، ولكن لم تكن هناك حركة تعم أرجاء الجنوب، وتوحد كلمة الزنوج مثلما حدث في مقاطعة مونتجمري.

ورداً على حركة المقاطعة حاول البيض القضاء على تلك الحركة وقمعها بكافة الطرق؛ فقد ألقي القبض على كينج في 26 يناير 1956 بتهمة قيادة سيارته بسرعة 30 ميلاً في الساعة في منطقة أقصى سرعة مسموح بها فيها 25 ميلاً، وألقي به في زنزانة مع مجموعة من السكارى واللصوص والقتلى، وكان هذا أول اعتقال له؛ مما أثر فيه بشكل بالغ العمق؛ حيث لاحظ الجو المجرد من الإنسانية الذي يعيش فيه المساجين، وقد كان معظم المسجونين من الزنوج الذين

عانوا الفقر، ووجدوا في السُّكْر والسرقة ما يهربون به من عالم الظلم والاضطهاد، بعد فترة من السجن أفرج عنه بالضمان الشخصي.

وقد حاولت السلطات أن تزرع الفُرقة في مجتمع السود، فعقدت لجنة المدينة اجتماعًا مع ثلاثة من ممثلي الزنوج لبحث التسوية، وسربت اللجنة تقريراً مزوراً للصحف تعلن فيه عن إنهاء المقاطعة، إلى أن جاء تقرير من الزنوج بالشمال يسأل عن صحة هذه المعلومات، بعد أن كاد السود يصدقون هذه الإشاعة، فسارع بعض قادة الزنوج بنشر التكذيب، ووصف هذا الفعل بالخدعة.

وفي 30 يناير 1965 حينما كان مارتن لوثر كينج يخطب في اجتماع عام ألقيت قنبلة على الجزء الأمامي من منزله، وكاد أن يفقد في هذه الحادثة زوجته وابنه، وعندما وصل إلى منزله وجد مجموعة من الزنوج الثائرين مسلحين يريدون الانتقام لما حدث، وبات واضحاً أن مونتجمري تقف على حافة حمام من الدماء بعد أن فشلت محاولات البيض لإنهاء المقاطعة، فوقف كينج يخطب مطالباً "دعوا الذعر جانباً، ولا تفعلوا شيئاً يمليه عليكم شعور الغضب، إننا لا ندعو إلى العنف، وأود أن يعرف الجميع أنني إذا ما توقفت فلن تتوقف الحركة"، وبالفعل استمرت حركة المقاطعة بالرغم مما يواجهه من ضغوط وتهديدات بفقدان حياته، وألقي القبض عليه مرة أخرى ومعه مجموعة من القادة البارزين في شهر فبراير بتهمة الاشتراك في مؤامرة لإعاقة العمل دون سبب مشروع أو قانوني، إلى أن قامت أربع سيدات زنجيات بتقديم طلب للمحكمة الاتحادية تقضي بإلغاء التفرقة العنصرية في سيارات الأتوبيس في مونتجمري، وأصدرت المحكمة حكمها بأن القواعد التي تتيح التفرقة في سيارات الأتوبيس غير قانونية.

وقبل نهاية عام 1956 صار من حق السود الجلوس في مكان واحد مع البيض، ومن هنا أدرك البيض ما فعلته المقاطعة باقتصادياتهم؛ إذ أنهم خسروا آلاف الدولارات من جراء ذلك؛

فطبقاً لإحصائيات شركة الأتوبيسات أنها فقدت من إيراداتها 90%، حيث كانت تعتمد على الركاب السود، وهكذا نجحت المقاطعة، ونجحت نظرية كينج في المطالبة بالحقوق والمقاومة بدون عنف.

ومنذ أن قامت هذه المقاطعة بدأت المطالبة بالحقوق المدنية تتصاعد؛ فأسس الزنوج مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية (SCLC) عام 1957، وانتخبوا مارتن رئيساً له، وعمل المؤتمر على تنظيم الاعتصامات والمظاهرات الجماعية وبرامج مكافحة الفقر.

ففي عام 1962 نظمت مسيرات الاحتجاج ببرمنجهام، التي ألقي فيها القبض على مارتن للمرة الثانية بتهمة إثارة أعمال الشغب والإرهاب، وفى سجنه الانفرادي حرر خطاباً أصبح فيما بعد من المراجع المهمة لحركة الحقوق المدنية.

كما وجه كلماته إلى مجتمع البيض: "لقد أشرتم إلى نشاطنا في برمنجهام، ووصفتموه بالتطرف، ولكن ما إن مضيت أتدبر الأمر حتى أخذت أشعر تدريجياً بشيء من الارتياح لما أوصف به من التطرف والإرهاب، أولم يكن المسيح متطرفاً في المحبة؟ وألم يكن أبراهام لينكولن (محرر العبيد) متطرفاً؟ ومن ثم فإن القضية ليست: هل نكون متطرفين؟ بل هي في الواقع: أي نوع من المتطرفين نكون؟ أنكون متطرفين في المحافظة على الظلم، أو نكون متطرفين في خدمة قضية العدالة؟"

وباستمرار الاحتجاج نجح كينج في خلق الأزمة التي كان يسعى إليها، وراح الزنوج يحرزون الانتصار تلو الآخر؛ فلم يسع البيض من سكان المدينة إلا أن خولوا على الفور لجنة للتفاوض مع زعماء الزنوج، وبعد مفاوضات شاقة وافق الكونجرس على سَن قانون الحقوق المدنية الذي نص على إلغاء التفرقة العنصرية والتمييز القائم على أساس الجنس واللون والدين في جميع المؤسسات العامة؛ مما حسن من أوضاع السود والأقليات الأخرى –على الأقل من

الناحية القانونية، وكان من نتيجة ذلك إنشاء مفوضية الحقوق المدنية كهيئة منظمة، وإنشاء دائرة الحقوق المدنية تابعة لوزارة العدل.

كما نبه كينج في أكثر من مرة إلى حقوق الانتخاب والتصويت، إلى أن مرر الكونجرس القانون الذي قضى بأنه لا قيد على التصويت، وأنه من حق أي مواطن أمريكي بغض النظر عن لونه أو جنسه أو دفع الضريبة أو اختبارات القراءة والكتابة وغيرها من القيود التي أنكرت حق الزنوج في التصويت.

وقد كان لهذا القانون تأثير عميق على الفرص السياسية للسود في الجنوب؛ فقد أبلغ مكتب الإحصاء في عام 1960 أن هناك 32 ألف أسود مسجلين للتصويت في المسيسبي، وقد زاد هذا العدد إلى 175 ألف عام 1966، كذلك نما العدد في ألاباما من 66 ألفاً إلى 250 ألفاً في نفس العام.

وفي أواخر الستينيات اتجه اهتمام مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية إلى بحث أوضاع الفقراء، وأشار مارتن إلى أن هذه الحملة لا تستهدف الفقراء من السود فقط، إنما يجب إنصاف الهنود الأمريكان والمكسيكيين والفقراء من البيض.

لم يستطيع مارتن أن يجني حصاد كل ما زرع؛ فقد اغتيل ببندقية أحد المتعصبين، يدعى (جيمس أرل راي) في 4 أبريل 1968.[1]

[1] مقتبسة من مقالات كتبت على موقع إسلام أون لاين للكاتبة ريهام محمد.

تجربة الشعب التشيلي

في الحادي عشر من سبتمبر لعام 1973، استولى الديكتاتور التشيلي بينوتشيه على السلطة من خلال انقلاب عسكري دموي ضد الرئيس المنتخب سلفادور أيندي الذي قُتل في الانقلاب. وخلال أشهر أودع عشرات الآلاف من المواطنين السجون، وأعدم أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

وخلال سنوات قليلة قضى بينوتشيه بلا رحمة على كل تحد لسلطته، وتدخل في كل مناحي الحياة اليومية للمواطن التشيلي، وعم في المجتمع الشعور بالقمع والاضطهاد والخوف، واستطاع نظام الديكتاتور القمعي السيطرة على الأمور، وانتشر بين الناس الرعب من (رجل الرعب).

وبعد عشر سنوات من السيطرة المطلقة للنظام الدموي، وصلت الأزمة الاقتصادية إلى مستوى غير مسبوق، وتصاعدت معدلات البطالة إلى أكثر من 30%، وتفشى اليأس في الناس ولم يعد لديهم ما يخسرون، فبدأ الحديث همساً حول الحاجة الماسة إلى من يتجرأ ويقول للديكتاتور "كفى"، ويواجه الديكتاتورية في معقلها، لأن ما حدث في عام 73 كان خطأ وجريمة لابد من إنهائها.

ظهرت البوادر الأولي للتمرد في قلب الاقتصاد التشيلي، في مناجم النحاس في الجبال، وذلك بالرغم من أن عمال المناجم كانوا نسبياً يحصلون على أفضل الأجور بين عمال تشيلي. فبرز ناشط نقابي في العشرينيات من عمره يدعى(رودوفر سيفيل)، كان قد انتخب رئيساً لمؤتمر العمل الوطني.

دعا المناضل سيفيل الشعب التشيلي للإضراب العام على مستوى البلاد، بالرغم من أن العشر سنوات الأولى من عمر النظام القمعي كانت خالية تماماً من الإضرابات، وكان الهدف هو مجرد فتح أعين الناس وتشجيعهم على الخروج من حالة اليأس والخوف. وقبل أسبوع من موعد الإضراب العام قام جنود بينوتشيه بمحاصرة مناجم النحاس مبدين استعدادهم لقمع أي عمل تظاهري بين العمال.

في اليوم الذي سبق موعد الإضراب غيَّر العمال خطتهم، وأعلنوا عن يوم احتجاج وطني لتعبئة العمال وأبناء الشعب التشيلي، ولكن بأسلوب سلمي بدون استفزاز جنود النظام.

وفي يوم الاحتجاج الذي أعلن عنه، بدأ الجميع يتحركون ببطء ملحوظ، فسائقو السيارات كانوا يقودون عرباتهم ببطء ملحوظ، وكان المارة يمشون في الطرقات ببطء ملحوظ وفي صمت، ومع ساعات الظهر عمت الحالة كل أرجاء البلاد، وبدا واضحاً للمراقبين أن الناس كانوا يمشون في الطرقات وكأنهم يتنزهون، فكان كل شئ يتحرك ببطء، وأغلقت المدينة أبوابها مبكراً على غير العادة ورجع الناس إلى بيوتهم في صمت.

في نهاية اليوم لم يدرك قادة الاحتجاج مدى نجاح الاحتجاج على مستوى البلاد، وفي نفس الليلة خرج الناس إلى الشوارع يقرعون الطناجر والصحون النحاسية ومن على شرفات المنازل وفي الأماكن العامة.

وفي اليوم التالي، كان السؤال الأكثر انتشاراً بين الناس هو:"ماذا فعلت البارحة"، وكان الجواب التلقائي، مصحوباً بابتسامة عريضة: "كنت أقرع على الصحون مع جيراني". وساد شعور إيجابي بين الناس بسبب إحساسهم بأهمية مشاركتهم العفوية والفعلية في الاحتجاج العام، وقد كانوا قبل ذلك أفراداً منعزلين منطوين على أنفسهم.

واتخذت النقابة قراراً بتكرار ذلك العمل مرة كل شهر، وقد كانت التجربة الأولى في غاية النجاح، وبمثابة الرسالة الواضحة للنظام القمعي بأننا لسنا في حاجة للسلاح للاحتجاج والرفض، وكان ذلك هو مبعث قوة الحركة الاحتجاجية التي استمرت لمدة عشرة أشهر متتالية.

وبعد أشهر قليلة من الاحتجاجات الشهرية، ومع تزايد مشاركة الناس فيها، أصبح الناس يصدقون بأن التظاهر والاحتجاج السلمي يستطيع إسقاط الديكتاتورية. فكانت الاحتجاجات سلمية ولم تستعمل فيها أية أعمال عنف، رغم أن قوات النظام القمعي زادت من حدة انتهاكاتها لحقوق الإنسان في البلاد، ولكن ذلك لم يعد له تأثير على الناس.

وفي الليلة التي سبقت الاحتجاج الرابع عين الرئيس بينوتشيه وزيراً جديداً للداخلية (سيجو هابا)، وأعلن عن استعداده لمحاورة المعارضة. ولكن في نفس الليلة، وفي تحرك مناقض تماماً، نشر بينوتشيه آلاف الجنود في شوارع العاصمة، قامت في اليوم التالي بالتعرض للمتظاهرين بالقوة، وبأسلوب لم يسبق له مثيل، سقط خلاله عشرات القتلى ومئات الجرحى.

بدأت لقاءات المعارضة مع وزير الداخلية الجديد بعرض مجموعة من المطالب الرئيسة تتلخص في التالي:

1. السماح بالنشاط السياسي.

2. السماح بعودة المنسيين.

3 رفع الرقابة على الكتب.

وقد حاول وزير الداخلية تقديم بعض التنازلات المحدودة، ولكنها كانت أكثر مما يطيق بينوتشيه. فقام بتهميش وزير الداخلية، ونقلت الصلاحيات إلى عناصر أكثر تطرفاً في النظام. وبالتالي لم تقم المفاوضات بتغيير النظام أو إضعافه، وإن كانت رسالة لبينوتشيه مفادها أن

المعارضين فتحوا أمامهم طريقاً للعمل السياسي بالوسائل اللاعنيفة، برغم القناعة الراسخة لديهم بأنه لن يفاوض من أجل إنهاء سلطته المطلقة على البلاد.

وفي نوفمبر 1985 شارك أكثر من نصف مليون شخص في أكبر تجمع سياسي في تاريخ تشيلي، نتج عنه الوفاق الوطني لقيادة المرحلة القادمة، التي تسعى لانتقال البلاد إلى الديمقراطية عبر المسار اللاعنيف. (شارك في تلك التظاهرة السياسية الكنائس والأحزاب المعارضة ومؤسسات المجتمع المدني).

وقد رفعت قيادة الوفاق الوطني شعارا توحيدياً: (إن لم ندعم الوفاق الوطني فنحن مقبلون على حرب أهلية).

بدأت حركة الوفاق الوطني تظهر بوضوح في الأحياء الفقيرة في المدن الكبيرة، وتحولت تلك القرى والأحياء إلى ساحة معارك منخفضة الحدة ضد النظام. والتزم الناس بعدم حمل السلاح أثناء التظاهرات، وفعلاً كان القليل من الناس في تلك الأحياء يحملون السلاح بالرغم من أن أيديولوجية الثورة المسلحة كانت تجد رواجاً كبيراً في تلك المناطق. أما بينوتشيه فقد اعتبر تلك الأحياء مناطق معادية.

قامت الشرطة السرية بحملات تجميع شباب الأحياء الفقيرة في الملاعب والساحات والحقول للاستجواب الجماعي بدون أي ضوابط قانونية، وبالتالي تم اعتقال العديد من المشتبه فيهم، وأخذوا للمعتقلات دون محاكمات، بل أن المئات من الشباب قد اختفوا ولم يوجد لهم أثر.

زادت انتهاكات بينوتشيه لحقوق الإنسان، مما أقحم الكنيسة الكاثوليكية في الصراع. فبدأت الكنيسة تنادي بالتغيير السلمي والمقاومة السلمية والعمل بالوسائل اللاعنفية، ورفعت شعارات منها:

إن ما يفرض بالعنف يستوجب الدفاع عنه بالعنف

ما يتحقق بالعنف يستوجب المحافظة عليه بالعنف

العنف هو سلاح الضعفاء الذين لا يملكون الحجج ولا السلطة المعنوية

البعض يعتقدون خطأ بأن مواجهة العنف لا تتم بغير العنف

اضطر بعض المتظاهرين لاستعمال العنف في بعض المناطق مما أعطى الديكتاتور مبرراً لقمع كل المعارضين بكل قسوة، حتى أولئك الذين ينادون ويعملون بالوسائل اللاعنفية. وقد حاولت إحدى المنظمات الشيوعية اغتيال بينوتشيه، ولكنه نجا من العملية.

أدركت المعارضة السياسية أن العنف المضاد لعنف الديكتاتور لن يحقق لهم النجاح مطلقاً.

ومع نهاية عام 1986 أصبح احتمال اندلاع حرب أهلية شاملة وارداً، ووجد الناس أنفسهم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما تبني العنف المضاد والعمل المسلح، وإما ابتداع أساليب ووسائل أخرى لمقاومة الديكتاتور.

ولاحت فرصة ذهبية أمام المعارضة السياسية عندما دعا بينوتشيه إلى استفتاء عام على فترة أخرى من الحكم العسكري تستمر لمدة ثماني سنوات، وأدركت القيادات السياسية والشعبية والنقابية أنهم قد يستطيعون هزيمة الديكتاتور بكلمة واحدة (لا)، ولكن الأغلبية منهم كانوا يعلمون مسبقاً أن بينوتشيه ينوي أن يزور الاستفتاء بكل الوسائل غير المشروعة.

استعدت المعارضة لخوض معركة الاستفتاء، وأعدت الخطط لمنع أي عمليات تزوير في ذلك اليوم، وقامت بحملة توعية في كل أرجاء البلاد، وسميت تلك الحملة الإعلامية "حملة لا"، التي تواصلت مع الناس من بيت إلى بيت، ورفعت شعار:

بوسع المواطن التشيلي قول كلمة (لا) بدون التعرض للانتقام

بدأت "حملة لا" وأظهرت بشاعة انتهاكات بينوتشيه لحقوق الإنسان في تشيلي، وقد استطاعت أن تستثمر الفرص التي أتيحت لها في وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون لتحقيق تقدم كبير في الحملة. فركزت الحملة على مسائل الحياة اليومية، والمشكلات المعيشية التي يعاني منها المواطن العادي.

فاجأت "حملة لا" بينوتيشه ومؤيديه منذ البث الأول لها، وأفقدته توازنه حتى يوم الاستفتاء.

انتشرت فكرة أن الشعب التشيلي سيهزم الديكتاتور بالقلم، ومع مرور الوقت بدأ الناس يتلمسون النصر بين أيديهم، ولذلك قام قادة المعارضة بالإعلان عن إصرارهم على إدارة الصراع ضد الديكتاتور وأتباعه من دون كره أو حقد أو انتقام. ورفعت الحملة الشعار التالي قبل يوم الاستفتاء:

(لا) تعني (نعم) للديمقراطية

في مساء يوم الاستفتاء ظهرت النتائج الأولية بفوز (لا) بشكل حاسم، فأعلنت محطة إذاعية صغيرة مستقلة نتائج الاستفتاء، ولكن بينوتشيه لم يصدر أي نفي أو تأكيد. وفي منتصف الليل دخلت القوات التابعة لبينوتشيه القصر، وصرح قائد القوات الجوية لبعض الصحفيين قائلاً: "يبدو أن (لا) قد انتصرت"، وفي غضون ثوان أذيع التصريح على الأثير، وكان بمثابة الرسالة الواضحة، والتحذير الشديد لبينوتشيه على ضرورة قبول النتائج والانصياع لرغبة الشعب التشيلي.

خرج الناس إلى الشوارع للتعبير عن فرحهم بسقوط الديكتاتور، وبالفعل سقط الديكتاتور دون اللجوء للعنف أو للحرب الأهلية أو للانقلاب العسكري، بل سقط بسبب:

- الموقف الذي اتخذه المواطن العادي من الديكتاتور.
- إظهار ذلك الموقف والتعبير عنه بقناعة وببساطة وبدون مواربة.

- والتزام المواطن العادي بإتباع أساليب المقاومة اللاعنيفة وعدم الانزلاق في دوامة العنف المضاد لعنف السلطة.
- تحلى المواطن العادي بالجرأة والشجاعة في التعبير عن قناعاته بضرورة التغيير اللاعنيف دون تردد أو خوف.

وبالفعل استطاع الشعب التشيلي الفقير إسقاط الديكتاتور، وشارك في تلك الملحمة كل واحد من أفراد الشعب، فلم يكن بينهم قائد مطلق، أو طليعي واحد متفرد؛ بل كان عددهم سبعة ملايين قائد ومناضل.[1]

[1] Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

ثبت المراجع

أولاً: المراجع الأجنبية:

- Andrew Heywood, Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed., 2002).

- Bertram D. Wolfe, Three Who Made a Revolution (New York: Dial Press, 1948, and London: Thames and Hudson, 1956).

- Eyke, A History of The Weimar Republic, vol. 1, *passim*.

- F. R. Cowell, The Revolutions of Ancient Rome (New York: Frederick A. Praeger, 1962, and London: Thames and Hudson, 1962).

- Gene Sharp and Bruce Jenkins, The Anti-Coup. Boston, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 2003.

- Gene Sharp, Civilian–Based Defence: A Post-military Weapons System. Princeton, New Jersey and London: Princeton University Press, 1990.

- Gene Sharp, Creative conflict in Politics, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973).

- Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy. Bangkok: Committee for the restoration of Democracy in Burma, 1993. Also, Boston, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 2002.

- Gene Sharp, The Politics of non-violent action. Boston: Porter sargent, 1973. Three paperback volumes.

- Gene Sharp, "The Role of Power in Non-violent Struggle." Cambridge, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 1990.

- Gene Sharp, Social Power and Political Freedom. Boston: Porter sargent, 1980.

- Gene Sharp, waging Non-violent Struggle: Twentieth Century Practice and twenty-First century Potential. Forthcoming 2003.

- Gene Sharp, Gandhi Wields The Weapon of Moral Power, Porter sargent, 1980.

- Goodspeed, The Conspirators.

- Halperin, Germany Tried Democracy.

- Helvey, Robert L. (2007): On Strategic Nonviolent Conflict: Thinking About The Fundamentals, The Albert Einstein Institution.

- Hugh Seton-Watson, The Decline of Imperial Russia, 1855-1914 (New York: Frederick A. Praeger and London: Methuen & Co., 1952).

- Jeremy Bennett, "The Resistance During the German Occupation of Denmark 1940-5," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense.

- Leonard Schapiro, The Communist Party of the Soviet Union (New York: Random House, 1960, and London: Eyre & Spottiswoode, 1960).

- Magne Skodvin, "Norwegian Nonviolent Resistance During the German Occupation," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense, Br. Ed.: The Strategy of Civilian Defense.

- Magnus Jensen, "Kampen om Skolen," in Sverre Steen, general editor, Norges Krig (Oslo: Gyldendal Norsk Forlag, 1947-50).

- Mario Rosenthal, Guatemala: The Story of an Emergent Latin-American Democracy (New York: Twayan Publishers, 1962).

- Martin, Brain (2001): Technology for Nonviolent Struggle, London, War Resisters' International.

- Michael Prawdin, The Unmentionable Nechaev: A Key to Bolshevism (London: Allen and Unwin, 1961).

- Per Herngren, PATH OF RESISTANCE, The Practice Of Civil Disobedience, (New Society Publishers, 2004)

- Peter Ackerman and Christopher Kruegler, Strategic Non-violent Conflict: The Dynamics of People Power in the Twentieth Century. Westport, Connecticut and London: praeger, 1994.

- Peter Ackerman and jack Duvall, A Force More Powerful: One Hundred Years of Non-violent Conflict. New York: St. Martin's Press, 2000.

- Ranganath R Diwaker, Satyagraha: Its Technique and History (Bombay: Hind Kitabs, 1946).

- Richard Charques, The Twilight of Imperial Russia (London: Phoenix House, 1958).

- Ronald McCarthy and Gene Sharp, with Brad Bennett, Non-violent Action: A Research Guide. New York: Garland Publishing, 1994.

- Ronald M. Schneider, Communism in Guatemala 1944-1945 (New York: Frederick A. Praeger, 1958).

- Russell B., Peace and Non-Violence in the west London, 1982, 2nd edition.

- S. Gopal, The Viceroyalty of Lord Irwin, 1926 – 1931 (London: Oxford University Press, 1957).

- Sidney Harcave, First Blood: The Russian Revolution of 1905 (New York: Macmillan, 1964, and London: Collier Macmillan, 1964).

- Sorokin Pitirim, Sociology of Revolution, (New York: the free press, 1983, 2nd edition).

- Schock, Kurt (2005): Unarmed insurrections. People power movements in non-democracies, University of Minnesota Press, Minneapolis, MN.

- Solomon M. Schwartz, The Russian Revolution of 1905: The Worker's Movement and the Formation of Bolshevism and Menshevism, trans. by Gertrude Vakar, with a Preface by Leopold H. Haimson (Chicago and London: University of Chicago Press, 1967).

- Sverre S. Amundsen, gen. Ed., Kirkenes Ferds, 1942 (Oslo: J.W. Cappelens Forlag, 1946).

- Theodor Mommsen, The History of Rome, trans. William Purdie Dickson. rev, ed, (London: Richard Bentley & Son, 1894).

- T. K. Mahadevan, eds., Gandhi: His relevance for Our Times (Berkeley, Calif.: World Without War Council, 1971, and New Delhi: Gandhi Peace Foundation, and Bombay: Bharatiya Vidya Bhavan, 1967).

- Thoreau, H.D., "Civil Disobedience," The Selected Works *of* Thoreau, Walter Harding, ed. (Boston: Houghton Mifflin Company, 1975).

- Tyranny Could Not Quell Them (pamphlet) (London: Peace News, 1958 and Later edition).

- Warmbrunn, The Dutch Under German Occupation 1940-1945.

- Wilfred Harris Crook, The General Strike.

- Wolfgang Sternstein, "The *Rhurkampf* of 1923: Economic Problems of Civilian Defense," in Adam Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense: Nonviolent Action Against Aggression (Harrisburg, Pa.: Stackpole Books, 1968).

ثانياً: المراجع العربية

- د. إبراهيم الدسوقي شتا، الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر 2/1، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، 1986.

- المقريزي في إمتاع الأسماع (1 / 30، 31).

- المهاتما غاندي، كل البشر أخوة، ترجمة د . أنطوان أبو زيدة، الطبعة الأولى، شركة دار الجديد، 1997.

- جان ماري مولر ، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الإنسان، بيروت، 1999.

- جان – ماري مولر، معنى اللاعنف، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان، جمعية العمل الاجتماعي الثقافي، بيروت، ط1، 1995.

- داني كوكس وجون هوفر، القيادة في الأزمات، بيت الأفكار الدولية، الولايات المتحدة الأمريكية.

- د. جاسم سلطان، القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري "قوانين النهضة"، (المنصورة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005).

- د. جاسم سلطان، نحو وعي استراتيجي بالتاريخ "الذاكرة التاريخية"، (المنصورة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005).

- ريهام محمد، مقالات كتبت على موقع إسلام أون لاين للكاتبة.

- صلاح أحمد زكي، تجديد الفكر المقاوم.. نحو نظرية للأمن العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1987.

- د. هشام مرسي، الدروع الواقية من الخوف، الدار العربية للعلوم – أكاديمية التغيير، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.

الأفلام الوثائقية

- A Force More Powerful (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI.

- Bringing Dawn a Dictator (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI.

مواقع حركات تغييرية على الإنترنت

الأمريكتين

- جبهة الحريات المدنية الأمريكية **http://www.psr.keele.ac.uk/parties.htm**

أوروبا

- حركة أوتبور الصربية **http://www.otpor.com/**

جمهورية مصر العربية:

- حركة الإخوان المسلمين **http://www.ikhwanonline.com/**

- حركة إضراب السادس من إبريل المصرية **http://6april08.blogspot.com/**

- الحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية) **http://harakamasria.org/**

- حركة المقاومة الطلابية المصرية **http://tolaabmokawma.blogspot.com/**

- حركة حقي الطلابية المصرية **http://hakycairo.blogspot.com/2008/10/6-2008_30.html**

- حركة الطلاب الاشتراكيون **http://tolabeshtrakyoon.blogspot.com/**

الجمهورية السودانية

- حركة العدل والمساواة **http://www.sudanjem.com/2004/index.php**

- حركة الطلبة الليبراليين السودانيين (طل) **http://liberalsudan.org/students/**

الجماهيرية الشعبية الليبية

- الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا http://www.nfsl-libya.com/site/docs/index.php

جمهورية تونس

- حركة النهضة التونسية http://www.nahdha.info/arabe/index.php

جمهورية الجزائر

- الجبهة الإسلامية لإنقاذ **http://www.fisweb.org/**
- جبهة القوى الاشتراكية **http://www.ffs-dz.com/-rubrique22-.html**
- التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية **http://www.rcd-algerie.org/**
- حركة مجتمع السلم (حمس) **http://temp.hmsalgeria.net/ar/index.htm**

الجمهورية الموريتانية

- اتحاد قوى التقدم http://ufpweb.org/arab/

المملكة الأردنية الهاشمية

- حزب جبهة العمل الإسلامي http://www.jabha.net/

المملكة العربية السعودية

- الحركة الإسلامية للإصلاح بالمملكة العربية السعودية **http://www.islah.info/**

مملكة البحرين

- حركة أحرار البحرين **http://www.vob.org/index.php**
- المنبر الديمقراطي التقدمي http://www.altaqadomi.com/

Non-Violence War, the 3rd Choice.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

British Library Cataloguing in Publication Data.
A Catalogue record for this title is available from
the British Library.

ISBN 1-4276-1310-9

Distributed online by
www.taghier.org

للتواصل مع أكاديمية التغيير (AOC)
بريد إلكتروني: info@taghier.org
www.aoc.fm

